اتجاهات سياسية في المسرح
قبل ثورة ١٩١٩

د. رمسيس عوض



اتجاهات سياسية فى المسرح قبل ثورة ١٩١٩

دكتور رمسيس عوض



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٩

مقدمة

كانت الساحة المصرية قبل ثورة ١٩١٩ تمور بمختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية التى تتأرجح بين اليمين الموغل فى الرجعية وشىء شبيه باليسار المفرط فى الثورية تتوسطهما حركة ليبرالية معتدلة اذا حق لنا أن نستخدم قاموس الألفاظ المعاصرة ٠ ولكن المصريين حينذاك كانوا فى جميع الحالات بسطاء فيما يعن لهم من تعبير أيدولوجى ٠ فهم يجهلون تلك اللافتات السياسية التى أصبحت تجارة أحفادهم الرائجة ومن ثم نرى أنهم لا يعلقونها فوق ما يذهبون اليه من رأى ٠

ويتجلى لنا اليمين الرجعى فيما سطره بعض الكتاب مثل مصطفى الدبس ، الذى ذهب فى صحيفة « المقطم » عدد ٤٠٨٨ الى أن المسرح مفسدة للأخلاق ونظرا لأن هذا البحث لا يعنى باستقصاء آراء اليمين المصرى المتطرف الذى يدمغ فن المسرح ويستبشعه ، بل يعنى بتتبع الجو الفكرى العام الذى ساعد على نمو هذا المسرح وتطوره، فسوف نبدى فى هذا المقام بعض الملاحظات العامة على بعض المواقف الفكرية المختلفة التى تتفاوت بين اليمين المحافظ المستنير وما يشبه

اليسار الثائر المتمرد. ويجمل بنا أن نذكر في هذا الشأن انه يصعب على المرء أن يتصور أن مثل هذا اليسار كان ، بأى حال من الأحوال ، يشكل اتجاها أو تيارا فكريا ، بل مجرد مشاعر أرهص بها بعض الأفراد لا أكثر ولا أقل . ولعل تمحيص هذه المشاعر يبين لنا أنها ليست يسارا في واقع الأمر ولكنها ليبرالية استبد بها التحمس فبدت متشحة بثياب اليسار ، أو أنها نوع من اليعقوبية المصرية التى لا تسيل منها الدماء .

وقبل أن نتتبع آراء اليمين المستنير في المسرح المصرى ، يجدر بنا أن نشير الى أن الصحافة المصرية في مجموعها أظهرت وعيا عاما وحرفيا بمشاكل هذا المسرح . ومن دلائل هذا الوعى العام بمشاكل المسرح المصرى ما كتبته صحيفة «الأهرام» بتاريخ ١٦ يناير ١٩٠٣ . يقول « الاهرام » انه مع التسليم للحكومة بأنه لا يصح تبديد المال العام على العروض المسرحية الهابطة التى تقدمها الفرق المصرية ، فان هذا لا يعفى الحكومة من مسئولية هبوط مستواها بسبب احجامها عن تشجيع النابهين من المصريين على الاقبال على الفن المسرحى . ويتضح لنا أيضا هذا الادراك السليم للمشاكل التى تواجه المسرح المصرى من مقال نشرته صحيفة « الوطن » بتاريخ ١٧ فبراير ١٩٠٣ يتناول ضرورة تدخل الحكومة لمنع حوادث النصب التى ترتكب باسم التمثيل حتى لا تلطخ سمعة التمثيل العربى في الوحل ، الأمر الذى يعطى ولاة الامور مبررا للاحجام عن مساعدته . وترى صحيفة « الأهرام » بتاريخ ٣١ أكتوبر ١٩٠٨ ضرورة تنمية الحوافز الأدبية وتشجيعها عن طريق رصد جوائز مالية للنابهين في مباراة التأليف المسرحى . ويعطينا الحاح الرأى العام المصرى في المطالبة بتنظيم حقوق التأليف صورة مشرفة للوعى العام الذى انتشر بين الناس قبل ثورة ١٩١٩ .

والى جانب هذا الوعى العام بمشكلات المسرح ، فهناك وعى آخر حرفى بهذه المشاكل • ومن دلائل وعى الصحائف المصرية بمشاكل المسرح الحرفية فى بداية القرن العشرين ان مجلة «الجامعة» نشرت مقالا ضافيا فى مارس ١٩٠٠ يلفت النظر فيه أن كاتبه يدافع عن المسرح المصرى دون أن يعميه دفاعه عما يشوب هذا المسرح من نقائص وعيوب • ومن أبرز هذه العيوب ان الأجواق المصرية كثيرا ما تضحى بالفن فى سبيل ارضاء الذوق العام وأن جمهورها يستهويه الطرب أكثر مما يستهويه فن التمثيل ذاته • ولذلك كان من العسير على أى جوق أن يجد لنفسه مكانا بجوار الشيخ سلامة حجازى • ويناقش كاتب « البصير » بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٠٠ الصفات التى ينبغى توافرها فى الممثل وأولها الحرص على تقليد الواقع والبعد عن الاصطناع أو المبالغة • ويرى هذا الكاتب أن الموهبة الفنية وحدها لاتكفى فهى بحاجة الى الصقل والتهذيب ويردد كاتب «البصير» نفس ما ذهبت اليه هذه الصحيفة بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٠٠ من أن اتقان الأجواق لعملها يضمن اقبال الجمهور عليها • وبالتالى يغنيها عن سؤال اللئيم • واللئيم فى هذه الحالة هو حكومة الاحتلال البريطانى فى مصر • ويلقى ما نشرته صحيفة « الأهرام » بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٠٢ ضوءا على مدى حرص اسكندر فرح على نشر الوعى المسرحى • فقد وضع فى مدخل التياترو مكتبة تضم أنفس الكتب فى المسرح ، أى أنه أراد للمسرح المصرى أن ينهض على أساس من العلم والثقافة • وتذهب صحيفة « الأخبار » بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٠٣ الى أن اتقان المصريين للفن المسرحى وتعميق مهارتهم الحرفية فى هذا الفن هو سبيلهم الوحيد الى ارغام الحكومة على الاعتراف بجدارة التمثيل العربى •

وتناقش صحيفة « الرائد المصرى » بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٠٣ مشاكل التمثيل الحرفية • فتقول ان التمثيل تقليد لحادث حقيقى ،

أى أنه شىء صناعى يقوم على أساس تقليد شىء طبيعى بعد استيفائه واستكمال أوجه النقص فيه ، لأن الشىء الصناعى يمكن التحكم فيه وصياغته على النحو الذى يريده الصانع فى حين أن الشىء الطبيعى لا يمكن تشكيله أو السيطرة عليه • ويعدد « الرائد المصرى » بعض العيوب التى تشوب التمثيل العربى • ومن هذه العيوب أن التمثيل العربى ليس تقليدا للحقيقة بل تقليدا للتقليد• فرواياته ليست مستمدة من واقع الحياة المصرية بل معربة عن المسرح الأوروبى ، ويتناول المقال مشكلة هامة ما زالت تجابه المسرح المصرى حتى اليوم • وهو مشكلة لغة الأداء المسرحى • ويرى « الرائد المصرى » ضرورة استحداث لغة خاصة بالمسرح تحتل مركزا وسيطا بين العامية والفصحى تأخذ عن الأولى بساطتها وتستمد من الثانية سلامتها • وتعدد هذه الصحيفة بعض الأخطاء التكنيكية التى يرتكبها الممثل المصرى ومنها مخاطبة النظارة فى مواقف تستلزم مناجاة النفس وأن يردد الممثل ما حفظه ترديدا آليا •

وليس أدل على موضوعية بعض المشتغلين بالمسرح ووعيهم بعيوبه من أن اسكندر فرح نشر مقالا فى صحيفة « الاخلاص » بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٠٥ يعترف فيه بأن المسرح المصرى يتقدم ببطء وأنه لم يحقق الآمال المعقودة عليه •

وقبل أن ننتقل الى مناقشة آراء اليمين المستنير فى المسرح المصرى قبل ثورة ١٩١٩ ، يجدر بنا أيضا أن نلفت النظر الى أن المدافعين عن هذا المسرح أشد ما يكونون حرصا على إبراز دوره الأخلاقى والتعليمى فى بناء المجتمع • ولست أرى مبررا لهذا الحرص سوى رغبتهم فى نفى تهمة الخلاعة والفجور التى سعت الرجعية المصرية الى الصاقها به • ونسوق مصداقا لهذا ما كتبته صحيفة « الاخلاص » بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٩٠٢ • تقول هذه الصحيفة أن تمثيل جوق اسكندر فرح يتضمن حكما ومواعظ أخلاقية ، فضلا

عن أنه يعطينا دروسا فى تاريخ الشعوب والأمم • ونطالع أيضا مقالا بنفس هذا المعنى فى « مصر » بتاريخ ٧ ديسمبر ١٩٠٣ يقول فيه كاتبه أن التمثيل هو الواعظ الحكيم للأمة على اختلاف نحلها وطبقاتها • ويرى على عنايت فى مقال له منشور فى صحيفة « المحروسة » بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩١٤ ضرورة انصراف المترجمين والمؤلفين المسرحيين الى تعريب وتأليف الروايات ذات الطابع الأخلاقى التى تبشر بالفضيلة وتنهى عن الرذيلة •

❋ ❋ ❋

نتناول الآن موقف اليمين المصرى من المسرح ، فنقول أنه يشتمل على درجات متفاوتة من الاستنارة ورحابة الأفق ، وأنه مهما ضاق أفقه فهو أفضل حالا من اليمين الرجعى الذى يرفض النشاط المسرحى أصلا باعتباره عملا منافيا للآداب • ويعطينا المقال الذى نشره « المؤيد » بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٠٣ مثلا على اليمين المصرى المتطرف فى محافظته الذى يرفض المسرح المصرى دون أن يرفض الفن المسرحى ذاته • يقول كاتب « المؤيد » دون مواربة أن المسرح المصرى متخلف تخلفا مزريا لا يؤهله لطلب اعانة من الحكومة • فهو يلجأ الى ترغيب النظارة عن طريق الطرب والجنس والنكات العامية المبتذلة كما أنه يخرج عن مقتضيات الواقع • وليس هناك شك فى صحة الكثير من هذه الاتهامات • ولكننى أرى أن الموقف الصحى يقتضى المطالبة بالقضاء على ما فى المسرح المصرى من عيوب • وليس فى مطالبة الحكومة بالامتناع عن مساعدته • ويجد الدارس أحيانا فى موقف اليمين المحافظ مزيجا غريبا من الاستنارة والرجعية كما يتجلى من المقال الذى نشره ابراهيم نجيب حمدى فى صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٦ يونية ١٩٠٨ • وتبدو استنارة هذا الكاتب فى تقديره المبالغ فيه لأهمية دور المسرح فى المجتمع • فهو يعتقد أن

انشاء معهد للتمثيل كفيل بتحرير أية أمة من آسار الجهل والتخلف. وبالرغم من تحرر هذا الكاتب ، فان بعض الأفكار المغالية فى اليمينية تشوب انطلاقه وتحرره . ومن هذه الأفكار أن سياسة الحكومة الاستعمارية تستهدف تصفية الطابع المصرى عن طريق تشجيع التمثيل الأجنبى حتى يسهل عليها الترويج لمبادىء فاسدة مثل الاشتراكية .

وعلى أية حال ، فلا سبيل الى انكار أن اليمين المستنير متمثلا فى سراة المجتمع لعب دورا فى تطوير المسرح المصرى . وتدل شواهد الأمور على أن الصحافة كانت تعقد آمالها على طبقة الموسرين من المصريين فى تنشيط التمثيل العربى . فقد نشرت صحيفة «البصير» بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٠٠ مقالا يتضمن موقفا فكريا يجمع بين الذكاء والوطنية غير الجامحة . يسوق الينا كاتب المقال ثلاثة أسباب تذرع بها الاستعمار البريطانى ليحجم عن مساعدة الأجواق المصرية .وهذه الأسباب الثلاثة هى عدم قدرة المصريين على اتقان هذا الفن لقلة تمرسهم به وأن تقديم الحكومة أية اعانة للتمثيل الهابط قد تساعد على استمرار هبوطه ، كما أنها قد تغرى بعض المحتالين باسم التمثيل على تكوين أجواق طمعا فى المعونة وليس رغبة فى الفن ، أما السبب الثالث فمفاده أن سوقية الذين يرتادون المسارح المصرية تنفر الجمهور الراقى منها . ويرى هذا الكاتب فى اتقان الأجواق المصرية فن التمثيل ضمانا لاقبال الجمهور عليها ، فيزداد بذلك استقلالها وتقل حاجاتها الى الاعانة الحكومية . فضلا عن أن اتقان الأجواق المصرية فن التمثيل يجعلها جديرة بطلب اعانة من الدولة لها . ويناشد الكاتب الموسرين من المصريين أن يشدوا من أزر المسرح المصرى ، أى أنه يطالب كل من الاقطاع المصرى والبورجوازية المصرية أن يلعبا دورهما الوطنى فى تفويت غرض الاستعمار البريطانى أن يظل المسرح المصرى كسيحا عاجزا . ويطالب أيضا أحد كتاب

(المؤيد) فى مقال له منشور بتاريخ ٧ أغسطس ١٩٠١ طبقة الأثرياء أن تلعب دورها فى ترقية المسرح بأن تخف الى مساعدته اذا تقاعست الحكومة وتخلت عن واجبها • ويدل هذا المقال مع غيره من المقالات على مـدى تأثر الفـكر المصرى بالفكر الفرنسى • فكاتبه يطلب الى الحكومة المصرية أن تقتدى بالحكومة الفرنسية فى تشجيع التمثيـل بالانفاق عليه بسخاء وانشاء معهد للتمثيل • والى جانب ذلك ، فقد تأثر التمثيل فى مصر بالنهضـــة المسرحية التى شاهدتها الدولة العثمانية بعد الانقلاب العثمانى عام ١٩٠٨ • ويتضح لنا هـذا من مقال لويس أسمر المنشور فى « الأهرام » بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٠٨ ومن سلسلة المقالات التى نشرتها « المحروسة » بصدد انشاء معهد للتمثيل العربى فى عام ١٩١٤ • قلنا أن بعض سراة المصريين أسهم على نحو ما فى ترقية المسرح المصرى بتقديم يد المساعدة له فى الوقت الذى كانت الحكومة ترفض أن تعينه بقرش واحد • فعلى سبيل المثال أرسل أحد الأمراء جورج أبيض على نفقته الخاصة فى بعثة للخارج ليتعلم فن التمثيـــل • ولما أتم تعليمه عاد الى مصر وألف جوقا • ونطالع فى « الأهـرام » سلسلة من المقـالات (ومن بينها مقالات منشورة بتواريخ ٢٠ ابريل ١٩١١ و ٣ ابريل ١٩١٢ و ١ مايو ١٩١٢ و ١٩ نوفمبر ١٩١٢ ، التى تطالب الحـكومة بمســاندة جوق أبيض وتعضـــيده ، أملا فى أن يحـــل فى المستقبل محـــل الفرق الأجنبية التى تستنزف أموال المصريين • فضــــلا عن أن الجمهور ساعد المسرح المصرى على الوقوف على قدميه باقباله عليه •

* * *

بعد أن أشرنا الى موقف اليمين المحافظ من المسرح ننتقل الى الوسط الليبرالى • ويعطينا موقف بعض المشتغلين بالمسرح المصرى – وعلى رأسهم فرح انطون – من اباحة الفودفيل صورة أشد ما تكون

وضوحا لما كان عليه الاتجاه الليبرالى فى مصر قبل ثورة ١٩١٩ ٠ وينم موقف فرح أنطون من الفودفيل عن ليبرالية راسخة تستند الى قدر وفير من العلم والثقافة ، فهو يدافع عن الفودفيل ليس لأنه يرى فيه أية قيمة فنية بل ايمانا منه بحرية المسرح وضرورة صيانتها من أى اعتداء عليها ٠

ومما يدل على أن الليبرالية كانت « تيارا » أو « اتجاها » أنها لم تكن قاصرة على المسرح وحده بل امتدت الى سائر الفنون ٠ ففى عام ١٩١٣ طالب بعض الناس الحكومة بالتدخل لمنع بيوت الدعارة وقهاوى الرقص البلدى ومصادرة الروايات السينمائية التى تدور حول الجريمة لأنها تشجع على بث روح الاجرام فى المشاهدين ٠ وكان ذلك نقطة انطلاق لنقاش فكرى أشمل حول مفهوم الحرية ومدى حرية الفنان كما يتضح لنا من مقال نشرته جريدة « المحروسة » بتاريخ ١١ أكتوبر ١٩١٣ (ص١) تحت عنوان « الحرية وفروعها : حرية المذاهب الأدبية والفلسفية » ويستلفت النظر فى هذا المقال أن كاتبه يدافع عن الحرية بمفهومها الليبرالى ويرفض مبدأ مصادرة الأعمال الفنية بما فيها الروايات السينمائية بزعم أن الردىء من هذه الأعمال يفسد أخلاقيات الأمة ويدمرها ٠ يقول هذا الكاتب :

« يطلب الشرق الحرية ويقول أنها منه بمنزلة الهواء والغذاء وانه لا حياة له بدونها الا كحياة الأنعام السائمة وهو قول صحيح٠ ولكن ما هى هذه الحرية ؟ ٠٠٠

« لكى يكون لى الحق فى أن أبدى رأيا صريحا بملء الحرية يجب على أن أتحمل رأى غيرى ، أى يجب على ن أتحمل حريته وان كانت مخالفة لحريتى ٠ وان حجرت على حريته هـذه كنت كمن يطعن حريتى فى صميمها ٠ »

وينبه الكاتب الى أن الحكومات الشرقية كثيرا ما تلجأ للضغط على حريات الناس متذرعة بأنهم يسيئون استعمالها • ولكن هـذا لا ينبغى فى نظره أن يكون مســوغا بأى حال من الأحوال لكبت الحريات لأن « الحرية كل لا يتجزأ ومن طلبها وخطبها عليه أن يتحمل سيئاتها بجانب حسناتها • كالشهد لابد فى جنيه من ابر النحل أو كالورد لابد فى الوصول اليه من اجتياز الشوك ••• واذا أرادت الأمة وشارعوها المداخلة لفصل السيئات عن الحسنات رغبة فى اقرار هذه ونبذ تلك فتحوا على الحرية بابا قد يؤدى الى اجتثاث حسناتها مع سيئاتها » •

ويذكر لنا الكاتب أيضا أنه من المتعذر علينا أن نميز الحسنات من السيئات نظرا لأنها قيم نسبية تتغير بتغير الزمان والمكان • ثم يخلص من هذا الى أنه يرفض فكرة مصادرة أفلام السينما التى تدور حول الجريمة بدعوى حماية الأدة من الفساد ، لأنه يرفض أن تتدخل الحكومة فى حياة الأفراد بأن تضع على حريتهم قيودا جديدة •

وكتب على عنايت بتاريخ ١٤ أكتوبر ١٩١٣ (ص٣) فى جريدة « المحروسة » مقالا بعنوان « فى ســبيل حرية الفكر فى الروايات » يؤيد نفس الرأى السابق ويرى فى مشاهدة روايات الجريمة عبرة ودرسا وأداة للتهذيب لأن النفوس تشــمئز وتنفر (من الجريمة) ومتى فعلت حاولت التطهر • ومن ذلك تأتى الفائدة • »

ومما يؤكد حرص المصريين على حصولهم على حرية الكلمة ما جاء فى « المحروسة » بتــاريخ ٦ نوفمبر ١٩١٣ (ص٤) تحت عنوان « حرية المطبوعات حرية لا مثيل لها » • وينتهز كاتب المقال فرصة وقوع حادثة معينة ليضرب بها مثلا فى حرية الرأى وكيف تكون • فحين صادرت حكومة الولايات المتحدة صحيفة نسائية تطالب بحقوق المرأة اعترض الرأى العام على هذه المصادرة • ويشير الكاتب الى

قوانين مصلحة البريد الأمريكية التى لا تساعد الحكومة على مصادرة المطبوعات • فيقول ان هذه المصلحة تمنح أصحاب الصحف والمجلات امتيازا يسمح لها بالذيوع والانتشار والوصول الى أيدى القراء لقاء رسوم زهيدة • « ومصلحة البريد تعطى هذا الامتياز لجميع الصحف ولا تسترده الا لسببين الأول التعرض لأعراض السيدات (لأى سبب كان ولو كان حقا) • والثانى الدعوى الفوضوية الى القتل • وما عدا ذلك فى وسعك أن تشطح وتمرح كما تشاء كأنك من حيث الحرية فى بدء خلق الأرض يوم كانت خالية من الحكومات والنظارات وأقلام المطبوعات » •

* * *

بعد أن عالجنا موقف الليبرالية من المسرح المصرى نتحدث عن موقف ما يمكن تسميته باليسار من هذا المسرح • فنكرر ما سبق أن ذهبنا اليه من أن هذا اليسار لم يكن يمثل « حركة » أو «تيارا» أو « اتجاها » بل كان يتمثل فى أصوات فردية متفرقة • ولعله ــ كما أسلفنا ــ ليبرالية أفرطت فى التحمس فبدت كاليسار تفوح منها رائحة التمرد الطبقى أو الاجتماعى • كما سوف نرى حين نعالج المضمون الاجتماعى والسياسى فى « مسرحية ابن الشعب » • وفضلا عن هذا ، نشرت صحيفة « الوطن » بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٠٥ مقالا يهاجم كاتبه بشدة اقتراحا ببناء أوبرا جديدة تحل محل الأوبرا القديمة التى لم تعد صالحة للاستعمال • واستند هذا الكاتب فى هجومه الى أن الأوبرا مسرح لا يرتاده سوى الأجانب من القناصل والتجار وأصحاب النفوذ وأن الحكومة تخصص لها اعانة كبيرة تقتطعها من لحم الفلاح ودمه • ونلاحظ فى هذا الهجوم على الأوبرا بعدا اجتماعيا جديدا نفقده فى غيره من الهجمات • فقد الفنا الهجوم على الأوبرا باعتبارها تجسيدا للامتيازات الاستعمارية

وانتهاكا للأماني القومية والوطنية كما نراها تهاجم لأنها تقدم عروضا تستنفر شعور المسلمين الديني مثلما جاء في « المؤيد » بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩٠٥ . ولكن هذا البعد الاجتماعي الذي نراه في هجوم « الوطن » ينم عن وجود تقلصات طبقية وشعور مبهم بالظلم الاجتماعي وبأن الاستعمار مسئول عما يلحق بالفلاح المصري من اجحاف .

ومما يلفت النظر في مقالات الصحف التي تناولت المسرح قبل ثورة ١٩١٩ أن بعض كتابها يتحدث عن المسرح باعتباره احدى طلائع الثورة وبشيرا بالتحرر من أسار الجمود والتخلف كما نطالع في المقال الذي نشره « الأهرام » بتاريخ ٤ يونيه ١٩٠٨ . وفيه يذهب كاتبه الى أن المسرح الفرنسي أشعل لهيب الثورة الفرنسية . فضلا عن أن أيلولة المسرح الى الملكية العامة لم تكن غريبة على الفكر المصري بدليل أن هذا الكاتب يطالب الدولة بأن تأمم المسارح المصرية

وتشرف عليها . ويتضمن البيان الذي أصدرته جمعية التمثيل الوطني والمنشور في صحيفة « الأهرام » في ٧ ديسمبر بتوقيع عبد الحميد فريد ضوءا على بعض الايماءات التي تستحق تمحيص الباحثين . يقول البيان أن الجمعية بصدد افتتاح مدرسة يتلقى فيها الفقراء واليتامى دروسا في التمثيل . ولا شك ان هذه الدعوة وان كانت تبين مدى المهانة الاجتماعية التي تعرض لها المشتغلون بالمسرح المصري . فانها تتضمن في نفس الوقت قدرا من التمرد الاجتماعي لأنها تعني أنه لابد من اعداد اليتامى والمحرومين والمعدمين للاضطلاع بمهمة التمثيل ما دام المتعلمون وأصحاب الدخول يعرضون عنه باعتباره عملا شائنا . وتتجلى لنا ذروة هذا التمرد الاجتماعي في المحاضرة التي ألقاها صيدلي يدعى حسين قدري ونشرتها صحيفة « مصر » بتاريخ ٢٥ مايو ١٩١٤ . وفيها يقول أن اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل أشرف لها من الاشتغال بالدعارة . وأنه اذا أصرت

الفتيات المتعلمات على الاعراض عن الاشتغال بالمسرح ، فلا محيص من انتفاء الموهوبات من جامعات أعقاب السجائر لتلقينهن دروسا فى مبادىء التمثيل . وكتب لويس اسمر المحامى بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٠٨ مقالا يتضمن دعوة الى تحرير المرأة المسلمة والسماح لهـا بالظهور على خشبة المسرح اسوة بما حدث فى المسرح العثمانى .

الفصل الأول

مسرحيات وطنية مصادرة

---

١ ـ مسرحية عرابى

٢ ـ مسرحية دنشواى

٣ ـ مسرحية فى سبيل الاستقلال

٤ ـ مسرحية سهدأء الوطنية

١ ـ مسرحية عرابى

هرج ومرج فى تياترو القبانى :

نشرت صحيفة « الأهرام » بتاريخ ١١ أبريل ١٩٠٠ (ص٢) خبرا مبتسرا يفيد بحدوث هرج ومرج فى تياترو الشيخ أبى خليل القبانى أثناء تقديمه مسرحية (عـرابى باشا) الأمر الذى اضطر الجوق الى التوقف عن التمثيل ، ويصف الخبر النظارة الذين تسببوا فى تعطيل أعمال الفرقة على هذا النحو بأنهم من أسافل القوم ٠ والى هنا ينتهى الخبر الذى أوردته « الأهرام » فى اقتضاب شديد لا يشفى لمتسائل غليلا ٠

ولكن الخبر كما ورد فى صحيفة « المقطم » بتاريخ ١٢ أبريل ١٩٠٠ (ص٢)) يلقى قدرا أكبر من الضوء على ظروف هذا الشغب وملابساته ٠ فقد كتبت هذه الجريدة تقول :

« حدث أول أمس أنه بينما كان أحد الأجواق العربية يمثـل رواية عرابى باشا فى تياترو أبى خليل أفندى القبانى أكثر بعض الحاضرين من الصفير والصياح لضغائن بينهم وبين الممثلين واضطروهم الى ابطال التمثيل ثم أخذوا يرمون بعضهم بالكراسى فحضر رجال البوليس وفرقوا المتجمهرين وكتبوا المحضر اللازم بذلك ٠»

مسرحية عرابى باشا تهاجم الزعيم الوطنى :

من الواضح أن مسرحية « عرابى باشا » التى مثلت فى عام ١٩٠٤ كانت تتضمن قدحا فى هذا الرجل أو تظهر عيوبه على أقل تقدير ٠ ويتجلى لنا ذلك من مقال نشرته مجلة « المطالب » بتاريخ ٨ ابريل ١٩٠٤ (ص ٣) بعنوان (فى الكلام عن رواية تشخيصية باسم عرابى باشا » وفيه يلوم الكاتب الذين يهاجمون عرابى على خشبة المسرح ويعتذر عما ارتكب من أخطاء لأن الأعمال بالنيات ، ولأن عرابى كان يقصد نفع الأمة وليس ضررها ٠

يقول كاتب المقال :

« كثيرون من النبغاء أتوا أعمالا كانت نتائجها وبالا على النوع البشرى ٠ وهم لم يقصدوا عند اتيانهم تلك الأعمال أن تكون سيئة النتيجة ولا أن تكون مضرة بأحد ٠ فهؤلاء مع حسن نياتهم لم يكن من الصواب أن نقدح فيهم اذا لم نشكرهم ٠ وهكذا قام الرجل الكبير عـرابى باشا مسـوقا بحب الوطن وحسـن القصـد فجمع اليه من ساعدوه على مطالب سامية لو تمت لكانت هى الراقية بالوطن الى ما يجعله فى مصاف تلك الأمم الحية الراقية ٠ »

وبعد أن يعدد كاتب المقال مآثر عرابى ومن بينها أنه سبق غيره فى المطالبة بحكم نيابى ، نراه يعترض على تمثيل رواية عرابى لأنها تتضمن تشـهيرا برجل أخلص لبلاده كل الاخـلاص ، فضلا عن أنه لا يليق بالمصريين أن ينسبوا الى هذا الرجل الشهم سـوء حالتهم ٠ « فهذا الرجل الذى عدنا نطالب ببعض مطالبه (أى الحكم النيابى) ٠ هو الرجل الشهم الوطنى الوحيـد وليس من الحق فى شىء أن ينسب اليه سوء حالتنا أو عقبى مصيرنا ٠ واذا نسبنا اليه شيئا من ذلك فأولى بنا أن نبدأ بغيره ونختم به ٠ والذى حدا بنا

الى ذكر هذا ما قام به بعض الأفراد من التقدم على تمثيل رواية باسم هذا الرجل • ولا ندرى ما الغرض من تمثيلها اذا كان هو انتصار عساكرنا فى تلك الموقعة أم اتحـاد رجالنا وأمانتهم وصداقتهم أم النتائج التى نتجت عن ذلك • أم نمثل بهذا الرجل فنظهر للملأ المصرى أنه خائن وطنه بما نتخيله بالنظر القصير وعدم وقوفنا على حقائق ما كان فى ذلك الزمان » •

ويختتم الكاتب مقاله بقوله ان المسرحية تشوه الواقع وتزيف حقيقة عرابى وما حدث له • « ان هذه الرواية لم يكن من الحكمـة تمثيلها لأننا لا نستفيد منها غير التألم من اعادة ذكرى موقعة مهما مثلناها فلم تكن لنا الحرية فى أن نمثلها على حقيقتها » •

الحكومة تصرح بتمثيل مسرحية « عرابى باشا » ثم تصادرها :

يلاحظ المتتبع لمسرحية عرابى باشا أن الغموض يكتنفها تأليفا ونصا • اذ أنه من الواضح أن هذه المسرحية كانت تهاجم عرابى وتحمله مسئولية ما لحق بالمصريين من شر وبلاء • وتفيد أخبار الصحف الصادرة بين عامى ١٩٠٠ و ١٩٠٧ بأن السلطة كانت تسمح بتكرار تمثيلها دون أن تجد فيها ما يكدر عليها صفوها • ولكن الغريب فى الأمر أن نجد أن هذه المسرحية تتعرض للمصادرة فى عام ١٩٠٩ ، شأنها فى ذلك شأن رواية « حمام دنشواى » ، كما يتضح لنا مما كتبته جريدة « وادى النيل » بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٠٩ (ص٢) :

« وقد نبه رجال البوليس على مديرى التياترات بعدم السماح للمدعو حسن مرعى بتمثيل رواية ما ، والسبب فى ذلك أن هـذا الشاب تعود أن يمثل بين حين وآخر رواية (عرابى) تارة ورواية (حمام دنشواى) تارة أخرى وكلتا الروايتين مما لا يروق لرجال حكومتنا الأكرمين » •

قلنا ان الغموض يكتنف مسرحية « عرابى باشا » تأليفا ونصا، وليس أدل على ذلك من أننا نرى اثنين من المؤلفين ينسبان هـــذه المسرحية اليهما . فالمؤلف حسن رمزى يذهب الى أنه صاحبها . فضلا عن أن صحيفة « الظاهر » الصادرة بتاريخ ٣ فبراير ١٩٠٧ (ص٣) تشير الى أن عبد الفتاح رفعت هو مؤلف مسرحية «عرابى».

وأغلب الظن أن المسرح المصرى شاهد أكثر من نص مسرحى معروف باسم « عرابى باشا » وأن هذه النصوص المسرحية المتعددة أشد ما تكون اختلافا فى هدفها ومضمونها . ويفسر لنا هذا لماذا سمحت السلطة بتمثيل هذه الرواية فى الفترة بين ١٩٠٠ و ١٩٠٤، فمن الواضح أن النص المسرحى الذى قدم على خشبة المسرح آنذاك يتضمن هجوما على عرابى وقدحا فيه . وهو أمر يكفينا لاقامةالدليل على صحته أن نذكر ما جاء فى المقال الذى نشرته مجلة « المطالب » فى هذا الموضوع .

أما النص المسرحى الآخر – اذا لم تكن هناك نصوص مسرحية أخرى – فيرفع من شأن عرابى ويمجده ، الأمر الذى دفع السلطة الى حظر تمثيله في عام ١٩٠٩ . ويبدو أن السلطة قد سمحت بتمثيل هذا النص الذى يمدح عرابى ، حتى بدأت تستشعر أن الخطر يتهددها من جرائه فقررت مصادرته كما أخبرتنا بذلك جريدة «وادى النيل» فى مقالها المشار اليه .

٢ ـ مسرحية دنشواى

مصادرة مسرحية دنشواى عام ١٩٠٦ :

اذا كان الغموض يكتنف السماح بتمثيل رواية «عرابى باشا» ثم مصادرتها ، فان ظروف مصادرة مسرحية «دنشواى» أشد ما تكون وضوحا ، فطبيعة هذه المسرحية ذات طابع قومى حساس يمس شغاف كل المصريين • وقد يختلف المصريون فى نظرتهم الى عرابى ، ولكنهم يأتلفون عندما يذكرون بشاعة ما حدث فى دنشواى على أيدى الاحتلال البريطانى •

نستدل من الأخبار الواردة فى صحيفة « اللواء » بتاريخ ١٢ يوليه ١٩٠٦ (ص٣) أن الحكومة أصدرت أمرا بمنع تمثيل رواية « دنشواى » • يقول « اللواء » فى هذا الصدد :

« منعت الحكومة تمثيل رواية حادثة دنشواى التى سبق الاعلان عن تمثيلها يوم ١٩ أغسطس القادم فى تياترو حديقة الأزبكية بمعرفة حسن أفندى مرعى حتى لا تزيد الناس أشجانا والقلوب أحزانا بعرض أفظع من مظاهر القسوة والجبروت » •

ولكن هذا الحظر لم يفت فى عضد مؤلف المسرحية فقد قام بطبعها وأذاعتها فى الناس تحت عنوان « رواية صيد الحمام » كما

يتضح لنا فى الخبر التالى الذى نشرته جريدة « اللواء » بتاريخ ٢٩ أغسطس ١٩٠٦ (ص ٣) :

« ظهرت رواية صيد الحمام فى حادثة دنشواى التى وضعها حضرة صاحب مجلة الصحائف ولكن منع من تمثيلها فى المسارح وقد طبعها وعرضها للبيع ٠ »

عودة الحكومة الى مصادرة « دنشواى » عام ١٩٠٨ :

قررت الحكومة بعد انقضاء عامين على قرار حظر مسرحية دنشواى الأول عام ١٩٠٦ أن تصادر هذه المسرحية للمرة الثانية فى عام ١٩٠٨ ، كما يتضح لنا فى هذا الخبر المقتضب الذى نشرته صحيفة « الجريدة » بتاريخ ٧ يوليه ١٩٠٨ (ص ٥) :
« رواية دنشواى : طلب بعضهم الى نظارة الداخلية تمثيل رواية دنشواى فكتبت نظارة الداخلية أمس الى الحكمدارية تستطلع رأيها فى هذا الشأن ، فرفضت الحكمدارية رفضا باتا قبول تمثيل هذه الرواية ٠ »

احتجاج مؤلف المسرحية على المصادرة وسخريته من الحكومة :

وأسخط هذا العنت من جانب السلطة مؤلف الرواية سخطا لا حد له ٠ فكتب احتجاجا شديد اللهجة على هذا التعسف نشرته له جريدة « الأهرام » بتاريخ ٢٠ يوليه ١٩٠٨ يعترض فيه على المصادرة ويتحدى أجهزة السلطة ويسخر منها ٠

« حضرة الفاضل صاحب جريدة الأهرام الغراء :

« أخبرنى اليوم قلم ضبط نظارة الداخلية بمعارضة حكمدارية العاصمة وعدم موافقتها على تمثيل روايتى دنشواى (شأن كل من

لا يفهم فى الشىء شيئا خلاف تصوره بأنه مسئول فلا يوافق على ما يطلب منه) ، فأخبرت سعادة مدير القلم المذكور آنفا بعدم قبولى وموافقتى أنا الآخر على كل ما أخبرونى متى كان الخبر والأمر خاليين من كل صبغة رسمية • ولم يوجد قديما فى القوانين والنظامات ما يمنعنى عن تمثيل أى رواية كانت سيما تلك الرواية تعتبر من مؤلفات الحاكم • وقد ألفت وفعلت فعلا بواسطة رجال الحكومة وكان ذلك فى أبشع وأفظع منظر وذلك عيانا جهارا أمام جمهور عظيم من المخلوقات • وهـذا كله أكثر بكثير مما أريد فعله أنا فى تمثيل روايتى المذكورة • وأخيرا طلبت من سعادة المدير أنه لا يمكن منع تمثيل تلك الرواية الا بقرار رسمى من نظارة الداخلية لأبنى عليه احتجاجى وشكواى وقضيتى • وعلى هذا شرع سعادة المدير فى عرض الرواية والأوراق (الطلب والمنع) على رئاسة النظارة وأخذ رأيها وكلفونى بالانتظار •• وان طال فلا انتظر •

حسن رمزى

صاحب روايتى دنشواى وعرابى

ولعل ما يلفت النظر فى هذا الاحتجاج هو لهجة الاستهزاء الصريح بالسلطة الحاكمة فمؤلف المسرحية يقول ان هذه السلطة اقترفت فظائع دنشواى فى الواقع ، فلماذا تعترض على مجرد تمثيلها على خشبة المسرح •

٣ ـ مسرحية فى سبيل الاستقلال

المسرحية تمثل ليلة واحدة ثم تصادر :

فى عـام ١٩٠٨ ألف ابراهيم سليم النجار مسرحية بعنـوان « فى سبيل الاستقلال » تعرضت للمصادرة بعض الوقت ٠ ولكن هذه المصادرة لم تدم طويلا ٠ وكان السبب فى مصـادرة الحكومة الموقوته لها أنها رأت أن تتأكد أنه ليس فى مضمون المسرحية مساس بمحمد على ٠

تشير صحيفة « المؤيد » بتاريخ ١٢ أبريل ١٩٠٨ (ص ٢) الى ما يلى : « سيمثل جوق عزيز أفندى عيد مساء يوم ١٣ الجارى (رواية فى سبيل الاستقلال) فى دار التمثيل العربى وهى بقلم حضرة الفاضل ابراهيم سليم النجار تضمنت تاريخ مصر فى زمن المماليك ومحمد على باشا واليها نحض القراء على حضورها ٠ »

ويتضح لنا من مجرى الأحداث ان حكمدارية العاصمة تدخلت لمنع تمثيلها بعد مضى يوم واحد على تقديمها على خشبة المسرح حتى تطلع على نصها قبل أن توافق عليه فقد جاء بصحيفة « الجريدة » بتاريخ ١٤ مايو ١٩٠٨ (ص ٥) ما يلى :

« روايه ممنوعه : كنت عزمت على تمثيل روايه (فى سبيل الاستقلال) مساء يوم غد الجمعة ووزعت أوراقها . ولما كانت حكمدارية العاصمة طلبت الى اليوم الاطلاع على الرواية المذكورة قبل أن تسمح بتمثيلها ثانية فقد قدمت لها نسختها اليوم . وبناء على ذلك أعلن حضرات الذين اشتروا تذاكرها أننى أجلت التمثيل الى موعد آخر أعينه بعد أن تصيرها الحكمدارية الى سامحة بتمثيلها .

ابراهيم سليم النجار

ولكن هذا المنع المؤقت جاء بعد تقديمها على خشبة المسرح فعلا فى التاريخ المحدد لها وهو ١٣ أبريل ١٩٠٨ كما ورد فى الخبر الذى نشرته صحيفة « المؤيد » فى هذا الصدد . والدليل على ذلك أن جريدة « الأهرام » طالعتنا بمقال نقدى يتناول هذه المسرحية تأليفاً وتمثيلا - سنعرض له بالتفصيل - بتاريخ ١٥ أبريل ١٩٠٨ (ص ٣) . غير أن تمثيلها لم يدم أكثر من ليلة واحدة فقد نشرت « الأهرام » فى ١٤ أبريل ١٩٠٨ (ص ٣) خبرا بعنوان « تأجيل سبيل الاستقلال » كما طالعتنا صحيفة « الجريدة » فى نفس هذا التاريخ ص (٥) بخبر تحت عنوان « مصادرة فى سبيل الاستقلال » ولكن الذى يلفت النظر فى أمر هذه المصادرة أنها لم تمنع صحيفة « الأهرام » من أن تنشر نقدا مستفيضا يتضمن قدرا كبيرا من الثناء على المسرحية فى اليوم التالى أى فى ١٥ أبريل ١٩٠٨ كما أسلفنا .

ناقد يستعدى الحكومة على مؤلف المسرحية :

ولكن صحيفة « المؤيد » نشرت خطابا بقلم سليمان فوزى بتاريخ ١٤ أبريل ١٩٠٨ (ص ٥) عن هذه المسرحية لعله كان أحد أسباب المصادرة المباشرة .

وفيما يلي نص هذا الخطاب :

« حضرت البارحة تمثيل رواية (فى ســـبيل الاستقلال) الموضوعة بقلم ابراهيم أفندى النجار فكانت كلها نفثات عداء وشرر أحقاد أراد بها ذلك (المقطمى) أن يبذر بذور الشقاق بين المصريين والأتراك وأن يضع العثرات فى سبيل نهوضنا عرض فيها بالأمير محمد على باشا الكبير رأس العائلة الخديوية تعريضا شائنا حيث حاول ان يظهره بمظهر الوحش الكاسر والانسان الذى لا قلب له ولا شعور ، يقتل فى وقت الآذان ويسمع فى وقت واحد من يقول حى على الفلاح ومن يصرخ مستغيثا من آلام السكين التى تحز فى رقبته ، فلا يرجف له فؤاد ولا تهتز له نفس ، سمعت كل هذا فلم أطق أن اسكت وقمت فى وســط دار التمثيل ونبهت الناس الى دسائس المؤلف وأشرت الى أن فى تاريخ آبائنا وأجدادنا من الحوادث العظيمة التى تبعث الهمم فى النفوس وتحيى العزائم وتقوم الأخلاق الشىء الكثير مما لو التفت اليه كتابنا واستخلصوا منه مجموعة روايات تمثيلية لسدوا نقصا كبيرا مراسحنا فى أشد الحاجة اليه وقفلوا بابا مفتوحا أمام العدو ربما يتمكن من تعطيل مصالحنا علينا منه .

« ولهذا فأنا استحلفكم بشرف الوطنية أن تشيروا الى هذا وأن تشددوا الحملة على مؤلف الرواية الذى لم يراع أحساس الناس ، ولا أدرى ان كان لم يحسن الاختيار أم أراد أن يضــع السم فى الدسم . »

ولكن صحيفة « المؤيد » نشرت هذا الهجوم الشديد على موضوع المسرحية ومؤلفها بحذر وحيطة . فقد علقت على هذا الهجوم بقولها: « لم يحضر تمثيل هذه الرواية أحد من محررى المؤيد حتى كان

يوافق الكاتب على ملاحظاته أو يخالفه ، ولذلك أكتفينا بنشر خطابه كما هو تحت مسئوليته » .

الرقابة تجيز تمثيل « فى سبيل الاستقلال » فى نهاية الأمر :

ومما يدفعنا الى التشكيك فى نوايا الناقد أن جريدة «الأهرام» طالعتنا فى اليوم التالى بمقال لا يحمل توقيعا يشيد بهذه المسرحية من حيث أمانة مضمونها التاريخى بالرغم من سخطه عليها من وجهة النظر الفنيــة البحتة . فضلا عن أن الرقابة أجازت بعد المصــادرة مسرحية « فى سبيل الاستقلال » دون أن تبدل فيها شيئا كمايتجلى لنا من بيان قصير بتوقيع مؤلفها ابراهيم النجــار منشور بجريدة « الأهرام » فى ٢٢ مايو ١٩٠٨ فيما يلى نصه : « أعادت الى حكمدارية العاصمة رواية فى سبيل الاستقلال التى طلبت الى الوقوف عليهــا دون أن تبدل فيها شيئا مجيزة تمثيلها . واجابة لرغبة كثيرين من الأصدقاء فى مدينتى المنصورة وطنطا الذين رغبوا فى مشاهدتها قد عزمت على تمثيلها ليلة الأحد ٣٠ الجارى فى المنصــــورة وليلة الاثنين منه فى طنطا . أما فى العاصمة فسأعيد تمثيلها يوم الخميس ٤ يونية وسيقوم بتمثيلها جوق مؤلف من خيرة الممثلين فى هذا القطر خبرة وفنا » .

ناقد « الاهرام » يعدد عيوب ومحاسن المسرحية :

جاء فى المقال المشار اليه الذى نشرته « الأهرام » تحت عنوان « مراسحنا » أن المهتمين بفن التمثيل ينحون على محررى الصحف بالملامة لأنهم يتجاهلون هذا الفن فيما يكتبون . ويحاول الكاتب أن يجد للصحف أعذارا لاعراضها عن النقد المسرحى فيقول : « ان معظم رواياتنا التمثيلية هى روايات منقولة لا موضوعة عربت من الأجانب وتعريبها بالاجمال مقبول ومنها ما هو حسن فلا يجد الناقد والحالة

هذه مجالا لنقد أفكار الكاتب ومبادئه وتنسيق مشاهد رواياته . وقد لا يكون هذا العذر كافيا بل ان هناك غيره ، ربما كان فيه سبب الشر . وهو عدم ميلنا الى النقد ، بل جهلنا هذا الفن . فالمنتقد يحرج والمنتقد عليه يتأثر لأنه يأبى الا أن يلقب بالكاتب البليغ أو الممثل المبدع ، وان لم يكن هنـــاك لا بلاغة فى الكتابة ولا ابداع فى التمثيل » .

ويستطرد ناقد « الأهرام » فيقول انه يسره أن يتناول بالنقد مسرحية « فى سبيل الاستقلال » التى ألفها ابراهيم سليم النجار أولا لأن هذه المسرحية مؤلفة وليست معربة وفضل التأليف أكبر من فضل التعريب . وثانيا لأن المؤلف ـ كما هو معروف عنه ، فنان أصيل لا يتبرم بالرأى الحر ولا يضايقه النقد الموضوعى . وبالرغم من أن هذا الناقد يعتبر مأساة « فى سبيل الاستقلال » خطوة كبرى نحو رقى المسرح المصرى الذى لا يزال فى المهد ، فانه يأخذ عليها افتقارها الى وحدة الموضوع وعدم التركيز على شخصية البطل فضلا عن أنها لا تلقى لنا ضوءا على ظروف الأحداث ومكانها وزمانها ، كما أنها لا تشوقنا للوقوف على مصير هذا البطل فى ختام المسرحية .

« وأول ما يؤخذ على هذه المأساة هو عدم وجود وحدة الموضوع فيها . فقد رأينا فى الفصل الأول شابا تاق الى خلع نير الأجانب عن بلاده ثم غاب عنا ولم نعد نشاهده فى الفصل الثانى دائرا على مقابلات مختلفة فى قصر محمد على باشا ، وهى لا تكاد تفيد الموضوع الأساسى شيئا . أما الفصل الثالث فقد رأينا فيه صاحبنا مصطفى بطل الفصل الأول يعود من ساحة الوغى وحياته تفيض مع دمه . وعليه فلم نعرف من هو بطل الرواية ودائرة حوادثها . ومن المعروف أن فى الروايات التمثيلية كما فى كل كتـابة يوجـد مقدمة تعرفنا ما نحن بحاجة الى معرفته من أحوال الموضوع والمكان والزمان . وعقدة تشتبك فيها الحوادث وتنشأ عنها العراقيل بوجه البطل حتى

تبيت تنازعنا عواطف الخوف وشعائر الرغبة الشديدة فى نجاح مساعيه واخفاق خصومه فتنشأ فى نفوسنا شيئا فشيئا عوامل الميل الى الوقوف على أخباره حتى تجىء الخاتمة مفجعة أو مرضية فترتاح اليها النفوس ، الأمر الذى لم نره فى رواية « فى سبيل الاستقلال » اذ لم نجد فيها ذاك البطل الذى تتجه اليه الأبصـــار ولا اشتباك الحوادث الذى يولد فى النفس التشويق الى معرفة الآتى لأن الفصل الثانى وهو عقدة الرواية جاء مضعفا للموضوع مستقلا عنه » .

ويعيب كاتب المقال على المسرحية أيضـــا عدم عنايتها برسم الشخصيات فيقول :

« وهناك شرط ثان يجب مراعاته فى الروايات وهو حسن الطباع أو الأخلاق فى كل شخص من أفراد الحادثة ممتازا بفضيلة أو رذيلة تحببه الينـا أو تنفرنا منـه . ومن اختلاف هذه الطباع والأميال فى الأشخاص تتولد الفائدة واللذة . ولم نر الا الجندى مصطفى يمثل لنا حب الوطن . أما الباقون فلم نفهم لهم طبعا ولا ميلا كأنهم أفواه تتكلم لا قلوب تتحرك بشعائر مختلفة الغايات . وكم كنا نود لو شاهدنا تجاه من مثل لنا حب الوطن والتفانى فى سبيله رجلا خائنا مثلا . فلو وجد هـذا الشخص لكانت ظهرت فضيلة الأول بمظهر أشد وأبهى وبعدها نتبين الأشياء »

وأخيرا يختتم الكاتب مقاله بقوله ان لهذه المسرحية محاسن عديدة بالرغم من كل الشوائب التى تشوبها :

« ان المؤلف قد تتبع التاريخ وظل أمينا على حوادثه فاطلعنا على صفحة جميلة من تاريخ مصر بلا تعقد ولا ادعاء ..أما عبارته فهى العبارة المثلى لهذه المواضيع فقد جمعت بين البلاغة والفصاحة بحيث أن الأديب يرتاح اليها والساذج يفهم كل معانيها والانشاء

يتراوح كما يجب .. حسب العواطف التى يعبر عنها . وهذه ميزة ثمينة . وفى الرواية أبيات حسنة السبك سامية المعنى تأخذ أحيانا بمجامع القلوب . وهناك أيضا بعض مبادىء وطنية وشىء من روح الحرية تثلج له الصدور .. أما الممثلون فقد رأينا بأسف أنهم بأشد الحاجة الى درس مبادىء التمثيل الأولية .. »

٤ ـ مسرحية شهداء الوطنية

التصريح بتمثيل شهداء الوطنية :

يلاحظ المتتبع لمسرحية « شهداء الوطنية » أنها لم تكن فى بادىء الأمر مصدرا لازعاج السلطات التى لم تجد غضاضة فى السماح بتمثيلها ، كما أنها لم تجد ما يدعوها للقلق أو التخوف . وليس أدل على ذلك من أن الأخبار الواردة فى الصحف والدوريات الصادرة فى الفترة بين عام ١٩٠٠ و ١٩٠٥ تبين لنا أن هذه السلطات صرحت بتكرار تمثيلها دون أدنى خوف أو حرج (١) .

ولكن الأمر غدا مختلفا غاية الاختلاف قرب نهاية العقد الاول من القرن العشرين ففى عام ١٩٠٦ تعرضت هذه المسرحية للمصادرة وتدخلت السلطات تدخلا سافرا لمنع تمثيلها . وليس هناك تفسير لهذا الاختلاف سوى تغير ردود فعل جمهور المسرح تجاه هذه المسرحية وتغير الجو السياسى الذى مثلت فيه فمن الواضح ـ كما سنرى ـ أن هذه المسرحية لم تكن تثير خواطر الناس من الناحية

---

(١) انظر جريدة « البصير » فى ٩ يولية ١٩٠٣ (ص ٢) وجريدة « الوطن » فى ١٠ يوليه (ص ٢) وجريدة « المؤيد » فى ١١ نوفمبر ١٩٠٥ (ص ٥) .

السياسية في بادىء الأمر ، ولكنها أصبحت فيما بعد مصدرا لقلق السلطة الحاكمة وتهديدا مباشرا لها عند ما تبلورت فكرة المناداة بالحرية والمطالبة بالدستور فى ذهن الشعب المصرى ، الأمر الذى دفعها الى قمع هذه المسرحية حتى لا تنفجر أسباب الثورة ٠

جمعية مرقاة التمثيل تقدم « شهداء الوطنية » (١٩٠٠)

تشير جريدة « البصير » بتاريخ ٦ ديسمبر ١٩٠٠ (ص ٢) الى ان جمعية مرقاة التمثيل فى ثغر الاسكندرية برئاسة سليمان حداد عزمت على تمثيل مسرحية « شهداء الوطنية » يوم ١٥ ديسمبر في معلب زيزنيا ٠ وتخبرنا هذه الصحيفة أن معربها هو الأديب البارع زاكى أفندى مابرو الذى وضعها بألطف أسلوب بحيث لم يذهب بشىء من محاسنها على ما يجرى عليه بعض المعربين بل زاد فى رشاقتها بما أدخل عليها من ضروب التحسين ٠ ويختتم «البصير» الخبر بأمله أن تلقى المسرحية قبولا حسنا لدى المشاهدين ، لما اتخذ لها من المعدات ولما اشتهر به أعضاء هذه الجمعية التمثيلية من المهارة فى التمثيل وسلامة الذوق فى اختيار الرويات الجديدة ٠

وتطالعنا « البصير » بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٠٠ (ص ٢)

وهو نفس اليوم الذى مثلت فيه المسرحية ـ بخبر يشير الى مؤلفها فيكتوريان ساردو والى خطبة اسماعيل عاصم التى سوف تتخلل تمثيلها :

« تمثل اليوم جمعية مرقاة التمثيل رواية (شهداء الوطنية) فى تياترو زيزنيا وهى رواية تاريخية جليلة الموضوع وضعها فى الافرنسية فيكتوريان ساردو الروائى الشهير ونقلها الى العربية حضرة الأديب البارع زاكى افندى مابرو ٠ وقد اقتنعت هذه الجمعية باتقانها خير اتقان وسيلقى فى خلالها حضرة الخطيب الأصولى الشهير اسماعيل بك عاصم خطابا أنيقا موضوعه أساس التمدن ٠ »

وبعد تمثيل مسرحية « شهداء الوطنية » بيومين نشرت صحيفة « البصير » بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٠٠ (ص ٢) الخبر التالى :

« احتفلت أول أمس جمعية مرقاة التمثيل بالقاء رواية « شهداء الوطنية » تعريب حضرة الأديب البارع زاكى أفندى مابرو ٠ وقد قام بتمثيلها أعضاء الجمعية وأجادوا كثيرا ولا سيما حضرة الأديب سليمان أفندى حداد ممثل دور كارلو وحضرة الياس أفندى نحاس والسيدة أديل ممثلة دور رواوريس وكانت الليلة شائقة والحضور عديدون والموسيقى تصدح أثناء الفصول ٠ وقد خرج المشاهدون مسرورين جدا من حسن ما رأوا وسمعوا وهم يرددون ثناءهم على حضرات رئيس الجمعية سليمان افندى حداد وسكرتيرها الياس أفندى نحاس ويثنون على الرواية وحضرة معربها اجمل ثناء ٠٠ »

الحكومة تصادر « شهداء الوطنية » فى تياترو اسكندر فرح :

ولكن هذه السماحة السياسية لم يقيض لها أن تدوم ، فقد لجأت الحكومة الى أسلوب القمع وحظرت عرض « شهداء الوطنية » فى ديسمبر ١٩٠٩ حين عزم جوق اسكندر فرح على تمثيلها بالتياترو المصرى بشارع عبد العزيز ، كما يدلنا على ذلك الخبر الهام الذى نشرته صحيفة « الجريدة » فى اقتضاب شديد بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٠٩ (ص ٤) ٠

« التمثيل فى مصر ـ علمنا أن الحكومة عزمت على ابلاغ أصحاب التياترات فى المدن التنبيه عليها بأن لا تمثل رواية الا بعد التصديق عليها من محافظتهم التى هم بها وختمها بختم الجهة والاذن لها بتكرار تمثيلها وبمنع تمثيليـة رواية (شهداء الوطنية) التى مثلت فى تياترو حضرة اسكندر أفندى فرح بشارع عبد العزيز ليلة الجمعة الماضية ٠ »

سخط الصحافة على مصادرة « شهداء الوطنية » :

تناولت صحيفة « وادى النيل » موضوع حظر «شهداء الوطنية» بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٠٩ (ص ٢) تحت عنوان «الحكومة والتمثيل» فكتبت فى هذا الصدد تقول :

« حدث لسوء حظ التمثيل أن شركة التمثيل العربى .. مثلت أخيرا رواية (شهداء الوطنية) فى التياترو المصرى وهى رواية معربة عن الافرنسية بقلم الكاتب الاديب زاكى أفندى مابرو ومشهورة عند الفرنساويين باسم (الوطن) فحضر سعادة الفاضل محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى هذه الرواية . ولما كانت تمثل الحالة الحاضرة فى مصر كتب عنها (اللواء) مقالة رنانة فى محلياته نبهت أذهان رجال البوليس فتخيلوا أن وراء الأكمة ما وراءها وأن الشعب عمد الى استخدام التمثيل فى نيل رغباته ، كما فعل رجال فرنسا من قبل فى اصلاح شئونهم الاجتماعية فى عهد فولتير . قلنا انهم تخيلوا ما تخيلوا فدفعهم ذلك الى مخابرة نظارة الداخلية . وهذه رأت أن رجال البوليس على صواب فى نظرها ، فقررت استدعاء أصحاب التياترات ومديرى الأجواق للتنبيه عليهم بأنه لم يعد مرخصا لهم تمثيل أية رواية الا بعد الحصول على الترخيص من المحافظة . »

المسرح المصرى يواجه السلطة :

ولكن قرار حظر تمثيل « شهداء الوطنية » أصبح في واقع الأمر حبرا على ورق ، اذ أنه يتجلى لنا من سياق الأحداث أن بعض آجواق التمثيل قد ضربت بقرار الحظر عرض الحائط وتجاهلته بما يشبه الازدراء الصامت متحدية اياه بالفعل دون القول ، والدليل على ذلك أن الممثلين واصلوا تقديم رواية « شهداء الوطنية » بعد انقضاء

ماينيف عن أسبوعين فقط من قرار المصادرة • ففى أول يناير ١٩١٠ (ص ٦) نشرت « الجريدة » خبرا فيما يلى نصه : « التياترو المصرى تمثل شركة التمثيل العربى فى التياترو المصرى بأول شارع عبد العزيز فى مساء اليوم رواية شهداء الوطنية وتختم بفصل مضحك جديد • »

فضلا عن ذلك أننا نرى صحيفة « المحروسة » الصادرة بتاريخ ٢٦ مارس ١٩١٠ تحث قراءها على الاقبال على مشاهدة مسرحية (شهداء الوطنية) وتصفها بأنها « من الطف الروايات المصرية ذاته المناظر الجميلة مما يؤثر فى القلوب •

وبالرغم من أن المرء لا يستطيع أن يتبين على وجه التحديد رد فعل الحكومة المباشر ازاء هذا الاستخفاف الظاهر بأوامرها فانه من السهل عليه أن يتصور موقف بعض اجواق التمثيل من قرار المصادرة وأرى أنه يمكن تلخيص هذا الموقف فى أمرين ليس هناك بالضرورة تعارض بينهما ، وأول هذين الأمرين أن هذه الأجواق استمرت فى تحدى السلطة تحديا مباشرا وصريحا وذلك بمواصلة تقديم المسرحية المصادرة من خلف ظهر الحكومة كلما كان الى ذلك سبيل وثانيهما أن هذه الأجواق تظاهرت بالانصياع شكلا لأوامر السلطة مع رفضها موضوعا فى نفس الوقت • أى أنها آثرت أن تقاوم السلطة بأسلوب غير مباشر وعلى أية حال ، استطاعت بعض أجواق التمثيل أن تجعل أسلوبها فى المقاومة أشـــد خطرا على السلطة من مجرد تشخيص الروايات الوطنية وذلك بأن حولت المسرح المصرى من منتدى للفن أو للترفيه (أو الفن والترفيه معا) الى منتدى سياسى يلعب فيه التمثيل دورا يكاد أحيانا أن يكون ثانويا • وجعلت هذه الأجواق من المسرح نفســه وليس من المسرحية فحسب ـ أداة فعالة لاثارة الأفكار وتهييج الخواطر وذلك عن طريق تقديم مسرحيات بريئة تجيزها السلطة ثم السماح لبعض الخطباء أن يعتلوا خشبة المسرح

لالقاء كلماتهم النارية الملتهبة فى تمجيد الحرية على الحاضرين ، أو باضافة عبارات ليس لها وجود فى النص المسرحى المصرح به كما سنلاحظ فيما بعد ٠

مظهر آخر من مظاهر الاستخفاف بالسلطة :

السخرية من أصحاب الرتب والنياشين :

وقبل أن نتحدث عما أدى اليه ذلك من استفحال الأمور وتدخل البوليس تدخلا سافرا فى شئون المسرح ، يجدر بنا أن نشير الى مظهر آخر من مظاهر الاستخفاف بالسلطة حتى فى وجود الخديوى نفسه وهو ممثلها الأعلى ٠٠ فقد ذكرت لنا صحيفة « وادى النيل » فى عددها الذى تناولت فيه مصادرة « شهداء الوطنية » أن المسرح المصرى كان يقدم بعض المسرحيات التى تعرض بالجهلة والأميين من أصحاب الرتب والنياشين تقول هذه الصحيفة :

« فى ٥ ديسمبر الجارى أحيت الجمعية الاسلامية ليلتها السنوية المعتادة فى حديقة الازبكية وأقامت ليلة تمثيلية شائقة فى الاوبرا الخديوية مثل فيها أفراد شركة التمثيل العربى الجديدة رواية (العواطف الشريفة) المشهورة لدى الغربيين باسم (رئيس معامل الحديد) ٠ وقد صادف أن سمو الخديوى المعظم تنازل فحضر التمثيل بنفسه ٠ ولكن بينما كان الممثلون يمثلون الفصل الاول من هذه الرواية قال أحدهم جوابا على فتاة ترغب الزواج بذى لقب سام طمعا باللقب لا سواه (لا تغترى بالرتب والنياشين فقد اصبحت هذه الايام كالسلع تباع فى الاسواق) ٠

« والذى يعلم تنديد بعض الصحف بالرتب والنياشين منذ أربعة أعوام حتى الآن يدرك لأول وهلة ما لهذه الجملة من التأثير على السامعين لا سيما بعد أن خدعت المعية فأنعم الرتب والأوسمة

على نفر من الجاهلين والأميين . وقد كان بعض رجـال البوليس حاضرين التمثيل فقيدوا هذه الجملة فى سجل النمائم فاهتمت لها محافظة العاصمة كثيرا » .

تدخل البوليس السافر فى المسرح :

ويفسر لنا هذا لجوء البوليس ـ بعد نحو ستة شهور من قرار حظر « شهداء الوطنية » الصادر فى ديسمبر ١٩٠٩ ـ الى التدخل السافر فى نشـاط المسرح كما يتجـلى لنا من هاتين الوثيقتين التاليتين : ـ

« البوليس فى التياترات العربية : قررت الحكومة فى الأيام الأخيرة مراقبة المجتمعات والتياترات العربية وأخذت المحافظة منذ أيام ترسل عددا من بلوك الخفر وعددا من البوليس السرى الى كل تياترو عربى فى ليلة التمثيل تحت امرة مأمور القسم الذى يكون التياترو في دائرته لمنع الممثلين من تمثيل روايات لم تصرح بها الحكومة أو منع من يريد القاء خطبة مهيجة يعاقب عليها القانون .

« وكان جوق التياترو المصرى الكائن بشارع عبد العزيز يمثل أمس رواية (نقولا كارتر) (١) فحضر حضرة مأمور القسم رزق أفندى ابراهيم ومعه نحو عشرين عسـكريا من بلوك الخفر وبعض رجال البوليس السرى ودخل بهم التياترو فدهش الموجودون من هذه الحركة . فنأمل أن تكون المراقبـة على طريقة أخـرى بعد اليوم » .

(الجريدة ٣ يوليه ١٩١٠ ، ص ٥)

---

(١) تعريب ديمترى نيقولا .

أما الوثيقة الثانية ففيما يلي نصها

« مراقبة التياترات العربية : علم القراء ما كتبناه منذ أيام تحت هذا العنوان عن قرار الحكومة المتعلق بمراقبـة المجتمعات العربية والتياترات العربية وعرفوا أن المحافظة أصدرت الأوامر اللازمة الى حضرات مأمورى الأقسام بايقاف الخطباء الذين يرون من بهجتهم حماسا يخشى منها على النظام ٠

« وقد حدث مساء أول أمس أن أحد أجواق التمثيل العربى مثل فى التياترو المصرى لحضرة اسكندر أفندى فرح رواية (ضحايا الجهل) فوقف فى خلال الفصل الثالث والرابع حضرة امام أفندى العبد وارتجل خطبة ذكر فيها فضـل الحرية ووجوب طلبها ولو اقتحمت فى سبيلها الأخطار ٠ وكان حضرة رزق ابراهيم أفندى مأمور قسم الموسكي ومعه فرقة من البوليس موجودين داخـل التياترو فقام للحال حضرة المأمور واستوقف الخطيب فترك الخطيب مركزه ثم أخذ المأمور منه خطبة أخرى كان يريد تلاوتها ٠ ثم وقف العساكر وأطفئت الأنوار وذهب حضرة المأمور ومعه الخطيب وحسن كامل أفندى رئيس جوق التمثيل الى مركز القسم وأثبت ما حدث فى دفتر الأحوال ثم انصرف الخطيب ورئيس الجوق » ٠ (الجريدة ٩ يولية ١٩١٠ ، ص ٥) ٠

حملة « اللواء » الشعواء على تدخل البوليس فى المسرح :

ويتضح لنا مما نشرته « اللواء » تحت عنوان « حرية الاجتماع فى مصر » بتاريخ ٣ يوليه ١٩١٠ (ص ٤) أن هذه الاجراءات التى اتخذتها الحكومة ضد حرية المسارح كانت جزءا من مخطط شامل يستهدف قمع حرية الفكر والكلمة بوجه عام عن طريق استنان لوائح وقوانين جـديدة لا يقتصر تنفيـذها على المسارح وحـدها ٠

وسوف نعرض فيما بعد للائحة التياترات حتى ندرك أن الحكومة عمدت الى تقنين القمع واضفاء صفة الشرعية عليه مستندة فى ذلك الى ما سنته من قوانين تستهدف ضرب الحريات • تقول صحيفة « اللواء » فى عددها المشار اليه : ـ

« مثلت أمس بتياترو عبد العزيز رواية (نقولا كارتر) • وقبل أن يرفع الستار عن الفصل الأول ألفينا حضرة رزق أفندى ابراهيم مأمور قسم الموسكي قد حضر وبصحبته شرذمة من رجال البوليس أجلس اثنين منهم داخل المسرح وواحد فى الغرف العليا وكلف ثمانية بالجلوس خارج بهو التمثيل ، هذا عدا البوليس السرى الذى كان منبثا بين الحاضرين • ويقال ان هذه التدابير اتخذت مخافة أن يكون فى الرواية بعض التحريف • وقيل أن الحكمدارية خشيت أن يلقى بعض الخطباء خطابات يشير فيها الى الحوادث الأخيرة • والذى قرعليه الرأى الاجماعى أن هذا الأمر فاتحة لتنفيذ القوانين الجديدة حتى فى ملاهى التمثيل » •

وليس من شك أن موقف صحيفة « اللواء » من قرارات مصادرة المسرح كان واضحا وجريئا وحاسما • فقد انبرت للدفاع المجيد عن حرية الاجتماع فى عددها الصادر بتاريخ ٩ يوليه ١٩١٠ (ص ٢) • كتبت « اللواء » تحت عنوان « حرية الاجتماع : ماذا تريد الحكومة بهذه السياسة باقفال مرسح وطرد الحاضرين » تقول :

« بعد حادثة أقفال مرسح وطرد الحاضرين منه •• ••
واسكات أحد الأدباء الذى كان يتلو خطبة نترك الغضب والتقريع جانبا ونكتفى الآن بأن نسأل الحكومة ماذا تريد بهذه السياسة الحديدة ؟ وماذا ننتظر منها ؟

« ان مجرد ذكر هذا العمل وحده يتضمن أشـــد أنواع التقريع والملام الذى لا ترضى به حكومة تعـد نفسها قيمة على الشعب لا مستعبدة له . وقد اجتمع فى هذا العمل الصغير الذى عمله مأمور قسم الموسكى عبرة كبرى منها الحجر على حرية الخطابة ومنع حرية الاجتماع وتقييد حرية التمثيل واهانة الجمهور بطرده من المراسح طردا والتعرض للحرية الشـــخصية بالقبض على الأديب الذى رام الخطابة وصاحب جوق التمثيل . فاذا ذكرنا هذا العمل ذكرا مجردا فانه يكفى ذكره للدلالة على أننا كدنا نكون فى حكم عرفى . وهو أول عمل واضح جلى يدل على أن فى نية الحكومة أن تتخطى القوانين القديمة أو (قوانين جديدة أخرى) ، فلا يجدى اذا نفعا أن نصيح بخرق حرمة الحرية ولكنا نســـأل الحكومة ماذا تنتظر من هذه السياسة » .

ولا يعترض « اللواء » على واجب الحكومة الذى يقتضى منها حفظ النظام واستتباب الأمن فى البلاد ولكنه يحتج على تدخـــل الحكومة فى حرية الاجتماع تدخلا من شأنه ان يأتى بعكس النتيجة المرجوة :

« .. لا نجهل أن واجبات الحكومة بل كل حكومة تقضى عليها بوضع مصلحة النظـام والأمن فوق كل مصلحة .. ولكن هنالك مفترق الطريق بيننا وبين الحكومة فاننا نعتقد أن أمثال هذا الفعل تؤدى الى عكس النتيجة التى تقصدها اذا كانت تقصد اقامة النظام وحفظ الأمن العام . وأما اذا كانت تقصد التخويف والارهاب فالبلاء أشد لأن مثل هذا العمل يؤدى فى كل أمة وكل بلد الى نتيجـــة مخالفة للنتيجة المرجوة من الارهاب على خط مستقيم » .

ولم تكن حملات القمع التى شنتها الحكومة حينذاك قاصرة على المسرح وحده ، بل امتدت الى مصادرة ديوان « وطنيتى » لعلى

الغاياتي . وفي رأى صحيفة « اللواء » أنه ديوان لا يستحق الذكر والاهتمام وأن صاحبه جبان آثر الفرار على تحمل الشدائد ومواجهة الرجال . وكتبت « اللواء » في هذا الصدد تقول :

« ان الحكومة قد أقامت الدنيا وأقعدتها منذ بضعة أيام بشأن ديوان لا يستحق الذكر والاهتمام وكفى دليلا على عـدم أهميته أن صاحبه توارى عن البيان * . ومن كان هذا حاله فمن الحطة لكرامة الحكومة أن تقوم له وتقعد . وأمس أقفلت الحكومة مرسحا وطردت الجمهور منه لأن أديبا وقف يخطب ويتأسف لحالة الفلاح كما بلغنا فقامت جرائد القطر تفصل الخبر وتنشر العبر » .

ويتساءل « اللواء » بقوله أليست قيامة الحكومة على مثل ديوان الغاياتي وحدها مدعاة لتشجيع الكثيرين على التشبه بهذا الأديب بغية الحصول على الشهرة ولفت الأنظار اليه ؟! ثم تنبه « اللواء » الحكومة أنه من العبث أن تحاول مراقبة أفكار العباد لأنها أشبه في مسلكها هذا بمن يقبض على الهواء :

« .. كل فرد في كل بقعة في مصر أصبح لا يجهل أنه لا سلطان على فكره الا الله تعالى وأنه ليس في استطاعة سلطة بشرية تقييد فكره ومنعه من التفكير بما يشاء كما يشاء حينما يشـــاء . والحكومة التي تريد تعقب هذا الفكر في الجرائد والمجتمعات والخلوات لتقبض عليه وتجعله كما تريد أن يكون أنما هي تسعى للقبض على الهواء » .

وترى « اللواء » أن حادثة اقفال المرسح ليست سوى حلقـة في سلسلة من ثلاثة فصول هزلية تهدف الى زعزعة ثقة الأجانب

---

* اشارة الى فراره من البلاد تخففا من شجاعة المواجهة .

فى مركز مصر الاقتصادى • وأول هذه الفصول الهزلية الثلاثة حادثة الصاق الاعلانات على جدران مدرسة الحقوق التى قيل فيها (مات الوردانى فليحى الوردانيون) • وثانيها حادثة الشيخ الغاياتى وديوانه وثالثها حادثة اقفال المسرح : « ومعنى ذلك أن هذه الفصول الثلاثة الهزلية التافهة انما هى حلقات من سلسلة سياسية واحدة ترمى الى غرض جدى واحد • واذا نقل البرق هذه الأخبار الى أوربا على هذا المثال أو قرأها أهل أوربا فى الجرائد الأوربية المحليـــة اتخذوها كدليل ناصع على صدق جميع الاشاعات والأراجيف التى شاعت فى أوربا عن الاضطراب فى مصر • فتزيد هذه الأخبار فى سوء حالة مصر الاقتصادية وتنفر الماليين الأوربيين منها • وحقا أنه يندر أن يوجد فى الحياة أمور هزلية صـــغيرة كحادثة الاعلانات والديوان والمرسح يمكن أن تتبع أمورا عظيمة كالتأثير على سمعة أمة ومصالحها الاقتصادية ذلك التأثير • فالى هذا الأمر نلفت انظار الحكومة • فانه لا يليق بكرامتها وكرامة الأمة كلهـا أن تجعـــل لأضاحيك تأثيرا كذلك التأثير على سياسة مصر ومصالحها • وقد آن للحكومة أن تقف فى منتصف الطريق ، فان سياستها هـذه لا تنتج الا أمرين :

الأول تعدد قيام بعض الأفراد المازحين يلتمسون الشـــهرة يريدون وضع أنفسهم موضع الأبطال • والثانى اساءة ذلك المزاح الذى تجعل له الحكومة صـبغة رسمية وأهمية ما بعدها أهمية فى مصر الى أهم وأقدس مصالحها •

وبعد أن كشفت صحيفة « اللواء » النقاب عن مخطط السلطة الذى يستهدف الاضرار بمصالح مصر الاقتصـــادية والاساءة الى سمعتها فى الخارج ، نراها تفضح التناقض الذى تتسم به سياسة الحكومة ازاء المسرح فهى تسمح للأجواق الأوربية بتمثيل روايات

تمجد القتل فى سبيل الوطن فى حين أنها تغلق مسرحا مصريا لأن أحد الخطباء عن له أن يتحدث فيــه الى النظارة عن الحرية وســوء حال الفلاح :

« بقى أن نذكر على ذكر المراسح ومراقبة الروايات التمثيلية خبرا غريبا ولكنه لا يدعو الى الاستغراب لأن الســياسة المصرية أصبحت مجموعة متناقضات • شأنه بينما كان مأمور قسم الموسكى والبوليس يطردون الجمهور من مرسح التمثيل العربى لسبب تافه كان فى مصر فى مرســح أفرنجى •• رواية يمثلهـا جوق أوربى وموضوعها (قتل فتــاة فرنسية ضابطا المانيا بعد حرب السبعين خدمة لوطنها) • وهى تقول فى هذا الشأن أقوالا تقشعــر لها الأبدان •• وهنالك مرسح آخر لا يجوز فيه ذكر كلمة فى الحرية وسوء حـال الفلاح ، ومرسح آخر يمجد فيه القتل بلا معارض • والحكومة تعامل جمهور المرسح الأول معاملة الأنعام وتعامل جمهور المرسح الثانى أكرم وأسهل معاملة » •

اتهام المسرح المصرى بالاساءة للعلاقة بين مصر واليونان :

ونشرت صحيفة « اللواء » بتاريخ ١٠ يوليو ١٩١٠ (ص ٤) تحت عنوان « فى شأن أقفال المرسح » مقالا تدحض فيه الحجج التى ساقتها الحكومة لتبرر بها اغلاق البوليس للمسرح فى شارع عبد العزيز وطرد النظارة منه • ومن بين هذه الحجج انه « كان فى الرواية التى مثلها الجوق مطاعن شديدة على اليونان يخشى أن تؤدى الى تكدير صفو الأمن » • وتفند جريدة « اللواء » هذا الزعم بقولها : « ونحن لم نقف على تلك الأقوال لنرى هل هى حقيقــة خارجة عن الحدود الى مقال نشره أحد اليونانيين حديثا فى جريدة « البورص اجبسين » يتضمن تطاولا على الحفرة السلطانية والسيادة

العثمانية كما يصف كافة المسلمين فى جزيرة كريت بأنهم لئام.
ويعلق « اللواء » على تطاول هذا اليونانى قائلا : « ونظن أنه مهما
قال الجوق المصرى عن اليونان فى روايته التى مثلها فانه لم يتعرض
لملك اليونان بالذات ولا سمى جميع الأمة اليونانية لئاما .. فاذا
كان لكويتب يونانى كذلك الكويتب مطلق الحرية أن يبدى آراءه
وان كانت سفاهة فى حق السلطة العليا ، فلا أقل من أن يكون
للوطنيين فى بلادهم مطلق الحرية أيضا أن يقولوا فى ذلك اليونانى
وأمثاله مثل أقواله » .

جريدة (المقطم) تشير الى الحادثة :

ويجدر بنا فى هذا الصدد أن نشير الى أن جريدة « المقطم »
تناولت هذه الحادثة التى اعتبرتها السلطات اهانة موجهة لليونانيين
الأمر الذى قد يسىء الى علاقة مصر باليونان على نحو مفصل بتاريخ
٨ يونية ١٩١٠ (ص ٥) . ويستشف المرء فى يسر أن الموقف
العام الذى أتخذته هذه الصحيفة أبعد ما يكون عن التعاطف
الحقيقى مع حرية الفكر والكلمة وأنها تتباكى على تكميم هذه الحرية
يقول « المقطم » : —

« مثل جوق من أجواق التمثيل العربى أمس رواية خيالية
فى التياترو المصرى بشارع عبد العزيز تضمنت التعريض بالنزلاء
اليونانيين فى هذا القطر . ثم وقف حضرة امام افندى العبد بين
الفصل الثالث والرابع منها وارتجل خطبة حماسية ذكر فيها الحرية
وحض على طلبها ولو كان دونها ركوب الأهوال ، فاشتد التحمس
بالحاضرين وخشى حضرة رزق أفندى ابراهيم مأمور قسم الموسكى
سوء العاقبة فأوقف الخطيب عن اتمام خطبته وضبط معه قصيدة
بمعناها كان قد أعدها ليتلوها على السامعين بعد انتهاء الخطبة
وأوقف التياترو ثم سار بالخطيب وحسن كامل الممثل الى القسم

حيث أثبت الحادثة فى سـجل حوادث البوليس اليومية وأخلى سبيلهما » ٠

وقد كتب الينا حضرة أحمد بك خيرى يقول ما خلاصته :

« ذهبنا البارحة الى دار التمثيل العربى فى شارع عبد العزيز لمشاهدة رواية (ضحايا الجهل) ، ولما أنزل الستار فى الفصـل الثالث خرج واحد من جانب المرسح وجعل يتلو قصيدة أدبية من نظمه ٠ وبينما هو يتلو البيت الثانى منها وقف بغتة وترك مكانه وذهب من حيث أتى فاستغربنا العمل ثم علمنا أن البوليس منعه من الخطابة وانتظرنا باقى الرواية واذا بالنور قد أطفىء ولم نشعر الا ونحن محاطون بعساكر البوليس من كل جانب فاستولى علينـا الرعب وجعل البوليس يلزمنا بالخروج من المرسح منبها بانفضاض التمثيل مع أننا فى الفصـل الثالث ، فاستغربنا جـدا من هذا الحادث ووقوعه فى بلاد متمدنة ٠ ولم أشاهد معـاملة أسـوأ من هذه المعاملة بدون سبب موجب لها » ٠

ويستطرد « المقطم » قائلا :

« ومن رأى حضرته أن الحكومة بريئة من هذا العمل وأعلى من أن تقدم على عمل همجى مثله بـل هو تصرف فرد بدون ترو وامعان ٠ ثم استلفت أنظار أولى الأمر الى ذلك » ٠

ويختتم « المقطم » مقاله عن هذه الحادثة بقوله انها قد تكون مقدمة لتكميم الأفواه وكسر الأقلام وأن معناها أن الحـكومة قررت استبدال سياسة اللين بسياسة الشدة كما يتجلى لنا مما يلى : ـ

« والظاهر أن الحكومة أرادت الآن أن تكف عن اهمالها الماضى فان ما تمنع نشره أو تلاوته الآن كانت الجرائد والمطابع تنشر كل

يوم ما هو أشد منه لهجة ، والخطباء والشعراء يجاهرون بما يزيد عليه • وكنا ننبه ونحذر •• الى أن جاءت سياسة الشدة بعد سياسة اللين ولا يبعد أن تكمم الأفواه وتكسر الأقلام » •

اللواء يواصل هجومه على اغلاق المسارح :

وواصلت صحيفة « اللواء » هجومها الشـــديد على اغلاق المسارح • فنشرت فى اليوم التالى بتاريخ ١١ يوليه ١٩١٠ (ص١) مقالا كتبه عبد المجيد كامل بعنوان « وأنا هل ضاعت نقودى » يقول الكاتب : « اننى لن أتناول الموضوع من حيث تناولته الجرائد ، كما اننى لن أبحث فيه من الوجهة السياسية أو الأدبية ، بل أننى موجه الى الحكومة سؤالا من الوجهتين القانونية والمالية » •

ويتلخص الســؤال الذى طرحه صاحب المقــال فيمن المسئول عن ضياع ماله الذى أنفقه من أجل مشاهدة المسرحية • والى من يتوجه بطلب تعويض عما لحق به ؟ ثم يتساءل قائلا :

« وهل لحضرة المأمور أن يسىء معاملتى الى هذا الحد ويتفنن فى اهانتى مع أننى لم أرتكب جرما ولم أشترك فى مظاهرة سياسية، كما أننى لم أقم بأى عمل عدائى ضد الحكومة ؟! وكيف ســـاغ لحضرته أن يحول بينى وبين التمتع بشىء صرفت فى سبيله جزءا من نقودى ما دام هذا الشىء لا يحرمه القانون ! » •

ويستطرد كاتب المقال قائلا انه لا يستطيع أن يطالب امام العبد أو مدير الجوق بتعويض عما أصابه من أضرار ، فمسئولية ما حدث تقع على عاتق ممثل الحكومة أى مأمور القسم فى هذه الحالة :

« نقودى نقودى — من ذا الذى أطالبه بنقودى ؟! هل أطالب بها امام أفندى العبد وقد كفاه ما حل به من الاهانة والاحتقار ؟ أم أطالب بها مدير الجوق وهو مسكين مثلى مغلوب على أمره .

« أما أنا — فمن رأيى أن الذى يجب أن يطـــالب بكل تلك الحقوق — انما هو حضرة المأمور الذى كان من الواجب عليه أن يحافظ على احساسات الناس وأموالهم عوضا عن أن يتصرف مثل ذلك التصرف الذى لا يجوز » .

ويسوء الينا كاتب المقال حادثا مشابها وقع فى فرنســا ، فارتفعت شكوى جمهور المسرح الفرنسى الذى تعرض لتدخل رجال البوليس . وانتهى الأمر بأن اعتذر لهم ضابط البوليس المسئول وطمأنهم بأن الحكومة على استعداد لتعويضهم عمــا لحق بهم من خســائر . ويطالب كاتب (اللواء) الحكومة المصرية أن تقتدى بتصرف حكومة فرنسا فى ذلك الحادث المماثل : « فهل لحكومة مصر التى استمدت قوانينها من القوانين الفرنسية أن تعتذر للناس عما فرطه حضرة المأمور فى حقهم ولو لم تعرض عليهم ما خسروه من نقودهم . أم هى سياسة الشدة قد تقضى على النقدية كما تقضى على الحرية الشخصية ؟ » .

ونطالع فى عدد « اللواء » السابق (ص ٤) مقالا آخر بعنوان « ماذا تريد الحكومة بهذه السياسة ؟ على ذكر حادثة المرسح أيضا » يذهب فيه كاتبه الى أن تشديد الحكومة « على الناس ذلك التشديد نتيجته زيادة النار وقودا لا اخمادا . وقد سرنا أننــا رأينــا فى الجورنال دى كير اشارة الى هذا الأمر أيضــا . قال الجورنال بعد أن أشار الى حادثة المرسح انه لم تجر العادة قبل الآن أن يقــوم الخطباء فى المراسح للاحتجاج على تقييد الحرية . ولكن احتياطات الحكومة والبوليس هى التى أوجدت مثل ذلك » .

ويرى كاتب المقـــال ان الحكومة قد وضعت بهـذا التصرف نفسها فى مأزق لا يسهل عليها الخروج منه ، وخاصة لأن أسلوب قمع الأفكار أسلوب ساذج عقيم :

« قد يقال ان الحكومة احتاطت لذلك فأمرت بمنع المظاهرات والاجتماعات والقاء الخطب فيهـــا · وقد نشرت فى ذلك اعلانات ألصقتها على جدران الحدائق والأماكن العمومية ، ومحصل هذا القول أن الحكومة تظن أنها اذا تخطت كل قانون مشروع على الأمة وحجرت على حرية الاجتماع والخطابة حجرا لا تسوغه شرائع الله والناس فى جميع بلاد العالم ، فانها تبلغ غاينها وتمنع عباد الله أن يفكروا بما يشاؤون وينشروا أفكارهم · وهذه هى السذاجة بعينها · أو أن المشيرين بهذه السياسية يعلمون مقدما استحالة تنفيذها ومع ذلك يجربونها » ·

« من المبادىء المشهورة أن الضغط والشدة يفتقان الحيلة · وقد قال الفيلسوف سبنسر قولا مشهورا وهو أن الحيلة بنت الظلم والاستبداد · ومعنى ذلك أن الرعية اذا استبد بها راعيها استبدادا أعياها التخلص منه ، ساقها ذلك الاستبداد ·· الى حيل تتوصل بها الى غايتها دون أن يكون للاستبداد سبيل الى منعها منها · وهذه سنة طبيعية ولن تجد لسنة الله تبديلا ·

« واذا كانت الحكومة تشددت فى منع الاجتماعات السياسية والمظاهرات ، فهل فى امكانها أن تمنع كل اجتماع فى مصر فى حفلات أدبية أو مدرسية أو فى الجمعيات الأدبية والمراسح ؟ هذا أمر ليس فى الامكان ولا (فى مقدور) الحكومة أن تفكر فيه أو تقدم عليه » ·

ويضرب كاتب المقال مثلا لنوع من الخطابة قانونية فى مظهرها ولا تقع تحت طائلة العقاب ، فى حين أنها تتضمن فى جوهرها

تهييجا لخواطر الناس دون أن تتدخل تدخلا مباشرا أو صريحا فى شئون السياسة • ومن ثم فان التحايل على القانون فى مثل هذه المسائل أمر أشد ما يكون يسرا « وان جميع الحكومات فى جميع العالم المتمدن قد جربت فى تاريخها الماضى أمثال هذه التجارب وانتهى بها الأمر الى الاعتراف بعجــزها عن تقييد أرواح الأمم وأفكارها • فعادت الى مجاملتها وملاينتها لتنال منها بالعدل والحق ما لا تستطيع نيله منها بالقوة • وهذه التواريخ الأوربية والأمريكية ملآى بأمثال هذه الحوادث » •

ويعرض « اللواء » لموقف عطوفة ناظر النظار الذى أبدى اهتمامه بالحادثة « فبعث يستخبر الخبر ليرى هل وقع خروج عن الحدود القانونية فى هذه الحادثة أو ضغط على الحرية الشخصية » كما يعرض لتصريحه الذى قال فيه ان هذه الحادثة لا تمثل مبدأ من المبادىء بل هى تصرف خاص قد تقضى به الظروف • ويرى « اللواء » أن تصريح عطوفة ناظر النظار علامة من علامات الصحة لأنه لا يقر مبدأ فرض الأحكام العرفية على الحياة العامة فى مصر على نحو دائم ، بل انه « يتضمن عدم اتخاذ الاستبداد العرفى الذى وقع فى الحادثة مبدأ يتبع فى المستقبل ويثبت ان الحكومة لا تجهل خطارة تصرفها وما يؤول اليه الأمر اذا استرسلت فيه » •

ولكن « اللواء » يبدى دهشة من ان ناظر النظار قد علم أمر هذه الحادثة من الصحف وهو فى رمل الاسكندرية ، فى حين أنه كان من المفروض أن ترفع نظارة الداخلية اليه تقريرا عن الحادث• ويحمل « اللواء » سعادة هرفى باشا حكمدار البوليس مســئولية ما حدث ، لأنه اصدر الى مأمور قسم الموسكى أمرا بطرد الناس واقفال المسرح فضلا عن أنه تجاهل احاطة رئيسه ناظر النظار علما بالحادث ولا يرى « اللواء » أن هذا التصرف غريب من رجل مستبد

كهرفى باشا » فقد كان سعادته يقول للمتظاهرين أثناء المظاهرات الماضية (أنا القانون) اشارة الى أنه لا مرجع لهم غيره فى حادثة المرسح الأخيرة » ٠

ويختم « اللواء » مقاله بدعوة الناس الى الاحتجاج المنظم الهادىء على حادثة تياترو شارع عبد العزيز : ـ « والخلاصة أن أول عمل رسمى عمله البوليس بعد القوانين الجديدة وانتهكت فيه حرية الاجتماع والخطابة والحرية الشخصية واعتدى فيه على حقوق الناس وأملاكهم اعتداء ظاهرا عمل جدير بأن ترتفع الأصوات عالية للاحتجاج عليه بكل سكينة وهدوء » ٠

ولم تقف حملة « اللواء » على حادثة المسرح عند هذا الحد ، فقد كتبت بتاريخ ١٢ يولية ١٩١٠ (ص ٤) تردد التحذير الذى وجهته جريدة « الريفورم » الى الحكومة حتى لا تنزلق فى مهاوى الاستبداد المطلق ٠ قالت « الريفورم » فى تحذيرها : « اذا لم تحترس الحكومة وتحذر فاننا سائرون فى سبيل الاستبداد المطلق ٠ فانه يظهر أن البوليس قد أعطى سلطة مطلقة ٠ وصاحب السلطة المطلقة يستسهل الاستبداد بعد أن يخطو فيه الخطوة الأولى ٠ ولذلك أعطى البوليس نفسه حقا عاليا وهو حق معاقبة الجرائم والجنح حتى قبل حدوثها الى أن قالت بعد تفصيل طويل للحادثة : متى كان من الجرائم أن يمتدح الانسان الحرية !؟ ومتى كان يجوز للبوليس أن يتولى الرقابة على الأفكار والآراء ؟ » ٠

ويرفع « اللواء » فى نهاية المقال شكواه من جور الحكومة بالأمة الى محمد باشا سعيد « فانه رجل قانونى وليس فى الامكان أن يرضى عن خرق حرمة القانون فاليه نرفع صوتنا ضد حكم البوليس الاستبدادى » ٠

الحكومة تتراجع أمام ضغط الرأى العام :

وكتب « اللواء » بتاريخ ١٨ يوليه ١٩١٠ (ص ٤) مقالا تحت عنوان « الحكومة والمطبوعات والجرائد : اعتراف الحكومة بخطئها فى قضية المرسح » يهاجم فيه جريدة (البروغره) « التى تولت دون غيرها من الجرائد الدفاع عن ضغط الحكومة على المطبوعات » . فقد أيدت هذه الصحيفة الحكم الذى أصدرته النيابة على الشاعر على الغاياتى عقابا له على نشر ديوانه المعروف « وطنيتى » ، وبالرغم من هجوم كاتب « اللواء » الشديد على هذا الديوان واتهام صاحبه بالجبن والتخاذل وادعاء التحمس الوطنى ، فانه يرى أن سياسة الضغط التى تتبعها الحكومة تؤدى الى عكس ما ترتجيه من نتائج . وقد انتهت هذه السياسة الاستبدادية الى تفكير بعض المصريين فى اصدار بعض الصحف فى الآستانة هربا مما يرونه من ضغط على حرية الصحافة .

وليس أدل على تراجع الحكومة فى حادثة المسرح وعدولها عن سياسة القسر والاستبداد من أنها سمحت فيما بعد بتمثيل بعض المسرحيات التى تنتقدها مر الانتقاد ، تقول « اللواء » فى هذا الصدد :

« ولكن أول أمس مثل الجوق فى المرسح نفسه فى احدى رواياته الهزلية وانتقد الحكومة فى الرواية مر الانتقاد . قال الممثلون ان مصر بلا حرية لا تنفع وان الشعب لا يكون (مستريح) الا اذا نال الدستور والاستقلال وغير ذلك من الأقوال . ووقف نفس الخطيب الذى أسكتوه فى المرة الأولى لتلفظه بكلمة الحرية فأعاد انتقاده جهرا وتلا قصيدة تحتوى رموزا خفية ، وكان الجمهور فى أثناء كل ذلك يصفق ويضحك ويقهقه لأقل اشارة ضد الحكومة

ورجال البوليس واقفون يضحكون مع الضاحكين · وقد عاد اليهم صوابهم على ما يظهر أو أعاده عطوفة رئيس النظار · وكذلك لم يعتدوا على حرية الجمهور كما فعلوا في المرة الأولى ونحن نشـــكر الحكومة لعودتها إلى الصواب في هذه المسألة · وان كانت لم تعترف اعترافا رسميا فى بلاغ رسمى كما كان يجب ، فان الاعتراف الضمنى اعتراف وان كان مستترا · والشعب والجرائد والناس رضيو الأخلاق يقنعون بالقليل فلا يتشددون فى محاسبة الحكومة على تلك الغلطة التى أثارها البوليس فى ذلك المرسح ولو أرادوا المطالبة بحقوقهم لما عجزوا عن طلبهم معرفة المســـئول عن ذلك الاعتداء وايجاب عقابه ·

وهذه الحادثة وحدها دليل كاف على أن الضغط الذى تشـير اليه (البروغره) واضرابها لا يفيد في التســـكين بل يزيد النار وقودا · وتضطر حينئذ الحكومة إلى التسامح بقصور وعجز كمـا تساهلت فى حادثة المرسح بعد ذلك التشديد · لأن الأمم لا تحكم بالضغط والارهاق · وما أدى الضغط والارهاق فى أمة الا الى عكس الغرض الذى سعت اليه الحكومات · وفى ذلك تبصرة لأولى الألباب » ·

وتتضح لنا أيضا نزعة الحكومة الى مهادنة المسرح بما نشرته صحيفة « البلاغ المصرى » فى هذا الصدد بتاريخ ٢٤ يوليه ١٩١٠ :

« عادت الحكومة الى صوابها فصرحت للجوق الذى علم القراء خبر مصادرته لمناسبة الخطبة التى ألقاها امام أفندى العبد بالتمثيل هذه الليلة دون أن يحيط بجمهور المتفرجين بوليس الحـــكومة السرى والجهرى · واننا ننتهز هذه الفرصة لشكر الحكومة على

هذا العمل راجين أن تقلع عن كل خَطأ تقع فيه ، فما الرجوع الى الحق الا فضيلة » ٠

وتؤكد لنا صحيفة « اللواء » استرخاء اجراءات الأمن التى اتخذتها الحكومة لمراقبة المسارح ، فقد نشرت بتاريخ ٣٠ يوليه ١٩١٠ (ص ٤) النبأ التالى بعنوان مراقبة المراسح :

« كانت ادارة البوليس قـــد أوجبت عـــلى مأمورى الأقسام الموكلين بمراقبة المراسح العربية أن يصطحب الواحد منهم ٢٠ شرطيا يقيمون بين الناس فى أثناء التمثيل ، فكان لوجودهم معنى كمعنى التحرش بالجمهور ٠ ولذلك كان الجمهور يستاء من هذه المراقبة العلنية التى لامعنى لها ولا موجب٠ويظهر أن ادارة البوليس رأت أنها أخطأت بهذا التحرش فأمرت أن لا يصحب المأمور الا خمسة من الشرطة وأن يتجنبوا الظهور أمام الجمهور فى المراسح وخـــيرا فعلت » ٠

الحكومة تعود الى سياسة القمع :

ولكن يبدو أن سياسة المهادنة التى اتبعتها الحكومة نحـــو الوطنيين من العاملين بالمسرح لم تدم طويلا فقد نشرت صحيفة « اللواء » بتاريخ ٣ سبتمبر ١٩١٠ (ص ١) مقالا كتبه محمد زكى بعنوان « البوليس السرى : توسيع اختصاصاته » ٠ يبدأ الكاتب مقاله بقوله ان بعض الناس طلب الى محافظة العاصمة تمثيل رواية أدبية سبق تمثيلها (دون أن يحدد لنا مقاله عنوان هذه المسرحية) فأبت المحافظة « بحجة أن الرواية مساس ولا يجوز تمثيلها فى عهد رأت الحكومة فيه أن تستبدل اللين بالشدة ، فكرر الطلب فأفهموه باستحالة تمثيل تلك الرواية مع رفض طلبه » ٠

وانى هنا والخبر عادى ليس فيه ما يثير ، فقد تعرضت ـ كما رأينا ـ بعض المسرحيات لقمع السلطة الحاكمة من قبل ٠

ولكن المثير حقا أن نعلم أن أسلوب الحكومة في مصادرة الأدب الذي لا يروق لها قد تغير • فقد رأت أن تدخل البوليس وحده في المنع والمصادرة يورطها فيما لا تحمد عقباه • ومن ثم فقد تفتق دهنها عن حيلة في القمع أكثر دهاء وأشد مكرا • وتتلخص هذه الحيلة في تكوين جهاز للرقابة يشترك فيه الأدباء مع نظارة الداخلية للاشراف على ما تعتزم الحكومة القيام به من عمليات القمع والمصادرة لأن معاني الكلمات الأدبية أدق من أن يفهمها البوليس في حين أنها لا تخفى على الأدباء أنفسهم •• يقول كاتب المقال في هذا الشأن : سمعت أن الحكومة قد شرعت في ايجاد قسم بمحافظة العاصمة يطلق عليه قسم الآداب والغرض من انشائه مراقبة التمثيل والخطابة ، ويوظف به ثلاثة من الكتاب والأدباء لأن المأمورين ليس في استطاعة أغلبهم الوقوف على سر الجمل والمعاني العربية • وذلك بعد ما أخذ حضرة الشاعر المجيد محمد أفندي امام من منبر الخطابة الى مركز البوليس لتكلمه عن الحرية •

« سمعت •• وأنا بين مصدق ومكذب حتى جاءنا (اللواء) بذلك النبأ الذي دهش له الجميع وهو تعيين ثلاثة من الصحافيين في البوليس الملكي أو السري •

« فاذا كان كل ما ذكر وما سمعناه صحيحا ، وجب على الحكومة أن تجيبنا على سر هذا التفييد واتباع خطة الشدة والتضييق الزائد بدون سبب ، خصوصا في هذا الوقت الذي تتهمنا الصحافة الانكليزية وغيرها من الجرائد المائلة للاحتلال بالهياج والنزوع الى الثورة مع ما نحن فيه من سكون وهدوء •

« ان في تعيين ثلاثة من الصحافيين ضمن رجال البوليس السري الذي يختص بالبحث عن المجرمين الأشقياء لدليل على ما في نية الحكومة عمله مع كل مخالف لها في سياستها » •

ويختتم الكاتب مقالة بالاشارة الى ضرورة ايقـاظ الذين أحسنوا النية بالاحتلال الانجليزى والاصلاح البريطانى والمطالبة بالغاء البوليس السرى السياسى المزمع انشاؤه « اذ لا داعى لايجاد بوليس سرى سياسى فى بلاد ساكنة هادئة والأجانب فيها يطمئنون على أرواحهم وأموالهم برغم اشاعات السوء التى يذيعها عنا أصحاب المطامع » ٠

وكذلك نشرت صحيفة « البلاغ المصرى » بتاريخ ٤ سبتمبر ١٩١٠ (ص ٢) تحت عنوان « مصادرة التمثيل » ما يلى .

« كلما رجونا من هذه الحكومة خيرا وأملنا فى وطنية رئيس النظار أن يمنع ما ينالنا من رجال الحكومة من الاهانات المتتالية والضربات المتتابعة أبى الا أن يأيتنا فى يوم بدليل جديد على أن السياسة لا تزال المعاملة من وراء ستار الحركة لدقة الأمـور فى مصر ، عجبنا وأيم الحق لما يأتيه رجال الادارة من خرق القانون وهضم الحقوق والتعدى على الناس بغير وجه حق ٠

« يجتمع لفيف من الشبان ليقضوا جزءا من وقتهم يسمعون فيه على المراسح المواعظ والحكم التى يعلو بها شأن الوطن ويرتفع قدره ، فيأتى البوليس يصادرهم فى اجتماعهم ويخرجهم من الملهى الذى احتشدوا فيه ٠ فما أغرب هذا التصرف ! وما أبعد الحكومة عن الصواب ٠

« حدث ليلة الجمعة الماضية أن حضرة حسن أفندى كامل الممثل البارع كان يلقى فى دار التمثيل العربى (زجل) موضوعه الجنس اللطيف استطرد فيه الى ذكر مصطفى كامل باشا ٠ وطلب الى نساء مصر أن ينجبن لها من أمثاله عددا كبيرا بالتربية الصحيحة والتعليم النافع ٠ فهاجم البوليس التياترو ومنع اتمام الخطيب كلامه وأطفأ الأنوار وأمر الجمهور بالتفرق والانصراف ٠

نظاميه وشعبيه . ولعل البوليس كان يريد أن يظهر للناس قوته وبطشه ويبدى لهم سلطته وجبروته . ففعل ما فعل أو لعله أراد أن يقابل اهانة بمثلها فيصيح الانجليز أن الأمة ثائرة فى وجه الحكومة .

« هذا ما لا نجزم به ولكننا نسأل صاحب التمثيل وحضرة حسن أفندى كامل ألا يليا فى مقاضاة المأمور الذى استعمل قسوة لا تبيحها القوانين ولا تجيزها النظامات . نسألهما ذلك ونقول لهما ان اهمالهما فى ذلك تشجيع لرجال البوليس على خرق النظامات واهانة الاهالى ، وماذا نقول للحكومة بعد أن تكررت تلك الأعمال المنكرة وبماذا نخاطب رجالها الذين لا يعبأون باسعاد الأمة .. » .

اسم مصطفى كامل على المسرح يثير ذعر البوليس :

ويجدر بنا أن نؤكد أن مجرد ذكر اسم مصطفى كامل على خشبة المسرح المصرى كان حينذاك مصدراً لقلق السلطة وبث الخوف فى قلوب المسئولين فى نظارة الداخلية على نحو أطاش بصوابهم وأفقدهم قدرتهم على التصرف الهادىء السليم . تشير صحيفة « اللواء » بتاريخ ٤ سبتمبر ١٩١٠ (ص ٤) تحت عنوان « اسم مصطفى كامل وخوف البوليس منه : حادثة جديدة فى مرسح » الى حادثة طرد الجمهور من المسرح واغلاقه التى سبق لنا أن عرضناها بالتفصيل . وكيف أن الحكومة شعرت يومئذ بهول الأمر وشدة وقعه فأوعزت الى البوليس أن يخفف من حدته ونزقه وأن يجعل مراقبته للمراسح مستترة لا يحس بها الجمهور . فاختفى أفراده فى دهاليز المراسح وزواياها واكتفوا بالانتظار فى الخارج بعد أن كانوا يتعمدون الظهور بين حاضرى التمثيل ويتبخترون

بينهم كرعاة يرعون الخرفان أو كنظار للمدارس الابتدائية يجولون بين الفتيان فانقطع منذ ذلك الحين الاحتكاك بين البوليس والجمهور حتى أن نفس الخطباء الذين خطبوا وثارت من أجلهم يومئـذ تلك الضجة عادوا الى الخطابة بكلام أشد ونقد أحد وتعريض أسد ، فأصغى اليهم مأمور البوليس مع المصغين وضحك مع الضاحكين فحمدنا الله أن البوليس وحكمداره عاد الى احترام الحرية الشخصية، واكتفينا يومئذ بذلك الحل الفكاهى فلم نطلب عقاب المأمور ولا اعتذار الحكمدار عن رجاله للجمهور » •

ويستطرد « اللواء » قائلا ان المسرح تعرض بعد ذلك لحادثة جديدة لتدخل البوليس قد تبدو صغيرة فى مظهرها ولكنها خطيرة في معناها فهى تمثل اعتداء على الحرية الشخصية وتهديدا لسيادة القانون :

« نعم ان الحادثة الأخيرة أصغر من الحادثة الأولى لأن البوليس فى الحادثة الأولى أكره الجمهور على الخروج من المراسح واطفـأ الأنوار ليضطرهم الى الخروج قبل انتهاء التمثيل وفى الحـادثة الأخيرة كان التمثيل قد انتهى حين حدوث الحادث ، ولكن ليس فى العدوان على الحرية شيء صغير وشيء كبير ، لأن أقل عدوان على الحرية عدوان عليها كلها لأنها واحدة متضامنة الأجزاء فهى لا تتجزأ ولا تنقسم •

وبعد أن يوضح لنا « اللواء » أن الحرية كل لا يتجزأ ، نراه ينتقل الى وصف تفاصيل هذا الحادث الجديد • ومفاده أن أحـد الأدباء وقف بعد انتهاء التمثيل فى دار التمثيل العربى ينشد زجلا فى موضوع أدبى خاص بالمرأة المصرية ، فجعل يقول اننـا لا نطلب من نساء مصر أن يلبسن الأزياء الفرنسية ويشددن الكورسيه بل نريد من المرأة المصرية أن :

تغيث وطنهـــا بواد عامـــل
يخلف لنا مصـــــطفى كامـــل

ويؤيد لنا « اللواء » أنه بالاطلاع على نص القصيدة لم يجد فيها اشارة واحدة الى السياسة من قريب أو بعيد ، وان « البوليس لم ترتعد فرائصه وتثر أعصابه الا حينما سمع اسم مصطفى كامل ورأى تصفيق الشعب لهذا الاسم الذى يحبه ٠ فاذا تكون كل الجناية التى جناها الأديب صاحب القصيدة أنه ذكر فيها اسم مصطفى كامل وأنه لذكره هذا لاسم ناله من انتهار مأمور قسم الأزبكية له واغلاظه فى معـــاملته ما اضـــطره الى النزول عن المرسح »

ويعلق « اللواء » على تدخل البوليس فى هذا الحادث بقوله أنه تدخل كان يجوز تبريره لو أن الأديب تعـــرض فى كلامه للسياسة « ولكن اثارة البوليس حادثة كهذه الحادثة لمجرد ذكر أحد الأدباء اسم فقيدنا الكريم (مصطفى كامل) أمر لم نسمع بمثله حتى فى عهد نيرون ٠ فأين أصبحنا وفى أى بلد نعيش ؟ وما هى الحكومة التى تحكمنا ؟ » ٠

ويتحدى « اللواء » سلطة البوليس بقوله ان جميع المسئولين عنه أصغر شأنا من أن يصيبوا اسم مصطفى كامل بسوء ، وأقصر باعا من أن يتطاولوا على هـــذا الوطنى الكريم ٠ ويستسخف « اللواء » حجة البوليس للتدخل بقوله :

« وقد يحتج البوليس بأنه رأى الشعب يتحمس وبالغ فى التصفيق الى حد أنه طبق جدران المكان حين سمع اسم مصطفى كامل ـ وهل هذه حجة يصح اتخاذها سببا لاقفال كل مرسح وفض كل اجتماع متى ذكر هذا الاسم ، كافيا لاغاظة البوليس وحكمداره

وهز أعصاب الحكومة من أصغرها الى أكبرها أن يهنف فى اجتماع هاتف (ليحيى مصطفى كامل) ؟ وهل يقيم البوليس حينئذ فى كل مرة قيامة ويحمل حملته ويخترق حرمة الحرية والقانون من أجل ذلك ؟ » ٠

ويختتم « اللواء » مقاله بالمقارنه بين علاقة البوليس بالشعب فى الدول المتحضرة وعلاقته بالشعب فى مصر قائلا » ان البوليس فى البلاد المتمدنة لا يحتك بالجمهور ويسهر على أمن الناس ويحترم حريتهم الشخصية ٠ ومن ثم فقد كان المفروض أن يتصرف البوليس على هذا النحو فى بلد تحتله انجلترا دعامة الحرية الشخصية وأم المبادىء الدستورية ومهد القوانين » ٠

ويعرب « اللواء » عن أسفه لأن تأخذ جريدة « المؤيد » على عاتقها مهمة الدفاع عن تصرفات الحكومة وتبرير أفعالها ٠ فقد نشرت تفاصيل الحادث على النحو الذى أرادته الحكومة ٠ ويؤخذ من رواية الحكومة أن الأديب الذى تلا القصيدة وألقى زجله على الحضور تحدث عن المرأة وما يجب أن تكون عليه فلم يتعرض له المأمور حتى انتقل الى الحديث عن الوطن والوطنية وتحدى السلطة بذكر أبطال الوطن والمطالبة بحريته مخالفا بذلك منشور المحافظة فاستوقفه المأمور وطلب منه التزام حدوده ، فانسحب الرجل وخرج الحاضرون فى اثره وأطفئت مصابيح الملعب بعد انصراف الناس ٠ ومعنى هذا أن المأمور لم يأمر المتكلم بالسكوت ولا مدير التياترو باطفاء النور ، وأن البوليس جعل الحادثة تمر بسلام ٠

ونشر (اللواء) تعقيبا على موقف (المؤيد) من هذا الحادث بتاريخ ٦ سبتمبر ١٩١٠ (ص ٤) بعنوان (حادث المرسح أيها الكاذب) اتهم فيها من طرف خفى وبالتلميح دون التصريح كلا من

البوليس ومندوب (المؤيد) بالكذب فى رواية الحادثة · يقول (اللواء) فى هذا الشأن :

(ان مخبر المؤيد البوليسى يقول أن صاحب القصيدة ذكر فى قصيدته الوطن والوطنية والمطالبة بالحرية ·· الخ · وهذا مخالف لمنشور المحافظة فاضطر مأمور البوليس الى المداخلة · وصاحب القصيدة التى أطلعنا عليها كلها يقول انه لم يذكر فى السياسة الا اسم مصطفى كامل كما أشرنا من قبل · وقد أيد كلامه أناس سمعوه بالمرسح وكذبوا أديب البوليس فمن الكاذب فى هذه الحادثة ؟) ·

صحيفة « الوطن » تؤيد الحكومة فى اغتيالها حرية المسرح :

اذ كانت صحيفة « المقطم » شاءت كما سبق أن رأينا أن تقف موقفا متخاذلا من قضية الذود عن المسرح، فقد آثرت جريدة «الوطن» أن تبرر بصراحة حملات القمع التى شنتها الحكومة ضد حريته فقد نشرت هذه الصحيفة فى عددها الصادر بتاريخ ٦ سبتمبر ١٩١٠ (ص ١) تحت عنوان « مراقبة التمثيل : الحكومة لم تتجاوز حدودها » مقالاً بدأته بقولها ان مبدأ مراقبة المسارح مبدأ تقره أكثر الدول تحضرا وايمانا بالديمقراطية واستمساكا بالدستور » فان « انكلترا التى بلغت فيها حرية الصحافة أعظم مبلغ تعد أكثر من مصر تشديدا فى مراقبة التمثيل وانه لا تمثل فيها رواية الا بعد اقرار موظف عظيم تابع لديوان الملك رأسا وأن طائفة من الروايات ممنوع تمثلها فى بلاد الانكليز منعا مطلقا وأنه حدث كثيرا فى خلال السنين الماضية أن الحكومة منعت تمثيل روايات كثيرة منها ما هو تاريخى ومنها ما هو دينى فى موضوعه · وكان فى جملة الروايات التى منع المراقب تمثيلها على مراسح لندن رواية عن السلطان

عبد الحميد » وتستطرد صحفية « الوطن » قائلة ان فرنسا تفعل نفس الشيء فقد منعت تمثيل رواية (ثرمدمور) التى ألفها ساردو الأمر الذى يعنى أن مراقبة المسرحيات قبل التصريح بتمثيلها واجب لا ينبغى على أية حكومة أن تتخلى عنه ، والا أصبحت مهملة ومقصرة فى مسئوليتها نحو الأمة التى ترعاها .

ثم تنتقل صحيفة « الوطن » الى رواية حادثة المسرح (التى أثارت حنق اللواء) على النحو الدى يتفق مع أهدافها ، فتقول :

« وقف بالأمس فى مرسح التمثيل شاعر وجعل يخطب فى أمر توهم أنه يرضى السامعين فأرضى البعض وهاج البعض الآخر حتى خيف من فتنة تحدث بين الناس فأوقف عن الكلام وقد اعترف هذا الشاعر حين سئل فى التحقيق انه ألقى ذلك الخطاب غلطا منه وشططا . وقال المحقق أنه عرف الداعى الى هذا الغلط فى القاء الكلام على عواهنه فلم يكن فى صنيع البوليس حينئذ أقل داع الى الملام ووقف بعد هذا خطيب فى موضع التمثيل أيضا فقال كلاما لا يقوله كل رجل عن نفسه . وتمنى لو أن زوجته تأتى له بولد من طبقة مصطفى باشا كامل . والظاهر أنه كان يريد أن يكون له ولد من نوع شخص آخر لا نريد أن نلوث القلم بذكره هنا خوفا من البوليس وذكر مصطفى كامل بدله . فأدرك الحاضرون مراده ، فهتف له المصوبون وهاج فريق آخر من السامعين حتى أنه لولا تداخل البوليس وايقافه لحدث قتال شديد بين الفريقين — بين الذين يفخرون بذكر القاتلين والمحرضين والذين يعدون ذكرهم عارا وشنارا وعلة البلاء المهين .. هذا الذى حدث وهذا كل الذى أوجب سخط المتطرفين الناقمين على الحكومة .

وبغض النظر عما يتضمنه هذا الجزء الاخير من اسفاف ظاهر فقد رأت صحيفة (الوطن) فى حادثة المسرح اثارة للفتن والقلاقل

وأن واجب الحكومة يحتم عليها التدخل حتى تمنعها من الاستفحال، ومن المؤسف أن يدعوها عداؤها للحزب الوطني ومصطفى كامل الى التنكر لقضية ترتفع بطبيعتها فوق مستوى التناحر الحزبي أو السياسي ، فهي قضية تتصل في المحل الأول بمدى حرية الفنان في التعبير عن نفسه ـ وعن مشاكل مجتمعه دون أن تمتد اليه السلطة باللوم أو العقاب •

مخالفة لائحة التياترات عقب اصدارها

وفي هذا الجو المشحون بالجفاء بين السلطة والشعب أصدرت الحكومة لائحة للتياترات نشرتها صحيفة (الجريدة) بتاريخ ١٨ يولية ١٩١١ (ص ٥) • ويتضح لنا بمراجعة هذه اللائحة (اجراءات لحفظ النظام والأمن بند ١٢) أنها تنص على تخصيص مكان مناسب في المسرح لضابط البوليس المنوط بالمراقبة وقت التمثيل •

ولكن هذه القوانين التي سنتها الحكومة عجزت عن محاصرة المد الثوري ، وعن اخماد الثورة في نفوس المصريين ، ويتجلى لنا تحرشهم بالسلطة من الحادثة التالية التي روتها لنا (المؤيد) بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩١١ (ص ٥) على هذا النحو :

(خطب أحد الشبان ليلة الجمعة الماضية بالتياترو المصري الذي يمثل فيه الجوق العربي الجديد رواياته مبينا منافع التمثيل ومادحا الممثلين • واستطرد في ذلك للكلام عن الحرب القائمة بين ايطاليا والدولة العلية • ولم يكد يلقي من قصيدة له ثلاثة أبيات حتى أوقفه حضرة مأمور قسم الموسكي عن الالقاء ، وأعلن فض الاجتماع وأمر الناس جميعا بالانصراف ، ولم يقبل في ذلك رجاء ولا شفاعة شفيع) •

ويقف (المؤيد) من هذه الحادثة موقفا وسطا ، فهو يلوم رجال السلطة على عدم كياستهم فى معالجة مثل هذه الأمور ، ويلوم مدير المسرح على عدم تدخله كما يلوم الشـبان الذين يرتجلون الخطب على تهورهم الذى يعود عليهم بالضرر دون أن يكون لكلماتهم أى نفع . يتناول (المؤيد) أخطاء رجـال السلطة ومدير المسرح بقوله :

(ان حضرة المأمور لم ينفذ فيما عمل الا أوامر رؤسائه محافظة على الأمن وحرصا على الصفو والراحة مخافة أن يحدث بالبلاد مـا يخل بهما . ولكن لحضرته مندوحة عن ايقاف التمثيل مرة واحدة بالتنبيه على الخطيب أن يقف عند الحد الذى نبهه اليه . وعلى مدير التمثيل أن يمنعه أيضا من الاستمرار عن العمل الذى يراه البوليس محظورا . ونظن أن كلمة واحدة من حضرته فى هذا المعنى كانت تفى بالغرض المقصود ، ولا تفسد على الناس اجتماعا دفعوا نقودهم ليشهدوه ، بل ولا يمس أيضا حرية الاجتماع المقدسة التى يجب أن يتروى فى أمرها كل التروى قبل أن يقـدم أحد على خرق حرمتها . نحن نساعد حكمدارية العاصمة على اسـتتباب الأمن والمحافظة عـلى النظام ، ولكن نرى أن السماح لرجال البوليس باعتراض حريه المجتمعات ومنع الناس مما يريدون من العمل المباح، قهرا من غير أن تستعمل وسائل أخرى أقرب الى العدل لمنع ذلك المحظور ودفع الأضرار التى تنشأ عنه كايقاف الخطيب مثلا عن خطابته ــ نرى ذلك سلطة هائلة وضعت فى يدى رجال البوليس ويخشى من سوء استعمالها يوما ما) .

وينحى « المؤيد » على ادارة الضبط باللائمة لأنهـا تبـادر بتصديق المبالغات التى ينقلها مخبروها السريون عن احوال البلاد غير الآمنة . يقول (المؤيد) :

(ونرى أيضا أن ادارة الضبط في محافظة العاصمة بتساهلها في قبول الأخبار المبالغ فيها من مخبربها السريين تساعد على ايجاد مشاكل وعقبات لا فائدة من وجودها · وحرى بها أن تلفت أولئك المخبرين الى أن الواجب يقضى عليهم أن يعرفوها بالأخبار الصادقة لا التى تخلقها لهم مخيلاتهم وأوهامهم العجيبـة ·· ان المصريين هادئون بطبيعتهم لا يحبون المشاغبة ولا يرجون الخير منها لأنفسهم ولا لبلادهم ولا لدولتهم المظلومة) ·

ويختم (المؤيد) مقاله بنصح الشبان بالأناة والتروى والكف عن القاء الخطب المرتجلة فى المسارح لأن المسارح لم تنشأ لهذا الغرض · ويطلب اليهم ارسال كلماتهم الى الصحف كي تنشرها نهى منابر عامة وظيفتها أن تذيع الرأى فى الناس ·

الفصل الثانى
مسرحيات وطنية لم تصادر

١ ـ مسرحيـة أبطـال الحـرية
٢ ـ مسرحية فتـاة الدسـتور
٣ ـ مسرحيـة الدسـتور العثمانى
٤ ـ مسرحيـة فى سبيل الدستور
٥ ـ مسرحيـة مصـطفى كامـل

تاجيل مسرحية مصر للمصريين :

من الخطل أن نظن أن المسرحيات التى عالجناها فى الصفحات السابقة هى كل المسرحيات التى تعرضت للمصادرة ، فهى ـ على حسن تقدير ـ أهمها جميعا ٠ ونحن نعرف أن السلطة منعت عام ١٩٠٩ تمثيل مسرحية أخرى بعنوان (مصر للمصريين) كما يتجلى لنا من هذا الخبر المنشور بجريدة (الأهرام) بتاريخ ٥ أغسطس ١٩٠٩ (ص ٣ :) (رواية مصر للمصريين ـ جاءنا ما يأتى : حيث صدر أمر سعادة محافظ العاصمة بعدم تمثيل رواية تحت اسـم مصر للمصريين التى كانت قد عزمت جمعية الألفة الأدبية على تمثيلها فى يوم ٥ اغسطس الجارى ، فلذلك تأجـل تمثيل هذه الليلة الى يوم ١٩ منه وسيعلن عنه فى حينه) ٠

وحيث أننى لم أستطع الاستدلال على ما يشير الى تمثيل هذه المسرحية فيما بعد ، فانى أخشى أن يكون التأجيل لفظا مهذبا استخدمته السلطة بدلا من المصادرة ٠ وسواء كان التأجيل حقيقة أو انه مجرد قناع يختفى القمع وراءه ، فان عنـوان هذه المسرحية يكفى للدلالة عما بلغته فكرة (مصر للمصريين) من تأصل واستقرار فى أذهان الناس قبل ثورة ١٩١٩ ٠

مسرحيات وطنية لم تتعرض للمصادرة :

ومن الخطأ أيضا أن نعتقد أن المسرحيات الوطنية جميعا كانت سيئة الطالع ، فقد سمحت السلطة ليس بتمثيل بعض المسرحيات الوطنية فحسب ، بل بتكرار تمثيلها أيضا . ومن بينها مسرحية (الغيرة الوطنية) التى لعب الشيخ سلامة حجازى دور البطولة فيها . فقد قدم الشيخ حجازى هذه المسرحية على ملاعب القاهرة من عام ١٩٠٠ حتى عام ١٩٠٤ دون انقطاع ودون محاولة من جانب السلطة لمنعها . ويعطينا الخبر التالى المنشور بجريدة (اللواء) بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٠٢ (ص ٣) نموذجا للاعلانات المتكررة الخاصة بتمثيل رواية (الغيرة الوطنية) : (التياترو المصرى - يمثل فيه رواية الغيرة الوطنية . وسيكون لحضرة المطرب المبدع الشيخ سلامة حجازى أهم أدوارها . ثم تتخلل التمثيل الأنغام الموسيقية ، ويليه فصل الصور المتحركة) . ويلفت النظر فى هذا الاعلان أسلوب تقديم المسرحيات فى مطلع القرن العشرين ، فضلا عن أنه يبين أهمية الدور الذى كان الغناء يلعبه حتى فى ذلك النوع من التأليف المسرحى الذى يهدف الى استنهاض همة الأمة واستثارة الحماس الوطنى فيها . وكذلك لم تتعرض مسرحية (ابن الشعب) التى عربها فرح أنطون للمنع رغم ما قد تتضمنه من ايماءات اجتماعية ثورية تدعو الى المساواة الطبقية . وظلت مسرحية (ابن الشعب) تقدم من ١٩٠٥ حتى ١٩٠٧ على خشبة المسرح . ويلاحظ المتتبع لمسار الخط الوطنى فى المسرح المصرى أنه باستثناء مسرحية (دنشواى) التى تعرضت للمصادرة لأول مرة فى عام ١٩٠٦ ، فنحن نجد أن السلطة أظهرت بوجه عام سماحة فى السنوات الأولى من العقد الأول من القرن العشرين استمرت حتى عام ١٩٠٧ ، ولكنها بدأت تكشر عن أنيابها على نحو منذر بالشر فى عام ١٩٠٨ ، وينذر بالكارثة فى عامى ١٩٠٩ و ١٩١٠ .

وبالرغم من هذا ، فقد مثلت فى عامى ١٩٠٨ و ١٩٠٩ بعض مسرحيات ذات طابع وطنى صريح مثل (أبطال الحرية) و (كيف ينال الدستور) و (مصطفى كامل) الأمر الذى يدل على ارتباك السلطة وهى تجابه ذلك المد الثورى الذى تمخض فى نهاية الأمر عن ثورة المصريين عام ١٩١٩ .

١ ـ مسرحية أبطال الحرية :

في عام ١٩٠٨ كتب أنطون الجميل مسرحية من فصل واحد بعنوان (أبطال الحرية) • وكان ظهور هذه المسرحية جزءا لا يتجزأ من ردود الفعل التي اجتاحت الأمة المصرية عقب ما يسمى بالانقلاب الدستورى الذى حدث فى تركيا فى يوليو عام ١٩٠٨ والذى قامت به جماعة من الأتراك الوطنيين الذين استبشعوا فى السلطان عبد الحميد حكمه المطلق وتدخله فى أدق تفاصيل الحياة بنفى وتشريد كل تركى تسول له نفسه الاعتراض • وكان لهذا الانقلاب الدستورى الذى حدث فى تركيا أثره البـالغ فى مصر • ويذكر مؤرخو التاريخ فى هذا الصدد أن مصر شاهدت تغيرا اجتماعيا وسياسيا هائلا جاء نتيجة مطالبة هؤلاء الاتراك بغـل أوتوقراطية السلطان وبوضع دستور يقى تركيا من شططه وغلوائه • ويخبرنا مؤرخو التاريخ أن هذا التغيير فى السياسة المصرية اتخذ صورتين: أولاهما تنمية الاتجاه المصرى أو الدعوة لأن تكون مصر للمصريين ، وثانيتهما مطالبة المصريين بدستور كامل وبالحكم النيابى ولست أريد بهذه المقدمة أن أدخل فى تفاصيل التاريخ فلدراسـة التاريخ أصحابها • ولكنى أريد أن أسوقها لاستجلاء انعكاس كل هـذا على

المسرح المصرى . ومن مظاهر تأثر المسرح المصرى بهذه الاحداث تلك المسرحية من فصل واحد التى كتبها أنطون الجميل الذى كان حينذاك محررا بجريدة الأهرام بعنوان (أبطال الحرية أو نيازى بك وأنور بك ورفاقهما) .

فى يوم ٢١ أغسطس ١٩٠٨ على وجه التحديد أقيمت فى مسرح برنتانيا حفلة أدبية عثمانية اشترك فى التمثيل فيها فريق من الأدباء الشبان هم الأفوكاتو لويس أفنـدى أسمر (الذى لعب دور نيازى بك) والياس أفندى كورك (فى دور أنور بك) وحنا أفندى منير (فى دور مصطفى أفندى) وهؤلاء جميعا أبطال مسرحية أنطون الجميل .

وعلى الرغم من أن مؤلف التمثيلية يقول فى الخطبة التى ألقاها فى الترحيب بالحضور الى ذلك الحفل (اننا أقمنا هذه الحفلة العثمانية للاحتفال بالدستور من الوجهة الأدبية لا السياسية) فقد كانت كل ذرة فى جو هذا الحفل مشحونة بكهرباء السياسة . والرأى عندى أن الوصف التفصيلى الذى طالعتنا به جريدة (الأهرام) فى ٢٢ أغسطس ١٩٠٨ (ص ٢، ٣) لايمكن أن يكون مبالغا فيه كثيرا . ودليلنا على ذلك أن وصف الحفلة كما ورد فى بعض الصحف الأخرى لا يختلف فى جوهره عما جاء فى جريدة (الأهرام) .

صحيفة (الجريدة) تصف الحفلة :

وصفت صحيفة (الجـريدة) بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٠٨ (ص ٤) الحفلة العثمانية فى مرسح برنتانيا بقولها : (كانت الحفلة العثمانية التى أقيمت مساء أمس فى مرسح برنتانيا من

أجمل الحفلات سناء ورواء ، فتسابقت فيها قرائح الشعراء المجيدين وظهر الحاضرون في مظهر العثمانيين الصادقين ، فكانوا يهتفون كلما بدا الهلال أو ذكر أنور ونيازى وغيرهما من الأبطال • وكانوا كلما دعا للأمة المصرية بنيل مجلسها النيابى يهتفون من صميم القلوب : فلتعش الحرية ، فليعش الدستور المحبوب) •

وأوردت (الجريدة) وصفا للاحتفال جاء فيه :

(بدأت الحفلة بخطبة وجيزة ألقاها حضرة الكاتب البارع انطون أفندى جميل أظهر فيها الغاية الأدبية من الاحتفال • وما خلا كلامه من غمز ووخز لبعض الذين حاولوا مناوأة المحتفلين فلم يفلحوا • وأخيرا مثلت رواية أبطال الحرية فى فصل واحد بقلم جميل أفندى ، فكانت موضوع حماس متواصل • وفى أثناء الرواية وقف مؤلفها وأدى تحية للعلم العثماني ضمنها من دقيق الشعور والعواطف العالية ما صفق لها الجمهور مرارا • ثم أرفض الحاضرون وهم يثنون على أصحاب الحفلة ويودون دوام تلك الروح الشريفة) •

ولعل ما ذكرته (الجريدة) بشأن مسرحية (أبطال الحرية) قمين بأن يطمئننا الى أنه من المستبعد أن يكون وصف صحيفة (الأهرام) للحفلة مجافيا للحقيقة أو مبالغا فيه كثيرا •

(الأهرام) يصف الحفلة :

يقول (الأهرام) : (من لم ير حفلة أمس فى ملعب برنطانيا لم ير كيف كهربت الحرية العثمانيين وكيف وثقت روابط اخائهم وكيف أظهرت ذكاءهم المتقد وفضلهم ونبالة نفوسهم • بل ان من لم ير حفلة أمس لم يعرف كيف يبسم لنا المستقبل وكيف يفتر لنا ثغر الأمل وما عندنا من معدات الرقى والنهوض) •

ويستطيع من يتابع أحداث هذا الحفل أن يتصور مدى التوتر السياسى الذى شد أعصاب الحضور ، اذ يبدو أن الحفل قد انقلب من احتفال بالدستور العثمانى من الناحية الأدبية - على حد تعبير أنطون الجميل - الى مظاهرة سياسية يطالب فيها المصريون بالحرية والدستور . وانتهى الامر الى فوران سياسى غلت مراجله فى عروق الحاضرين ... شىء أشبه ما يكون باجتماعات الثوار الفرنسيين قبيل الثورة الفرنسية وفى أثنائها . وآية ذلك أن الانفعال استبد بواحد من الممثلين هو لويس أسمر فشرع ينشد المرسيليز بكل ما أوتى من حماس . ولابد أن يكون هذا الجو الملتهب قد أرهق أعصاب المحتفلين فلم يستطيعوا تحمله . فقد خرج الناس قبل نهاية الحفل لاستنشاق الهواء ثم عادوا وانتظم جمعهم للمرة الثانية لمتابعة بقية الحفل التى تتكون من قصيدة لحافظ ابراهيم فى وصف الجيش العثمانى ومن عرض تمثيلية (أبطال الحرية) التى جاءوا أصلا لمشاهدتها .

وسنورد فيما يلى ملخصا لفقرات هذا الحفل الذى كان ينبغى - فى نظرنا - أن ينتهى بخروج الحاضرين لاستنشاق الهواء، أى عندما بلغ الحفل ذروته حماسا وانفعالا بانشاد نشيد الثوار الفرنسيين .. أى قبل أن يبدأ الممثلون فى تمثيل روايتهم .

فى الساعة السادسة من مساء ٢١ أغسطس ١٩٠٨ اجتمع الأدباء والفضلاء وكثير من السيدات المسلمات والمسيحيات . .. وارتفع الستار عن العلم العثمانى منصوبا فى وسط الملعب فاهتزت برؤيته القلوب وحيته الألسن والأكف . ثم قام أنطون الجميل مؤلف مسرحية (نيازى بك وأنور وجهادهما فى سبيل الدستور) ، فأعلن انه جعل دخول المسرحية لقاء رسم زهيد (للاحتفال بتاريخ حرية البلاد والافراج عن العباد لأن الاخلاص

يأمرنا بتخليد ذكرى أبطال الوطن) ٠٠٠وتلاه حضرة نقولا أفندى رزق الله مدير ادارة (الأهرام) الذى ألقى قصيدة حماسية من شعره مطلعها :

تعانق الشـيخ والقسـيس واصـطحبا
من بعـد ما افترقا ضـدين واختصمـا

ولما أتم قصيدته وقف حضرة البارع الدكتور عبد الله بك جودت فألقى خطابا بالتركية بدأ باسم مدحت ونيازى وأنور أقانيم الحرية العثمانية التلاث ٠ وسرد للحاضرين بالتفصيل منشأ حركة العثمانيين الأحرار والجـدير بالذكر أن عبـد الله جـودت اشترك اشتراكا فعليا فى تأسيس الحزب الحر الذى نادى بالدستور ٠ ثم تلاه حضرة الشاعر الكبير خليل مطران ، فأنشد أمام الحاضرين قصيدة فى تحية الحرية استفزت نفوسهم وخلبت ألبابهم ٠ ثم تلاه الشاعر التركى طونالى حلمى بك فألقى قصيدة تركية يمجد فيها الحرية٠وعاد الدكتور عبد الله جودت فألقى قصيدة باللغة الفرنسية كان قد نظمها فى منفاه ٠ ثم جاء الأفوكاتو لويس أسمر وأنشـد المرسيليز الفرنسى ٠ كل هـذا حدث قبـل أن يرفع السـتار عن مسرحية أنطون الجميل (أبطال الحرية) ٠ أو ليس هـذا مظاهرة سياسية ؟ !

٢ - مسرحية فتاة الدستور :

وليس أدل على أن الانقلاب الدستورى ألهب خيال المصريين من أن المسرح المصرى شاهد بعد قرابة أربعة أشـــهر من (أبطال الحرية) مسرحية أخرى بعنوان (فتاة الدستور) ألفها نجيب كنعان الذى نشر مقالا لا يحمل توقيعه فى صحيفة (البصير) بتاريخ ٥ أكتوبر ١٩٠٨ (ص ١) ، بدأه بقوله :

(كتب القوم ما كتبوه فى الدستور وأتوا على كل ما يعرفونه من أمره وعلى ما سمعوه وعلى ما حدث منذ اعلانه حتى الساعة . ولما كانوا لم يغفلوا أمر وضـــع تاريخ روائى لاقـــل حادث عندهم تخليدا لذكره رأيت أن أقتفى أثرهم فى هذا السبيل لعلى أظفر بما ظفروا وأكون قد وفيت الدستور حقه فى التاريخ . ولذلك وضعت رواية تمثيلية ذات خمسة فصول سميتها فتاة الدستور ، وطبعتها طبعا متقنا جدا على ورق نظيف وضمنتها رسوم أبطال الحرية وفى مقدمتهم رسم المغفور له مدحت باشـــا والبرنس صباح الدين بك وأحمد رضا بك ونيـــازى بك وأنور بك ونجيب عازورى بك مواطننا السورى الشهير . وألفت جوقا من الشبان الأفاضل الذين تطوعوا بغية اشهاره) .

ويشرح لنا المؤلف موضوع مسرحيته قائلا :

(وهى تتضمن حوادث الدستور كلها من مقتل المغفور له مدحت باشا مؤسس الدسسور حتى اعلان الدستور فى الآستانة ، وقد أطلعت عليها بعض اخوانى من الأفاضل فسرهم وضعها كثيرا، لأنها جاءت وافية بالغرض المقصود • وقد حفظت لنفسى حق اعادة طبعها وتمثيلها وسجلتها فى المحكمة المختلطة ، وربما تم تمثيلها فى أوائل نوفمبر المقبل • فمن حضر تمثيلها يرى كيفية سجن مدحت باشا ومقتله ، كما يقف على الأسباب ، ثم يشاهد تفجع عائلته عند وصول نعيه اليها ، ويطلع على وصيته ثم يقف على ما دار فى اجتماع الأحرار فى باريس ، وكيفية قرارهم اعلان الدستور • كما يرى اتحاد نيازى بك وأنور بك فى طلب الدســـور ، وما فعلاه فى سالونيك ، وكيفية أسرهما عثمان باشا وقتلهمـا شمس باشا • ثم كيفية اجتماع الوزراء فى الآستانة وصدور الارادة السنية باعلان الدستور وهياج الشعب وفرار عزت باشا الى غير ذلك من المناظر المؤثرة التى تمثل الحوادث الدستورية بأكملها) •

ويختم المؤلف بقوله : (أما بيع الرواية فى مصر فلا يكون الا بعد تمثيلها • ولذلك احتفظت بها فى منزلى الى الموعد المذكور • وانى على يقين من أن هذه الرواية ستحوز رضى الجمهور وعلى الله الاتكال) •

ونشر مؤلف (فتاة الدستور) مقالا فى صحيفة (البصير) بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٠٨ (ص ١) جاء فيه ما يلى :

(غصت تيـاترو عباس أمس بحضرات الذوات والأعيـان والأفاضل لحضور تمثيل رواية فتاة الدستور التى قام بتمثيلها جـوق من أفاضل الشـــبان العثمانيين لمساعدة الجيش العثمانى ، وكان عطوفة جلال الدين باشـا الذى وضعت الحفلة تحت رعايته

جالسا فى أول بنوار مع حضرة القائمقام عثمان بك فهمى شقيق بطل الحريه والدستور نيارى بك • ولما مثل ألفونس أفندى زور نوره وهو دور مدحت صفق له الحضور مرارا تصفيقا حادا جدا وبكوا لشدة التأثير والحق يقال ان زكور أفندى أبدع أيما ابداع فى تمثيل هذا الدور المهم ولما مثل دور نيازى بك وأنور بك صفق العموم لممثليهما ، وكذلك ممثل دور السجان وهو جورج أفندى عكاوى • وزبدة القول أن الجميع سروا بما شاهدوا من تمثيل هذه الرواية) •

والجدير بالذكر أن هذه ليست أول مرة تمثل فيها مسرحية الدستور العثمانى ، فقد سبق تقديمها على خشبة المسرح المصرى على نحو متكرر فى الفترة بين أغسطس ١٩٠٨ حتى أكتوبر ١٩٠٩ • ونلاحظ أن اسهام الشوام والعثمانيين فى تأليف وتمثيل المسرحيات التى أوحى بها الانقلاب الدستورى فى تركيا اسهام لا يخفى على البيان • ولكن هذا لا ينبغى أن يشككنا فى أن هذه المسرحيات كانت تجد استجابة فى نفوس المصريين ، اذ أنها كانت بصورة أو أخرى تجسد سعيهم نحو الحصول على الحرية والحياة الدستورية ، فليس من شك فى أن مطلب المصريين للدستور فى تلك الفترة كان ملحا ، شأنهم فى ذلك شأن العثمانيين الذين استطاعوا فى يولية ١٩٠٨ انتزاع دستور لهم من السلطان عبد الحميد • أكثر من هذا أن حمى تمجيد الحرية والمطالبة بالدستور امتدت آنذاك الى غير المصريين من الشعوب • ويمكننا أن نتبين هذا من خبر نشرته (الجريدة) فى ٢٩ سبتمبر ١٩٠٨ (ص ٢) مفاده أن أديبا ايرانيا يقيم فى القاهرة اسمه حسين افندى ابراهيم كتب كراسة عنوانها (فى سبيل الدستور الفارسى) يعبر فيها عن تضامن الايرانيين مع العثمانيين المطالبين بالدستور •

٣ ـ مسرحية الدستور العثمانى

وفى غمرة هـذا الحماس المتأجج الذى خلقته مطالبة العثمانيين الأحـــرار بالدســـتور نرى الكاتب محمــود زكي يؤلف مسرحية (الدستور العثمانى) فى نفس الوقت الذى ألف فيه أنطون الجميل (أبطال الحرية) يتناول فيها أحوال الآستانة ونشاط الجواسيس فيها كما يتضح لنا من الخبر التالى الذى نشرته صحيفة (البصير) بتاريخ ١٤ أكتوبر ١٩٠٩ (ص ٢) ٠

(تمثل جمعية الاتحاد التمثيلى العربي فى الثغر فى ليلتى الأحد والاثنين القادمين رواية الحرية وتختم بخطبة المرحوم مصطفى باشا كامل التى ودع بها وطنه وبلاده وأثر بها على العواطف ٠ وفى الليلة التالية ثالث أيام العيد تمثل رواية الدستور العثمانى ٠٠ وهـذه الرواية من تأليف حضرة الكاتب الشهير محمود زكى بك ذو الاطلاع الواسع على أحوال الآستانة من قديم وجديد ٠ وسيبدو فى هذه الرواية فضائح الجواسيس وخيانتهم وشعوذتهم بأسلوب مضحك وعبارات حسنة ومنـــاظر جميلة ٠ ويكون من رجال هذه الرواية أبو الهدى الصيادى وحسن خالد وعزت العابد ونامق بك وفهيم باشا وتحسين باشا وسـليم ملحمة وغيرهم من رجـــال الدور القديم ٠ وسيكون التمثيل فى قاعة أعياد الثغر بالمنشية ٠ ولذلك يؤمل أن يكون الاقبال شديدا على هاتين الروايتين البديعتين) ٠

٤ ـ مسرحية في سـبيل الدستور

لم يكن الانقلاب الدسـتورى وحده مصـدر الهام للمسرح المصرى ، فلقد استمد هذا المسرح جانبا كبيرا من رؤياه الثورية من الأدب الفرنسى ، فقد ظهرت على المسرح المصرى مسرحية معربة ألفها الفيلسـوف الفرنسى المعروف فولتير تحت عنوان (فى سـبيل الدستور) وعنوانها الأصلى (بروتس) • وقام بتعريب هذه المسرحية جورج طنوس • وكانت هذه المسرحية تعرف أحيانا بعنوان (كيف ينال الدسـتور) ، و (فتاة الحرية) أحيانا أخرى • ولعل أول اشارة الى هذه المسرحية ترجع الى ٨ أكتوبر ١٩٠٨ • تقول صحيفة (المؤيد) بهذا التاريخ (ص ٥) ما يلى •

(سيحيى مجتمع التمثيل العصرى فى مساء يوم الاثنين القادم ١٢ الجارى فى دار التمثيـل العربى ليـلة نادرة المثال ، فيمثـل أعضاؤه الأدباء رواية كيف ينال الدستور من أوضاع فولتير ، وهى تمثل ما لاتحاد كلمة الشعب من القوة والتأثير • ويتخلل التمثيل انشاد ثلاث وقائع حال احداها تحت عنوان الملائك لا يسجنون نظم سعادة الشاعر القدير أحمد بك شوقى وتختم الحفلة بتقديم أحمد أفندى فهيم الفار عدة فصول مضحكة وهذه الحفـلة النادرة المثـال تحت رعاية المحفل الأكبر الأورشليمى برئاسة سعادة محمد باشا

عرفى ، فلا عجب اذا نفدت التذاكر قبل يوم التمثيل وهى تطلب من مكتبة الهلال بالفجالة) .

ولم يكن هذا التحمس للمسرحية قبل تمثيلها قاصرا على صحيفة (المؤيد) ، فقد نشرت (الجريدة) بنفس التاريخ السابق خبرا عنها يصف (كيف ينال الدستور) بأنها رواية وطنية غرامية تمثل ثورة الأفكار التى حدثت فى عهد يوليوس قيصر ، وكيف أن صوت الأمة فوق كل صوت . وتختم هذه الصحيفة الخبر بأن تذاكر الحفلة تطلب من مكتبة الهلال بالفجالة أو محل كومبيلس بالظاهر . فضلا عن أن (اللواء) يصف هذه المسرحية فى عدده الصادر بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٩٠٨ (ص ٦) بأنها آية بين الروايات ويحث كل أديب على شهود هذه الليلة النادرة المثال .

ويبدو أن روح فولتير المتأججة بطلب الحرية هى التى ألهبت خيال المصريين أكثر مما ألهبه أدبه ، وأن الدافع الى تمثيل مسرحياته لم يكن دافعا فنيا بقدر ما كان دافعا سياسيا . فالمشتغلون بالأدب يعرفون أن مسرحيات فولتير محدودة القيمة الفنية اذا قورنت بأعماله الفلسفية أو الأدبية الأخرى . هى ، باختصار ، أعمال أدبية مغمورة لا يحفل بها غير المتخصصين .

صوت الشعب هو صوت الله :

الذى يستلفت النظر فى شأن مسرحية (كيف ينال الدستور) أن لغة التعبير السياسى التى كان أجدادنا يستخدمونها هى نفس اللغة التى يستخدمها أحفادهم من أبناء هذا الجيل ، فقد قالوا نفس ما نردده اليوم أن صوت الشعب هو صوت الله ، كما يتجلى لنا من ذلك الخبر المنشور فى (الجريدة) بتاريخ ١٢ أكتوبر١٩٠٨ (ص٥)، وفيما يلى نصه : (كيف ينال الدستور : فى هذا المساء يمثل

حضرات أعضاء مجتمع التمثيل العصرى رواية كيف ينال الدستور في دار التمثيل العربى وهى الرواية التى تظهر بأجلى بيان أن صوت الشعب هو صوت الله وسيلقى مطرب هذا المجتمع واقعة حال باسم الملائك ٠٠ من نظم أحمد شوقى شاعر الأمير ، ويلقى أديبان آخران واقعتى حال عصريتين أولاهما فتى اليوم والثانية الأفندية المودة ، وسيختم الحفل حضرة أحمد أفندى فهيم الفار بتقديم فصول مضحكة تمثل كثيرا من الأخلاق المصرية) ٠

وبهذه المناسبة يبدو لنا من سياق هذا الخبر أن المونولوج كان يسمى حين ذاك واقعة حال ٠ ولعله من المثير أن نعرف أن أمير الشعراء أحمد شوقى كان ينظم بعض وقائع الحال التى يتغنى بها المطربون فى الحفلات العامة ٠

نقد الأهرام للمسرحية :

وفى مقال نشرته جريدة (الأهرام) فى ١٣ أكتوبر ١٩٠٨ (ص ٣) ، يتناول ناقد مجهول – لم يذكر لنا للأسف اسمه – بالتحليل رواية (فى سبيل الدستور) ٠ ورغم ايجاز هذا الناقد فى القول ، فان نقده ، فى نظرى ، ينم عن ثقافة عالية وحس فنى مرهف ٠ بل ان نقده رغم بساطته البادية يثير قضايا فكرية على جانب كبير من الخطورة لاتزال تشغل بال كبار المفكرين فى عالمنا المتحضر حتى يومنا الراهن ٠

يبدأ الناقد المجهول مقاله بوصف اقبال الناس الشديد على مشاهدة المسرحية ، كما أنه يعطينا لمحة سريعة عن أصل هذه المسرحية وموضوعها فيقول :

(كان الازدحام أمس شديدا فى دار التمثيل العربى لحضور كيف ينـــال الدســـتور • الرواية وهى من وضع فولتير الكاتب الفرنسوى الشهير تمثل حادثة كبرى من حوادث التـــاريخ الرومانى ألا وهى مقتل القيصر بمواطأة ولده بروتس والأشراف) •

ويعبر الناقد عن تعاطفه الفكرى مع المدلولات السياسية فى هذه المسرحية لأنها تتمشى مع مشـــاعر الشعب المصرى الذى يتوق الى الحصول على حريته فيقول :

(روح هذه الرواية موافق لمجرى الأفـكار فى بلادنا اليــوم سواء كان بالنظر الى تاريخ حوادثها أو الى تاريخ تأليفها ، فان حالتنا اليوم وقلق أفكارنا أشـــبه بحالة الرومان على عهد يوليوس قيصر وحالة الفرنسـويين على عهد فولتير • أى أننا نخطو الآن نظيرهم الخطوة الأولى فى سبيل الحرية والدستور • ولذلك نشكر لحضرة معرب هذه الرواية جورج أفندى طنوس اختياره مثل هذا الموضوع الذى يعد لنا خير أمثولة ، فقد وضع أمام أعيننا هـؤلاء الأبطال الأشداء الذين كانوا يضحون بكل عزيز لديهم فى سبيل ما هو أعز وأعنى حرية الأوطان) •

وليس أدل على حس هذا الناقد المرهف من الناحية الفنية من أنه يميز بين تحمسه الفكرى للعمل الذى يتناوله بالنقد والتحليل وفتوره الفنى نحوه • وبالرغم من بساطته فى التعبير عن نفسه ، فانه يطرح أمامنا قضية من أخطر القضايا التى تواجه المفكر المعاصر • وهى قضية الالتزام الأعمى الذى يجعل صـــاحبه قاصرا عن ادراك المثالب الفنية التى تشوب أى عمل أدبى قد يروق له من النــاحية الايديولوجية • يقول ناقد المسرحية فى هذا الصدد •

(وقد جاء التعريب محكما نظما ونثرا مما دل على براعة الكاتب مقدرته ، على أننا كنا نفضل لو أنه عرب رواية شكسبير أو رواية

كورنيل · وهما كاتبان طرقا نفس هذا الموضوع ، الأول فى روايته مقتل يوليوس قيصر والثانى فى رواية سينا · وقد بلغا فى هـذا الفن درجة لم يبلغها فولتير · والروايتان المذكورتان أكثر حوادث وأشد تأثرا من رواية فولتير كما يعرف ذلك من طالعهما) ·

ثم ينتقل الناقد بعد ذلك الى تقييم الممثلين وتقييم درجة اتقانهم للأدوار التى قاموا بتمثيلها فيقول :

(أما الممثلون فقد أظهروا حسن استعداد يشكرون عليه · ومنهم من فيه صفات تمكنه من الاجـادة فى هذا الفن لو زاوله ومارسه · فقد رأينا مشخص دور بروتس ذا شعور رقيق تتأثر نفسه مما يقول ، ومشـخص دور أنطونيوس قوى اللهجة واضح الصـوت ، وأحـد الأشراف ــ لم نعرف اسـمه ــ رشيق الحركات خفيفها) ·

ولكن الموهبة وحدها ــ فى نظر الناقد ــ لا يمكن بحال من الأحوال أن تغنى الفنـان عن تطوير صنعته وصقلها بالممارسـة والتجويد · وفى هذا الشأن يقول :

(على أنهم ينقصهم تجاه هذه الصـفات الطبيعية الصـفات الكسبية كالتفنن فى اللهجة ونبرات الصوت وبلاغة الايماء وغير ذلك من شروط الفن الأولية كطريقة دخول المرسح والخروج منه والوقوف عليه وأساليب المخاطبة والمناجاة إلى غير ذلك مما يضيق المقـام عن ذكـره) ·

ويشيد الناقد بقدرة الممثل الذى لعب دور القيصر على تحريك عواطف النظارة · ولكنه ينحى عليه باللائمة لأنه لم يتصرف بعظمة وأبهة يليقان بدوره كامبراطور ·

(أما ممثل دور القيصر فهو لا شك أكثرهم فنا وأقدرهم تلاعبا بالعواطف والمواقف وأبعدهم معرفة بأصول التمثيل . على أنه لم يعرف دوره حقه من العظمة والأبهة اللازمة للأباطرة الرومانيين الذين كانوا شـــبه الآلهة ، ونحن موقنون أنه لو قام بدور بروتس لكان أجاد كل الاجادة . ونتمنى أن نراه قريبا فى دور يكون أكثر موافقة لطبيعته ، فنرى منه ولا شك ممثلا بارعا يرضى الجمهور . أما عشيقة بروتس فهى على بون عظيم من حقيقة طبيعة دورها) .

والعجيب فى الأمر أنه لم يغب عن بال ناقدنا المدقق أن يعلق على اختيار ملابس الممثلين ، فهو يذكر فى هذا الشأن أن أصحاب المسرح ـ الذين كانوا يقومون بعمـل المخرجين فى ذلك الوقت ـ جانبهم التوفيق فى اختيار الملابس المناسبة لرواية تقع أحداثها فى عهد الرومان . (ونلاحظ على أصحاب المرسح اختيار الملابس فهى خليط من ملابس الرومانيين واليونانيين والغاليين وفرسان القرون المتوسطة) .

وفى نهاية مقاله يلوم النـاقد رواد المســارح المصرية لأنهم لا يحفلون بالمسرح بالدرجة الكافية ، الأمـر الـذى قد يثبط همم الممثلين وأصحاب المسارح : (وليس لنا مجال اليوم لذكر ما نؤاخذ عليه الجمهور الذى يقصد مراسحنا الوطنية ولكننا نكتفى أن نقول بالاجمال ان الممثل لا يرى منه تنشيطا كبيرا) .

اسم جديد للمسرحية : فتاة الحرية :

تشير صحيفة (مصر) بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٠٨ (ص ٢) الى أن جوق مجتمع التمثيل العصرى قدم مسرحية (كيف ينــال الدستور) تحت اسم جديد هو (فتاة الحرية) كما يظهر لنا من

الخبر التالى : (يمثل مجتمع التمثيل العصرى مساء اليوم فى تياترو التفريح بالمنصورة رواية فتاة الحرية وهي من أوضاع فولتير الشهير وتعد من خيرة الروايات لغة وموضوعا . وسـيقوم بأهم أدوارها البلبل الشـهير يوسف أفندى نحال . فنحض محبى التمثيل على حضورها) .

٥ ـ مسرحية مصطفى كامل

قبل أن نعرض لمسرحية (مصطفى كامل باشا) يجدر بنا أن نذكر أن هذا الزعيم الوطني ألف مسرحية بعنوان (فتح الأندلس) مثلها أنصاره بعد وفاته ۰ وتذكر لنا جريدة (الأهرام) بتـاريخ ٦ أغسطس ١٩٠٨ (ص ٢) فى هذا الصدد :

(سرنا ما علمنـاه من عزم بعض الأفاضل على تمثيل رواية فتح الأندلس التى ألفها المرحوم مصطفى باشا كامل لأن هذه الرواية مع ما اشتملت عليه من أبيات الوطنية الحقة لم تمثل حتى الآن مع شديد الحاجة اليها ۰ وسيكون تمثيلها في مسـاء السبت بعد غد بالتياترو المصرى بشارع عبد العزيز ۰ وسيطرب الحضور فى خلالها بلبل مصر الشهير شفيق أفندى ۰ وتختتم الليلة بفصل مضـحك من مهرج مصر أحمد أفندى الفار فلا عجب اذا بلغ الاقبـال حدا كبيرا) ۰

وبعد انقضاء ما ينيف عن شهرين من تمثيل (فتح الأندلس)، نشر (اللواء) بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٩٠٨ (ص ٦) الخبر التالى : (رواية المرحوم مصطفى كامل باشا : لا يجوز طبع ولا تمثيل رواية المرحوم مصطفى كامل باشا الا باذن من مؤلفها عبد الحميد أفندى كرارة وحضرة محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى) ۰

ثم نشر (اللواء) بتاريخ ٢٧ فبراير ١٩٠٩ (ص ٦) بيانا عن مسرحية (حياة مصطفى كامل) جاء فيه :

(عزمت جمعية الجامعة التمثيلية الكبرى على تمثيل رواية جليلة الموضوع هى رواية حياة شهيد الاستقلال وبطل من أبطال الوطنية المغفور له مصطفى كامل باشا · تقع هذه الرواية في خمسة فصول ، فى كل فصل منها قطعة من حياة ذلك الشهيد العظيم · وكل قطعة مولفة من عدة أجزاء كل منها جزء من الوطنية الثابتة النزيهة الكاملة · ويقوم بتمثيل هذه الرواية نخبة من الشبان الأذكياء بعد أن قضوا شهورا طوالا فى وضعها وتجريب تمثيلها تحت نظر بعض كبار الوطنيين · وقد أعدوا لها ما تستلزمه من المناظر والصور وأتقنوها حفظا والقاء · ولا شك أنها ستكون موضع اعجاب محبي التمثيل من الوطنيين وفي هذه الرواية كثير من الحوادث الوطنية والسياسية وكثير من المناظر التى تمثل الحقائق التاريخية أبدع تمثيل · وستمثل لأول مرة في دار التمثيل العربى مساء يوم الأربعاء ١٠ مارس المقبل تحت رعاية سعادة محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى ·

وقبل البدء فى تمثيل مسرحية (مصطفى كامل) بيومين نشر « اللواء » بتاريخ ٨ مارس ١٩٠٩ (ص ٩) الخبر التالى : —

« لا يزال أعضاء جمعية الجامعة التمثيلية عاملين على استكمال ما يلزم من بديع المناظر ومؤثر الألحان وصحيح المشاهد وغير ذلك مما يستلزم الرواية الجديدة التي ستمثل فى دار التمثيل العربى لأول مرة مساء يوم الأربعاء المقبل ، وهى رواية حياة مصطفى كامل باشا التى طال انتظار المصريين لها ، والتى لا شك أنهم سيستقبلونها بما هى أهل له من الاقبال والاعجاب بعد أن مثلت تجاربها مرارا وتكرارا ، ودلت على ذكاء واضعها الكاتب الأديب عبد الحميد أفندى

كرارة وبراعة الممثلين وسيلقى بعض كبار الفضلاء خطبا وقصائد تناسب المقام ، يتخلل الفصول فصول من الأغاني المؤثرة والألحان الشجية) ٠

تغير درامي في موقف (اللواء) من المسرحية :

وبعد تمثيل هذه المسرحية بالفعل في ١٠ مارس ١٩٠٩ طرأ على موقف (اللواء) منها تغير درامي مفاجئ يصعب على المرء الوقوف على أسبابه ٠ فقد حلت محل ما كالته هذه الصحيفة من مديح وثناء على المسرحية لهجة قادحة تستغرق في الملامة والتقريع ٠ ولعل كل ما يرجوه الدارس في هذا الشأن أن يكون لهـذا التحـول المفـاجئ أسـبابه الموضوعية ٠ يقول (اللواء) بتاريخ ١١ مارس ١٩٠٩ (ص ٦) تحت عنوان (الرواية الجديدة مصطفى كامل) ٠

(كان أمس موعد تمثيل رواية حياة مصطفى كامل باشا فأقبل القوم أفواجا وزمرا لمشاهدتها معتقدين في واضعها العناية بموضوع هذه الرواية التي تمثل حياة عظيم من عظماء الرجال وبطل من أبطال هذا العالم ٠ ولكنهم ما كادوا يقفون على أول فصل من هذه الرواية السقيمة شـكلا حتى عرتهم الدهشة لتفاهة موضوعها وسـخافة أدوارها ٠ نعم ، ودهش المتفرجون لأنهم رأوا حياة مصطفى كامل تدور حول ثلاثة أشياء : حب عزيزة — الاحتجاج على اغتصابها — كتابة مقالة فاضت روحه بعد تلاوتها !! هذه هي حياة مصطفى كامل وأعماله التي جعلت له المكانة العليا في قلوب المصريين ! مسـخ واضح) ٠

وبعد هجوم (اللواء) الشديد على سخافة التأليف نراه يتناول قصور التمثيل بقوله :

(أما الممثلون فكان أمرهم عجبا ، جهل بفن التمثيل جهـلا مركبا . وفتك باللغة العربية فتكا ذريعا ، ومقاطعة بعضهم البعض أثناء التمثيل . وغير ذلك مما لا يسع المجال اجماله وخصوصا الفصل الذى مثلوا فيه جنازة مصطفى : فانه ما كادت الأبصـار تراه حتى سقط المتفرجون فى أيديهم لفساد ذوق واضعه وشناعة منظر ما وضع) .

ويختم (اللواء) مقاله قائلا :

(ولكنه رغما من كل ذلك ، فقد كان المتفرجون كلما سمعوا شيئا عن ثبات مصطفى كامل وتمسكه بمبادئه هتفوا لذلك وصفقوا، وفى ذلك دليل على نمو الاحساس ورقى الشعور ، حيث أن الأمة ظهرت بمظهر الممجد لخدامها العاملين على سعادتها . ونحن نحض الكتاب الفضلاء على الكتابة فى هذا الموضوع وتأليف الروايات فيه لينتشر تمثيلها فى جميع البلدان والقرى ، ويبقى الأصلح منها فتزداد العاطفة الوطنية تمكنا من القلوب) .

الفصل الثالث

قضايا مسرحية

١ ـ جـوق السـيدات
٢ ـ نقـابة المثلين

١ جوق السيدات

مقـــدمة :

عرف المسرح المصرى تجربة فريدة من نوعها ، لا يســتطيع المرء ادراك ما أصابته من نجاح أو فشل ·· ولكن ليس لنجاحهـا أو فشلها أهمية على أية حال ، لأن ظهور التجربة على المسرح المصرى فى حد ذاته ، ظاهرة تستحق منا الالتفات ، كما تستحق من الباحث التوفر على فحصها وتمحيصها · فقد طالعتنا (المحروسة) بتاريخ ٤ مايو سنة ١٩١٠ (ص ٢) ، بخبر أشد ما يكون غرابة ، تحت عنوان : (كلمة عن جوق السيدات) ، ينبئنا بتكوين أول فرقة تمثيلية من النساء ، محظور على الرجال الاشتراك فيها · يبـدأ الناقد الذى نشر كلمته فى المحروسة بقوله : (ذهبت لمشـــاهدة تمثيل غرام الملوك ليلة السبت الماضى ٢٢ الجارى بالتياترو المصرى ، اثر ما طالعته فى الجرائد من أن الذى سيقوم بتمثيلها جوق سيدات لا يضم رجـــلا ، وأنه أول جوق من نوعه يمثل بعاصمة القطـر المصرى ، وكنت قد هنأت نفسى سلفا لأنى سارى عجبا ، وأعود فى نهاية التمثيل طربا) ·

وبعد أن يعبر لناقد عن خيبة أمله فيما شاهد ، وعنا أمله في نفس الوقت أن يقدم جوق النساء عرضا آخر أفضل ، نراه يقول : (الرواية جميلة المعنى ، غير أنها من الطراز القديم ، فتمجها النفس . وقد غير الجوق اسمها ، ايهاما للناس بأنها جديدة . وأرى

أنه كان الأولى به أن ينتقى احدى الروايات التى يعد الاقبال عليها عظيما ، وهى غير قديمة العهد ، بدلا من أن يسلك سبيل التمويه . فيكون موضوعا للريب عند الناس فى الدفعات التالية) .

مسرحية متريدات :

ومسرحية (متريدات) ، التى قدمها جوق النساء تراجيديا كتبها راسين فى عام ١٦٧٣ . ويجدر بنا أن نقف على موضوعها حتى يمكننا أن نتبين بقدر المستطاع الأسباب التى حدت بهذا الجوق النسائى الغريب أن يختارها بالذات للتمثيل ، وخاصة لأن كل شخصياتها ـ باستثناء شخصية واحدة هى عشيقة الملك ـ من الرجال .

استمد راسين أحداث مسرحيته من بطون كتابات المؤرخين الاغريق ، ومن بينهم بلوتارك .. وتروى لنا هذه المسرحية قصة ملك اغريقى متقدم فى السن ، اسمه (متريدات) ، له ولدان أكبرهما (فرناس) ، وأصغرهما (اكسفاريس) ، وعشيقة شابة أثيرة الى قلبه اسمها (مونيم) .

كان الرومان فى ذلك الزمان يغيرون على بلاد الاغريق ، ويشنون الحرب عليها . وفى أعقاب معركة خاضها (متريدات) ضد أعدائه الرومان ، سرت اشاعة بهزيمة الملك وقتله . وحين ترامت هذه الاشاعة الى أسماع ولدى الملك ، أسرع كل منهما لكى يخطب ود (مونيم) عشيقة أبيهما . ولكن (مونيم) أبدت نفورا

من الابن الأكبر فرناس الغليظ الفظ ، في حين أظهرت ميلانحو الابن الأصغر اكسفاريس ، وألمحت اليه بأنها تبادله الحب ٠

وفجأة أرعدت السماء ، تعلن وصول الملك (متريدات) الذى ظن الجميع أنه مات ٠٠ واندهش الملك عندما رأى ولديه فى حضرة عشيقته ، وراودته الشكوك فى أن يكون ابنه الأكبر على علاقة بها ٠ وازدادت العلاقة بين الملك وابنه الأكبر سوءا عندما رفض هذا الابن أن ينفذ خطة وضعها والده للهجوم على أعدائه الرومان ، فقد كان فرناس متواطئا مع هؤلاء الأعداء ومتحالفا معهم فى السر ٠ واستشاط الملك غضبا عليه وزج به فى السجن ٠

أما الابن الأصغر اكسفاريس ، فقد وافق أن يقود الحملة ضد الرومان مما جعل والده يمتدحه ويشيد به ٠ فاغتاظ فرناس ودبر أن يكيد له بأن وشى لدى أبيه بحب اكسفاريس لمونيم وتظاهر الملك فى بادىء الأمر بأنه لا يصدق وشاية ابنه الأكبر بأخيه الأصغر ٠٠ ولكن الشكوك التى أقضت مضجعه دفعته الى استجلاء حقيقة علاقة عشيقته بابنه اكسفاريس ٠ واستدعى الملك مونيم وأمرها بأن تتزوج من ابنه الأصغر ، فتهللت الفتاة وطفح وجهها بالبشر والحبور ٠ الأمر الذى جعل الملك يتحقق من حب عشيفته لاكسفاريس ، فيأمرها بأن تنصرف عن هذا الحب ، وأن تقبل الزواج منه على الفور ٠ ولكن الفتاة ترفض الزواج من الملك بعد أن أباحت بسرها له ٠ كما أنها تلومه على الأسلوب الشائن الذى اتبعه ليكتشف حقيقة شعورها نحو ابنه الأصغر ، وخاصة لأن احساسها بواجبها نحو الملك دفعها لأن تسعى ما وسعها السعى لاخماد جذوة حبها لابنه ٠ وعندئذ يغمر الملك شعور عارم باليأس لخيانة كل المحيطين به ٠ ويدفعه هذا اليأس للتفكير فى التخلص من عشيقته ، ومن ابنه الأصغر الذى خرج فى ذلك الوقت لمحاربة الرومان ٠ وقبل أن

يخوض متريدات الحرب ضد أعدائه ، أراد أن يقضي على عشـيقته (مونيم) حتي لا يفوز بها أحد من بعده ، فأمر أتباعه أن يدسوا لها السم في الشراب ، وكادت (مونيم) تلقى حتفها لولا أن تدخلت الأقدار لتحول دون موتها ٠

واستشعر الملك أنه هالك لا محالة ، فقد ترامت اليه الأنبـاء بأن جيوش الرومان تقترب من أراضي مملكته ، وان ابنه الكبير فرناس قد ألب الشعب ضده ، فأغمد الرجل السيف في جسده حتى لا يقع في أسر أعدائه ٠ ولكنه أدرك قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة أن ابنه الأصغر قد عاد اليه بعد أن حقق النصر على الأعداء ، فبارك زواجه من (مونيم) قبل أن تفيض روحه ٠

بعض مدلولات جوق السيدات الاجتماعية :

بعد أن عرضنا ملخصا لأهم أحداث هذه المسرحية ، يجدر بنا أن نشير الى أن جميع المشتركات في تمثيلها ـ اللائى لا يزيد عددهن عن ست سيدات ـ من الممثلات المحترفات ، كما يخبرنا بذلك ناقد المحروسة : (بقيت لى كلمة عن السيدات الست اللائى قمن بأدوار الرواية ، وكلهن من ممثلات جوق شركة التمثيل تنقصهن السـيدة اميليا ديان ، ما عدا واحدة كانت مع جوق رفعت أفندى ٠ وهو جوق متنقل وأعلم أنها فصلت منذ زمن قصير ٠ لكنى لا أعرف ما تفعله الآن) ٠

ولا شك أن هذا يزيد من الغموض الذى أحاط بظروف تكوين هذا الجوق النسائى والدافع اليه ٠ فقد يجد المرء أنه من الطبيعى أن يتفق فيما بينهن عدد من النساء اللائى يهوين التمثيل فى مجتمع محافظ يعتبر ظهور المرأة على خشبة المسرح تهتكا وعارا على تكوين فرقة نسائية من الهاويات يحظر على الرجال الاشتراك فيها ٠ولكنه

من غير الطبيعي أن تنتظم الممثلات المحترفات في جوق مستقل في نشاطه عن الرجال ، وخاصة لأن قلة عددهن كانت سببا في أن تضطلع الممثلة الواحدة بأداء أكثر من دور في وقت واحد وفي حذف بعض أدوار المسرحية لعجز الجوق عن أن يجد من تمثلها .

ينحي ناقد المحروسة باللائمة على جوق النساء (لأن الوزير يقوم بوظيفة الحاجب تارة والقائد بوظيفة التابع طورا ، وأدهى مما ذكر أن الجوق لم يلاحظ أن الملك لا يجوز أن يكون في ساحة القتال هو وقائده بمفردهما غير مصحوبين بجندي أو ضابط فنرى ساحة القتال خاوية على عروشها خالية مما عداهما) ، فضلا عن أنه (لم يلاحظ أن السجن المحتوى على مساجين لا يصح أن يكون بلا سجان فنرى الوزير يفك المساجين ويحضرهم للملك عندما طلبهم كما أنه لم يلاحظ أن بلاط الملك لا يصح أن يخلو من الحجـــاب والأتباع والجند) .

وبالرغم من اللوم الذي وجهه ناقد المحروسة لهذه العيوب التي تشوه الرواية تشويها قبيحا فانه يجد لما يراه من عيوب شيئا من العذر : (لأن ما حدا به اليه سوى أن الجوق لا يحتوى على خلاف ست سيدات قمن بأدوار الملك وولديه والوزير والقائد والعاشقة . غير أني أرى أنه لم يكن يصعب عليه الايجاد ولو أربع سيدات زيادة يقمن بهذه الأدوار التي حذفت من الرواية فالأولى تقوم بدور السجان والثانية بدور حاجب في بلاط الملك ومعها الثالثة والرابعة بصفة تابعين والأربعة في منظر ساحة القتال كان يمكن وجودهن بصـفة جند مع الملك) .

ولكنه كان يجدر بهذا الناقد أن يترفق بعض الشيء في نقده للممثلات اللوائي لم يقمن بحفظ أدوارهن جيدا . لأنه من العسير على الانســـان أن يستظهر دورين في وقت واحـــد . ويلوم ناقد

المحروسة السيدة التى قامت بدور الملك لأنها لم تحفظ دورها جيدا كما أنه يلوم ممثلة دور الوزير لنفس السبب ، ولكنه يعترف أن ذلك لم يظهر عليها نظرا لصغر الدور الذى لعبته ويثنى هذا الناقد على السيدة التى لعبت دور العاشقة ولا ينكر عليها حفظها الجيد لدورها واتقانها التمثيل الى حد ما • ولكنه يعيب عليها بشـــدة لما (كانت تأتيه من حركات منافية لآداب مجتمع التمثيل فضلا عن استرسـالها فى الضحك لأقـل حركة تبـدو من الحاضرين ولأقل سبب •• والخامسة وهى صاحبة دور فرناس ــ أحد ولدى الملك ــ لم نر فيها عيبا فقد قامت بتمثيلها بكل اجتهاد ، ولا أنكر ما أنعشتنا به من الألحان التى سررنا منها • غير أنى أؤمل أن تتقن التمثيـــل ولا أظنه عسير عليها • أما السادسة ــ وهى صاحبة دور اكسفاريس ــ وهو الولد الثانى للملك ــ فلا يسعنى سوى ابداء اعجابى من اتقانها دورها وصحة تمثيلها • فلقد خيل الى أنها رجل لما كانت تبديه من ضروب الشجاعة والحماس) •

وتثير هـذه الملاحظة الأخيرة ــ بمـا تنطوى عليه من دلالات جنسية ــ تساؤلا عن الدوافع اللاشعورية التى يحتمل أن تكـون سببا فى اغراء جوق السيدات الغريب بالتشبه بالرجال فى تمثيل هذه المسرحية • ولكنى سوف أبتعد عن التفسير النفسى وأقتصر على محاولة استكشاف أبعاد المسرحية الاجتماعية •

والرأى عندى أنه مهما كان الدافع الذى حدا بجوق السيدات أن يمثل هـذه الرواية وأيا كانت نتائجهـا من الناحيتين العملية والفنية ، فان هذه التجربة الفريدة فى المسرح المصرى لها دلالتها الاجتماعية • فهى فى نهاية الأمر تعبر عن تكتل نسائى ونوع من الاعتراض على سيادة الرجل ورغبة فى التحرر من سلطانه •• ان تكوين جوق نسائى في حد ذاته ليس سوى تحرش بالرجل ومنافسته ومعاملته معاملة الند للند • ومن ثم ــ فى نظرى ــ تجىء خطورة

التجربة · ولو أننا أمعنا النظر قليلا فى مغزى هذه المسرحية لوجدنا ـ بالاضافة الى تمجيد الوطنية ـ أنها تتضمن دعوة مقنعة الى الحب المتكافىء الذى تفتقده المرأة الشرقية بوجه عام · فليس من الطبيعى أن يتزوج الملك فتاة فى عمر ابنته ولكن من الطبيعى أن يختارها ابنه زوجة له ·

ويبدو لى أن هذا التمرد النسائى الذى اتخذ صورة تكوين جوق من السيدات يزاحم أجواق الرجال قد تعثر · فقد عجزت عن تتبع أخبار هذا الجوق الغريب عدة سنوات حتى حاول البعض احياء نشاطه فى عام ١٩١٤ أى بعد انقضاء ما يقرب من خمسة أعوام ، كما يتضح لنا من هذا الخبر المنشور فى جريدة الأفكار بتاريخ ٤ أغسطس ١٩١٤ (ص٢) :

(النساء على مسرح التمثيل : فى مساء الخميس ليلة الجمعة ٦ أغسطس الجارى تمثل جوقة من السيدات الممثلات اللائى لهن شهرة كبرى فى فن التمثيل رواية العشاق الثلاثة · وهى رواية غرامية جديدة وسيكون جميع ممثليها من الملك والوزير والقواد والشعب والخدم من السيدات · وتختتم الليلة حضرة الممثلة الكوميدية الشهيرة الست (أندرينيكا) الرومية بفصل مضحك جديد ، هذا خلاف القصائد الغرامية والمنولوجات الهزلية التى تلقيها جوقة السيدات خلال تمثيل الرواية التى ستكون فى تياترو برنتانيا الكائن خلف التلغراف المصرى بأول شارع بولاق ·

وهذه أول مرة تظهر فيها النساء على المسرح تمثل أدوار الملوك والقواد ومحاربة الأعداء والدفاع عن الوطن ، فنرجو أن يكون الاقبال عظيما على تلك الليلة التى لم يسبق لها مثيل فى مصر)

واذا تجاهلنا ما فى الخبر من مجافاة للحقيقة ، لأننا نعلم أن جوق السيدات التى تكون فى عام ١٩١٠ قد سبق فى ظهوره الجوق المعلن عنه بنحــو خمســـة أعوام - بل من الجائز أن تكون هناك محاولات أخرى مماثلة فى تلك الفترة أو قبلها - فانه يجدر بالباحث الاجتماعى فى مصر أن يسبر غور هذه التجربة الرائدة وأن يجــد التفسير لهذه الظاهرة الفريدة . وخاصة فى مجتمع بلغ حدا من المحافظة جعله يناقش مجرد ارتياد النساء لدور التمثيل كمســألة أخلاقية ، مثلما يتضح لنا من مقال كتبه مصطفى اسماعيل القشاشى بعنوان (حول مسألة النساء في دور التمثيل) فى جريدة الأفكار بتاريخ ٢٢ يونية ١٩١٦ .

« الأبعاد الاجتماعية والسياسية في مسرحية ابن الشعب »

ابن الشعب

شاهد المسرح المصرى فى مطلع القرن العشرين نصا فرنسيا عربه فرح انطون بعنوان « نبوغ واختلال أو رواية فنان » عن الكاتب الفرنسى المعروف اسكندر ديماس الأب ٠ ويستطيع الدارس أن يطالع نص هذه الرواية المعربة على صفحات أعداد مجلة « الجامعة » الصادرة فى عام ١٩٠٦ ، أى بعد أن مثلها جوق سلامة حجازى بشهور قلائل بعنوان آخر هو « ابن الشعب » ويتضح لنا مما نشرته الصحف أن جوق سلامة حجازى مثل لاول مرة مسرحية « ابن الشعب » مساء يوم ١٢ سبتمبر ١٩٠٥ ٠ فقد نشرت صحيفة « مصر » الصادرة فى هذا التاريخ (ص ٣) الخبر التالى :

« يمثل مساء اليوم جوق حضرة الشيخ سلامة حجازى لاول مرة بدار التمثيل العربى رواية (ابن الشعب) وهى سياسية أدبية ذات حوادث واقعية جرت فى البلاد الانكليزية تاليف الكاتب الفرنساوى الطائر الصيت اسكندر دوماس وتعريب حضرة الأديب فرح أنطون ٠ وقد عودنا هو الآخر أن لا ينقل من الروايات الأفرنجية الى اللغة العربية الا ما كان من خيرة الروايات وأهمها مثل رواية (البرج الهائل) ونحوها ، فنؤمل أن يكون الاقبال عليها عظيما ٠٠ »

استمد اسكندر ديماس شخصية بطله من بعض أحداث التاريخ الانجليزى فى القرن التاسع عشر · فتحكى لنا روايته قصة الممثل الانجليزى الموهوب « أدموند كين » الذى ولدته أمه سفاحا عام ١٧٨٧ واشتهر باتقان تمثيـــل الأدوار التراجيدية ومن بينها دور عطيل ومكبث ·

ويلفت نظرنا فى مسرحية « ابن الشعب » أن جمهور المسرح المصرى فى العقد الأول من القرن العشرين شاء أن يطالع بين سطورها بشائر الثورة على الظلم الاجتماعى وازالة الفوارق بين الطبقات ويدعونا هذا الى الدهشة والاستغراب فنحن نعلم أن روايات اسكندر ديماس لا تتسم بأى طابع ثورى · ومعنى هذا أن جمهور المسرح المصرى أسقط تطلعه الى تحقيق المساواة الطبقية والعدالة الاجتماعية فى أحداث « ابن الشعب » تساعده على ذلك مجريات الأحداث التى تدور حول لقيط يدعى (ريشار) استطاع بفضل ما يتحلى به من خصال أن يتغلب على خصومه وشانئيه من ذوى الحسب والنسب · فقد تمكن بمؤازرة الشعب له أن يصبح نائبا عن المقاطعة التى ولد فيها فى وجه منافسيه من أصحاب الجاه والسلطان وبلغت شعبية ابن الشعب اللقيط مبلغا جعل ملك انجلترا يسعى الى استمالته واسترضائه ، تجنبا لبأسه وخوفا من معارضته · ولعل من الغرابة بمكان أن نرى ابن الشعب يقترف من الفظائع ما تقشعر لها الأبدان فلا ينفر بعض جمهور المسرح المصرى منها ، بل يرى فيمن يقترفها رمزا للثورة فى وجه الظلم ودعوة للتحرير من ربقة الاستبعاد · وتتضمن رواية اسكندر ديماس ايضـا حوادث غرامية وفكاهية تختلط باحداثها الاجتماعية · ولكن يبدو أن هذه الحوادث الغرامية والفكاهيـــة لم تستطع أن تجتذب اليهـــا أنظار المصريين قدر ما استطاع الجانب الاجتماعى أن يشدهم اليه · ومن ثم ، فانه يمكننا

القول بأن تعاطفهم مع مضمون مسرحية « ابن الشعب » تعـاطف اجتماعي وسياسى بالدرجة الاولى ٠

واول دليل لنا على هـذا ما كتبه أحمـد حلمى فى صحيفة « اللـواء » بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٩٠٥ (ص ١) ـ أى فى اليوم التالى لتمثيلها لاول مرة فى ١٢ سبتمبر ١٩٠٥ ـ تحت عنـوان « التمثيل : اسمعوا واعوا » ويلفت النظر فيما كتبه أحمد حلمى أنه يعتبر مسرحية « ابن الشعب » عملا أجتماعيا وسياسيا يتضمن دفاعا عن حقوق الشعب ضد مغتصبيها من الاشراف والنبلاء ٠ ويتجلى لنا هذا من وصفه للشعب الانحليزى عام ١٨١٤ الذى اختار ريشار اللقيط ممثلا له فى مجلس العموم ٠

« شعب سليم النية يحـب بـلاده وينصر العـاملين لخيرهـا فيرفعهم من درك الانحطـاط الى درج الظهور والارتفـاع ٠ ولكن الاشراف والنبلاء يصهرون لحمه تحت اشعة مطامعهم فيأكلون ما ينضج ويطرحون ما لا ينضج ، ويحبونه (أى الشعب) أن يكون أعزل ولا يحمل سلاحا ولا يجد من يدافع عنه ويودون دائما أن يكون مستعدا لتقديم ما يرغبون من المال والارواح حتى من العواطف التى لا سلطان لاحد عليها ٠ »

فضلا عن أن هذا يتضح لنا أيضا من أسلوب عرض أحمد حلمى لأحداث مسرحية (ابن الشعب) ومنها أن الشريف استفنسن رأى أن ريشار منافس خطير له فى أنتخابات مجلس العموم فشاء أن يحطمه بافشاء سره ٠ وهو أن طبيبا عثر عليه لقيطا فى الطريق فأواه فى بيته وتولى تربيته ٠ ولما أدرك الطبيب أن سر ربيبه قد أنكشف وذاع وان أعداءه يتخذون من هذا السر سلاحا يشهرونه فى وجهه ، زوجه من ابنته (جانى) حتى يقيم له سندا اجتماعيا يشد من أزره فى وجه أعدائه وشانئيه ٠ وبالرغم من سعى استفنسن للدس

والوقيعة بمنافسه ريشار فقد نجح بفضل تأييد عامة النــاس له في انتخابات مجلس العمـــوم • ويستخلص أحمد حلمى من هــذه الاحداث دروسا اجتماعية وأخلاقية ، فيقول :

« هنــــا يحس القارىء ان الذى يخلص فى خدمة شـــعبه يجد انصارا لم يكن يطمع فى نصرتهم من قبل قبل ولكن اذا تأمل يدرك أن قوة سماوية تسهر على مراقبة الضمائر وتعلن لسكان اليابسة أن الاعمال بالنيات وان لكل امرىء ما نوى وأن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره • ذلك أن ريشسار الفتى المجهول الأصل الذى درج فى غير بيت أبيه لما أخلص العمل لأمته أصبح عزيزا لظاهر الاسم ذا زوجة كريمة المحتد له صهر يناصره بماله وفلذة كبده وصوته وجاهه ••

مما يدل أيضا أن عين السماء الساهرة لا تنام ولا تغفل أنهـا الحقت بريشار العقاب حين أغراه الملك بخيانة مصالح الشعب بأن منحه مالا وفيرا وزوجه من ابنة أحد اللوردات فقد انفضح أمره كله للملك الذى عرف أن له زوجة أخـــرى هى جانى التى حاول اقصاءها عن طريقه فلم ينجح ، فقد جاءت (جانى) الى لندن لتحضر زفافه من زوجته الثانية فطاش عقله وألقى بها من النافذة فأرداها قتيلة •

يستلفت أنظارنا فى عرض أحمـــد حلمى لأحـــداث هــذه المسرحية أنه يضمنه آماله فى أن تقتـــدى مصر بانجلترا فتنشىء مجلسا نيابيا يشترك الشعب فى انتخابه يقول هذا الكاتب في معرض حديثه عن معارضة ريشار للملك ووزارته فى مجلس العموم : —

« أرادت حكومة الملك جورج أن تعقد قرضا ماليا • ولكنهـا لما عرضت هذا المشروع على مجلس العموم (**يا سعادة بلاد لها مثل هذا المجلس**) صادفت فى ريشار معارضة شديدة هى جديرة لمن تصدر للدفاع عن شعب أظهره ونصره •

وبمراجعه أخبار الصحف يتجلى لنا ايضا ان هذه المسرحيه لقيت نجاحا ملحوظا يدلنا عليه تكرار تمثيلها خلال فترة طويلة من الزمن ويلقى الاعلان المنشور فى « اللواء » فى هذا الصدد بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٠٥ (ص٣) ضوءا على ما أصابته هذه المسرحية من نجاح منذ بداية عرضها :

« رواية ابن الشعب » هى تلك الرواية التاريخية التى تمثل سياسة حكومة الانكليز السالفة والتى أعجب بها كل من شـــاهد عظاتها البالغة وفصـــولها الرائعة وعبرها المؤثرة وقد أجاد جوق حضرة الممثــل البــارع والمطرب المبــدع الشيخ سلامة حجازى على تمثيلها ليلة الأربعاء الماضى ايما أجادة٠ولذلك لم ينته من تشخيصها حتى التمس منه الجمهور أن يعيدها فى أول الفرص ٠ ولذا ستمثل هــذه الرواية الفريدة فى بابها مساء هــذا اليوم ٠ ويكون لحضرة صاحب الجوق أهم أدوارها فنحث الأدباء على مشاهدة روايات هذا التمثيل الذى ليس له من مثيل ٠ أما التذاكر فتباع بشباك التياترو وبمحل اخوان ناشد الدخاخنى بشارع وجه البركة والفجالة ٠

قلنا أن تعاطف نظــارة المسرح المصرى مع أحــداث مسرحية « ابن الشعب » تعاطف اجتماعى وسياسى بالدرجة الأولى ٠ وليس أدل على هذا مما نشرته صحيفة « الوطن » تحت عنوان « صــوت الشعب صوت الله » بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٩٠٥ (ص٢) ، أى فى اليوم التالى لعرضها على خشبة المسرح ٠ تقول صحيفة (الوطن) فى تعليقها على مضمون المسرحية أنها :

(أظهرت أن طلاب العلاء وعشاق المجد يضحون بكل مرتخص وغال لديهم فى سبيل الوصول الى غاياتهم ٠٠٠ وأظهرت من وجهة أخرى وان صوت الشعب صوت الله وأن الشعب متى أراد لاراد لارادته وان فى مكنته اصلاح كل مختل وتقويم كل معوج بل رفع الوضيع ووضع الرفيع كما جاء فى قولهم ٠٠

الا أن للشعب صوتا اذا
تجلجل ردده الخافقان
وأن له عزمة ان بدت
تولى زمان وقام زمان

لذلك كنت ترى الجمهور عند تمثيل الفصل الثانى الذى يظهر فوة الشعب شديد الحماس لابن الشعب وأنصاره حتى خالوا أنفسهم من ضمن المنتصرين له فصفقوا تصفيقا متواترا وأن الذى ينقصنا لاظهاره ظهور مثل هذه الروايات ووجود خطباء الاصلاح العارفين بأدواء الأمة وعللها التى لم ينجح فيها دواء الى الآن ٠ »

ويدلنا المقال الذى نشرته صحيفة « مصر » عن « ابن الشعب » بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٩٠٥ (ص١) أن بعض المجلات المصرية فى مطلع هذا القرن كانت تحمل على المسرح المصرى افراطه فى استخدام الغناء واقحامه دون مبرر فى كل مسرحية والتضحية بفن التمثيل من أجل الطرب ٠ تقول صحيفة «مصر » فى هذا الشأن :

« نشرت فى احدى المجلات مقالة عن التمثيل العربى جاهرت فيها بانتقاد استعمال الغناء والترانيم بكثرة وبدون مناسبة أثناء تمثيل روايات ليست من النوع المختص بالأنغام والألحان حتى كاد التمثيل عندنا يقتصر على اتقان فن الغناء وطلبت أن نرى بيننا تمثيلا يكون الممثل فيه صورا حقيقية أخذت على شكل حقيقى وليست مجرد آلة من آلات الطرب ٠

وتثنى صحيفة « مصر » على ما يبذله المطرب سلامة حجازى فى سبيل ترقية التمثيل واعلاء شأنه ٠ وتسوق لنا مسرحية « ابن الشعب » كشاهد على هذا :

« أظهرت لنا الأيام أن ذلك المطرب الشهير هو الرجل الوحيد الذى يسعى آناء الليل وأطراف النهار فى ترقية شأن التمثيل العربى وابلاغه الدرجة القصوى من التقدم والنجاح . وكل من حضر تمثيل رواية ابن الشعب التى ظهرت حديثا لا يسعه الا أن يقر بالفضل للرجل ويشيد بالحقيقة الظاهرة . فقد برهنت هذه الرواية الجديدة على ما بلغ اليه الجوق من الاستعداد الحقيقى » .

وتثنى صحيفة « مصر » على مسرحية « ابن الشعب » أيضا لأنها لا تقحم الغناء اقحاما فى أحداثها :

« أول ما تمتاز به هذه الرواية عن سواها أنها تكاد تخلو من أدوار الغناء بالمرة الأمر الذى قد يستغرب على مراسح التمثيل العربى لما ألفه النـاس من قديم الزمان ولكن الأمر الذى يستحق الاعتبار هو أن الاقبال كان شديدا جدا حتى لم يبق مكانا خاليا بالمرة مما يبرهن على أن فى النفوس استعدادا وشوقا لروايات من هذا القبيل وروايات حقيقية ووقائع مجردة من كل حشو وترانيم فى غير محلها وأدوار غناء تذهب بكل تأثير يتعب من أجله المؤلف. وقد امتازت الرواية أيضا بحسن ملابسها ومطابقتها للحقيقة .فقد ظهرت « جانى » فى البداية بملابسها ابنة انكليزية لا غش فيها . ولا تسل عن مظاهرات الانتخاب . فقد تمثلت بمظهر جميل جدا يدهش الرائى وكانت سائر الملابس فى غاية الاتقان . وقد اجتهد الممثلون فى اتقان تمثيل الرواية فى جميع أدوارها ، فظهرت براعة جانى . والحق يقال فى اتقان دورها والتأثير على الحضور حتى كادت تفاخر الممثلات الأوربيات بمهارتها الفائقة وقدرتها العجيبة » .

ولكن ثناء كاتب المقال على التمثيل لا يمنعه من انتقاد ريشار بطل المسرحية وابن الشعب الذى أختاره الناس نائبا عن مقاطعتهم ، لأنه « لم يكن يعرف الخطبة التى ألقاها على الشعب جيدا ، فكان

صوته متقطعا ويكاد يكون خافتا بعكس ما كان يجب أن يكون عليه زعيم الشعب وقائده في ظروف كهذه · ويبدو أن اعجاب الجمهور والنقاد المسرحيين به فاق كل تصور ، لدرجة أن كاتب المقال أبدى قدرا واضحا من التهيب الممتزج بالاعتذار وهو يعبر عن رأيه رغم ما فيه من رجاحة العقل · وتتجلى لنا لهجته المعتذرة من تساؤله عن مغزى المسرحية الذى غاب عن فهمه وعن الهدف من وراء تمجيد ابن الشعب رغم كل ما اقترفه من جرائم وشرور وآثام · ويقول ناقد صحيفة « مصر » فى هذا الشأن :

« عقب الانتهاء من تمثيل الفصل الأخير أخذت أسأل نفسى عن غرض المؤلف الذى يقصده والمبدأ السامى الذى يرمى اليه · ولكنى لمزيد الأسف لم أحظ بالوقوف على جواب مقنع · أقول ذلك والخجل يكاد يمنعنى لما قد يكون فى الرواية من المعانى والأغراض التى لم تظهر لى · والله يعلم أنى لولا بعض الجسارة الأدبية التى عندى ولولا شغفى بالروايات والتمثيل لضربت صفحا عن هذه النقطة ولما عرضت نفسى للسؤال والاستفهام · رأيت بطل الرواية (ريشار) الذى دعوه ابن الشعب وتغنوا بمدحه وتكبيره أتى أفظع أنواع الجنايات فى العالم وبات آمنا سالما · فان الشعب انتخبه نائبة عنه وحمله على أعناقه وقت فوزه فى الانتخاب ثم ارتكب هذا الجرم الهائل فرمى « جانى » زوجته التى تعبده عبادة من نافذة المنزل وكانت النتيجة أنه عاد الى أمه وأبيه أخيرا وعاش بينهما فريدا فما معنى ذلك وماذا نستفيد منه ، أنا أحمل ذلك كما حمله غيرى على قلة أصل ريشار ودناءة نسبه حيث لا يأتى هذه الأفعال غير كل قليل الأصل · فهل هذا غرض المؤلف · يظهر لى أن المؤلف لم يقصد ذلك قط · فما يقصد اذن · هل يريد أن يظهر كم يبلغ الطمع وحب العظمة بالانسان اللهم ان كان هذا هو المراد فكان يجب أن تحل على ريشار نتيجة الطمع الوخيمة · هذا وقد أثرت

جميع أدوار جانى فى الرواية بالحاضرين تأثيرا كبيرا وخصوصا تلك النهاية المحزنة التى انتهت بها حياة قصـــتها فى الحب والاخلاص لريشار • ولا شك أنها من أصل كريم ونسب مجيد فعملت بأصلها وأخلصت الحب لزوجها الذى لم يظهر من الشهامة والرجولة قيراطا واحدا معها • فما هو المبدأ الســامى الذى يسعى المؤلف لتقريره يا ترى بهذه النتائج والوقائع ؟ • أنا والله لا أدرى شيئا من هذه الوجهة • فعسى أن يهتم حضرة المعرب الأديب باجـلاء الحقيقـة ونحن له من الشاكرين » •

وبعد مضى عدة شهور على شكوى ناقد صحيفة « مصر » من غموض المغزى الذى ترمى اليه مسرحية « ابن الشعب » نشرت مجلة « الجامعة » الجزء الثامن السنة الخامسة الصادرة فى نوفمبر ١٩٠٦ (ص٣٠٥ – ٣١٨) بحثا مستفيضـــا بعنوان « انشـــاء الروايات العربية : معانى رواية ابن الشعب » وفيه يشير الكاتب الى عجز بعض الناس عن فهم هذه الرواية بقوله « ما زلنا نذكر مباحثات كثيرين ممن شهدوا تمثيل رواية ابن الشعب فى مصر وقولهم فى الجرائد وغير الجرائد أنهم لم يفهموا أغراض هذه الرواية ومرامى مؤلفها •

ولست أجد فى هذا البحث المستفيض ما يغرى المرء بترديده لأن الجانب الأعظم منه يستغرق فى الحديث عن الصفات العامة التى ينبغى أن تتوفر فى الروايات الجيدة ومن ثم فهو أقرب الى عرض بعض نظريات فى النقد الأدبى بوجه عام منه الى نقد رواية « ابن الشعب » بوجه خاص • ولكن لعله من المفيد أن نردد ما ذكره هذا الكاتب فى هذا الصدد من أزورار أصحاب القرائح والمواهب الأدبية عن تأليف الروايات لما فى هذه الصناعة من خسران ، ولأن الجهد المبذول فيها لا يتناسب مع ما تثمره من مكافأة • وذاا قيل أن حافظ ابراهيم الشاعر المعروف قد عرب جزءا صغيرا من رواية

البؤساء مقابل ألف جنيه ، فالرد على ذلك أن هذا المبلغ لم يكن ثمنا لهذا الجزء المعرب ولكنه كان بمثابة تشجيع له من جانب بعض سراة المصريين الذين دفع بعضهم ٥٠ جنيها ثمنا للنسخة الواحدة.

ويشرح لنا كاتب « الجامعة » رواية « ابن الشعب » فيصفها بأنها رواية غرامية أدبية فكاهية سياسية وضعها اسكندر ديماس الأب .. وموضوعها بيان ما يوافق نوابغ الرجال من اختلال الاحوال ووصف بعض طبقات الانكليز العليا وما كان يقع بينها من الحوادث الغرامية والخلاعة ومدار الرواية على أشهر وأعظم ممثلى الانكليز فى القرن التاسع عشر . وكان شمس انكلترا وقمرها فى تمثيـــل الروايات الجدية ومناظر البرنس دى غال ولى عهد انكلترا لذلك العهد فى نفقاته وحوادثه الغرامية والرواية مبنية على تنازعهما قلب حســـناء من أكابر السيدات . ويظهر فيها مقام الممثلين فى تلك البلاد .

ويثنى كاتب المقال على جودة التعريب بقوله :

« مما سرنا فى تعريب هذه الرواية أن معربها أستوفى فى تعريبها شروط التعريب فجاء تعريبه جامعا لمحاسن الأصل ومعانيه البليغة وأفكاره الجميلة . فالقارىء يقرأ فيها أفكار ديماس نفسها مسبوكة بقالب جميل كقلبها الأصلى » .

« مصر على مسرح انجليزى »

بالرغم من أن « النبى الأبيض » مسرحية انجليزية تأليفـــا وتمثيلا ، فانه يجدر بنا أن نشير اليها فى معرض الحديث عن المسرح المصرى .. نظرا لما تضمنته من دفاع عن القضية المصرية وادانة لسياسة بريطانيا فى مصر فى عهد كرومر واظهار ما فى الحضـــارة المسيحية من زيف ونفاق ، الأمر الذى حدا بالصحافة المصرية أن تستقبلها فى تحمس ظاهر وحرارة بادية ، وقد دعا هذا التحمس صحيفة « المنبر » الى أن تنشر تباعا ترجمة لرواية «النبى الأبيض» على صفحاتها ، بهدف ازكاء الروح الوطنية فى نفوس المصريين ، مقدمة بذلك نموذجا لأديب حر شاءت المقادير أن ينتمى الى معسكر الأعداء ، يقول « المؤيد » بتاريخ ٧ فبراير ١٩٠٩ (ص٥) بصـــدد « النبى الأبيض » أنهـــا تتناول الحيـــاة السياسية فى مصر فى عهد اللورد كرومر وأن مؤلفها هو المستر « هول كاين » وتضيف هذه الصحيفة أن الممثل الانجليزى « بيرلوم ترى » الذى اضطلع بتمثيل هذه الرواية على مسارح لندن زار مصر حتى يقف بنفسه على حقيقة الأماكن التى وقعت فيها أحداثها . ويخبرنا « المؤيد » أن « ترى » جاء الى مصر مزودا بكتاب توصية من المستر اسكويث رئيس الوزارة الانجليزية الى المعتمد البريطانى فى مصر السير الدون غورست .

وذكرت « الغازيت » فى هذا الشأن أن تمثيل هذه الرواية فى لندن لقى معارضة واستياء شديدين من جانب دوائر الموظفين الانجليز · وبعد انقضاء بضعة أيام يذكر « المؤيد » بتاريخ ١٥فبراير ١٩٠٩ (ص٥) تحت عنوان « مصر على مرسح انكليزى » أن الممثل الانجليزى الكبير « بيرلوم ترى » عاد الى لندن بعد أن زار القطر المصرى ليقف بنفسه على المعلومات والمشاهد الوطنية التى يتطلبها تمثيل مسرحية « النبى الأبيض » بمرافقة المستر باركر المعروف باعداد المناظر المسرحية ·

وحين صدر كتاب « النبى الأبيض » استشاط الرأى العام الانجليزى غيظا فصب جام غضبه على مؤلفه · وتوجه مراسل جريدة « مانشيستر سيتى نيوز » الى منزل هول كاين ليستجلى رأيه فيما أثاره كتابه من صخب وضجة وينقل لنا « المؤيد » تحت عنوان « صاحب النبى الأبيض يدافع عن روايته » بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٩٠٩ (ص٤) ملخصا لموقف هذا المؤلف من ثورة بنى جلدته عليه يقول « هول كاين » ان الهجوم المسعور عليه لم يصبه بالدهشة ·· فقد كان منتظرا ، اذ أنه يستنكر فى روايته ما فى نظام الجندية من قتل لحرية الجندى الشخصية وقضاء على ارادته · فضلا عن أن روايته تدمغ الاستعمار لأنه يغتال حقوق ومصالح الأمم المغلوبة على أمرها ، وتفضح زيف الحضارة المسيحية التى يتصرف أبناؤها على نحو ينتهك مبادىء الدين المسيحى نفسه · ومن ثم فان المؤلف يرى أن هجوم الانجليز عليه أمر طبيعى ليس فيه ما يدعو للدهشة أو الاستغراب ·

ويشرح لنا « هول كاين » فى حديثه الظروف التى ألف فيها كتابه · فيقول ان موضوع رواية « النبى الأبيض » ظل يشغل باله فى الحاح نحو سبعة عشر عاما ، أمضى ثلاث سنوات منها فى مجرد كتابتها مرتين حتى استقر رأيه على شكلها النهائى فى المرة الثالثة ·

وذكر « كاين » في حديثه أنه توفر على قراءة كل ما يستطيع بصدد موضوع روايته ، وانه استغرق خلال الاعوام الثلاثة الأخيرة فى كتابتها استغراقا صرفه عن كل ما عداه · فضلا عن انه قام بزيارة مصر ثلاث مرات قابل فيها كبار الساسة والمسئولين ورؤســاء الأديان من المسيحيين والمسلمين واليهود ··

ويعزو المؤلف هجوم بنى جلدته عليه الى الموظفين الانجليز الذين يستفيدون من الاحتلال البريطانى فى مصر ، والذين يدركون أن تحرر المصريين من نير هذا الاحتلال يهددهم في معاشهم وأرزاقهم، ومن ثم ، فانهم لا يرغبون أن يحدث فى مصر أدنى تغير فى حالتها السياسية · ويذكر « كاين » فى حديثه أن حقد هؤلاء الموظفين المنتفعين عليه دفعهم الى نشر هجـوم شـديد الوطأة على روايته فى الاجيبسيان غازيت أيام كانت مجلة الستراند تصدرها فى حلقات، وأنهم استغلوا ما لهم من نفوذ حتى يلطخوا بالوحل سمعة روايته· ويبدى « كاين » أسفه لأن هؤلاء الموظفين هاجموا روايته دون أن يفرغوا من قراءتها ، بل دون أن يقرؤوها فى أغلب الأحيان ·

ويختتم المؤلف الحديث الذى أدلى به الى صحيفة « مانشستر سيتى نيوز » بدحض طائفة التهم التى وجهها اليه شانئوه · ومن بينها أنه يسعى الى اثارة الفتنة فى مصر · وانه يوغر بذلك صدور المصريين على بنى جلدته الانجليز ، وانه يسىء الى شعور المسيحين الدينى · يقول : هول كاين » :

« واما زعمهم اننى أثرت فتنة فى مصر بروايتى وأهنت وطنى فلا صحة له مطلقا ، وهـذه رواية « النبى الأبيض » تنشر باللغة العربية منذ أواخر السنة الماضية فى أعظم جريدة مصرية يحررها كبار الصحفيين فى مصر · ولم تحدث فتنة أو ثورة ولا شىء من هذا القبيل · ولئن اظهرت عطفا على المصريين ، فقد انتقدت بصراحة ما فى نظامهم الاجتماعى والدينى من الخطأ أيضا · واما قولهم اننى

تعرضت لكرامة النفس الدينية وجعلت بطل الرواية على أقرب مثال للسيد المسيح ، فجوابى عليه أننى فعلا بذلت جهدى لأصور السيد المسيح فى شخص النبى الأبيض • وهى غايتى الحقيقية • ومهما بلغ من اهتمامى بمصلحة مصر وأمورها السياسية ، فقد كانت غايتى اسمى من ذلك وأردت من تأليف روايتى ان اضع تجاه ما يسمونه المدنية المسيحية صورة حيه للمسيحية الحقة •• ولذلك أوجدت أفضل رجل مسيحى قدرت أن اصوره والقيته على الدوام ضمن دائرة الانسانية ، ثم وضعته وجها لوجه أمام عناصر المدنية الفظيعة التى تشوه الآن وجه العالم ، وقد كان يجب على مؤمنى النصرانية أن يفعلوا فعلى ، ولكنهم لا يفعلون • وعليه فاذا شئت ان تخدمنى قل للجميع عن رواية النبى الأبيض انها مجرد شكوى من المدنية التى تدعى انها مسيحية موجهة اليها على نور مصباح المسيحية الحقة ، كما بينها السيد المسيح بالذات » •

ويتضح لنا مما كتبه « المؤيد » بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٠٩ « ص ٤ » ان هذه الصحيفة تدافع عن رواية « النبى الأبيض » ضد الذين يحاولون النيل منهـا والحط من قدرها ، مؤكدة لنا اقبال الصحف على نشرها على نحو ليس له نظير • يقول « المؤيد » فى هذا الصدد :

« حسب بعض الناس ان رواية النبى الأبيض يكون نصيبها الاهمال وانها لا تروج الرواج المنتظر بعـد ما قامت قيامة بعض الصحف والكتاب الانجليز على مؤلفها ، واذا بالانتقاد الشديد قد أدى الى رواجها واقبال الناس على مطالعتها • فقد اطلعنا فى جريدة المانشستر كرونكل ان ادارتها اتفقت مع المستر هول كاين أبتداء من ٧ الجارى تصميمها لنشرها ، وعليه يكون قد بلغ انها فاقت كل رواية أخرى بدليل انها نشرت تباعا فى مجلة الستراند ، ثم طبعت على حده • ثم نشرت فى جرائد أمريكا • وهى الآن تنشر فى جريدة

مانشستر كرونكل وقد حادث محرر الجريدة المذكورة المستر هول كين فى التهم الموجهة الى روايته · فدافع المؤلف عن نفسه خصوصا فى زعم قوم ان روايته اثارت الخواطر فى مصر وأوجدت فتنة فيها · فقال أن اكبر جريدة مصرية ، اسلامية ما برحت تنشر ترجمة روايتى فى القاهرة منذ ديسمبر الماضى ·· ولم يحدث من جراء ترجمتها شىء يصح أن يقال انه فتنة · وحقيقة الامر ان مائة نبى ابيض لو ظلوا مائة سنة يحاولون الاذى واثارة الفتن فى مصر ما أساءوا قدر ما تسىء السلطة الانجليزية فى يوم واحد بارتكاب خطأ مثل الخطأ الذى ارتكبوه فى حادث دنشواى » ·

نقابة الممثلين

بدأ التفكير ـ فيما أعلم ـ فى تكوين نقابة تضم الممثلين لتدافع عن حقوقهم نحو عام ١٩١٥ ٠ وانى استند فى تحديد هذا التاريخ الى مقال نشرته (المحروسة) بعنوان (نقابة التمثيل العربى) بتاريخ ٢٠ يناير ١٩١٧ (ص ١) يبدؤه صاحبه بقوله انه سمع منذ عامين أن أحد الأعيان يسعى سعيا متواصلا فى التأليف بين الأجواق العربية المشتغلة بالتمثيل فى مصر وهى أجواق عكاشة وجورج أبيض وحجازى ، ولكن المساعى باءت بالاخفاق ، فقد ماتت فكرة جمع شمل الممثلين بمجرد ولادتها ٠

وبعد انقضاء عامين أى فى عام ١٩١٧ تجددت فكرة تكوين تنظيم يضم اليه الأجواق الثلاثة وطالب كاتب (المحروسة) الا تقصر النقابة المقترحة على الأجواق الثلاثة المشهورة على أن تضم غيرها من الفرق التمثيلية سواء كانت فى القاهرة أو الاسكندرية أو فى عواصم الأقاليم وكلها ـ كما يقول الكاتب ـ أحوج ما تكون الى المساعدة والارشاد ، (هذا ما نطلبه اذا كان المراد من انشاء هذه النقابة ترقية لفن التمثيل لذاته ٠ اذ ليس من المصلحة اغفال الأجواق الأخرى وجعل فائدة النقابة مقتصرة على ثلاثة أجواق فى القاهرة بينما توجد أجواق أخرى محتاجة الى الاصلاح الفنى) ٠

ويبدو ان التفكير حينذاك فى انشاء نقابة للتمثيل كان ضربا من الطوبيات ليس بسبب تعذر وضع الفكرة موضع التنفيذ ولكن بسبب أسلوبها المقترح فى العمل : فقد اقترح بعض المتحمسين للنقابة أن تضم هذه النقابة سائر الفرق المسرحية فى مصر وأن تفرغ هذه الفرق مجتمعة كل مكاسبها فى صندوق واحد ليعاد توزيعها على الأجواق المختلفة ·

ولقيت هذه الفكرة بطبيعة الحال معارضة شديدة من الأجواق الناجحة مثل جورج أبيض وجوق حجازى ، لأن معنى هذا أن تكدح هذه الفرق الناجحة لتعول الفرق المغمورة والفاشلة ·

واتهم كاتب (المحروسة) فريقا من الأعيان المشايعين لهذه الفكرة بأنهم يعملون على انتشال جوق معين من ورطته المالية حتى لا يتعرض للتوقف عن العمل · وأنه اذا سارت الامور على هذا النحو فسوف ينتهى الامر بخلق نوع من البيروقراطية يمسك بزمام الشئون المالية والادارية ويعمل على حساب التمثيل وليس لحسابه ·

(ان المسموع ان بعض الراغبين فى ايجاد عمل للربح يسعون فى ضم هذه الجوقات ليستطيعوا من وراء ذلك ايجاد مصدر للعمل، ولا نقصد بذلك جهود الأعيان الساعين فى تحقيق الأمنية ، وانما نقصد الذين سيعملون فى هذه الادارة بعد ابراز الفكرة وتكوينها ويقضون على دفة الشئون الادارية · على أننا لا نظن أن هذه الأحلام تتحقق لأن من المستحيل التوفيق بين رغبات الأجواق المتفاوتة اللهم الا اذا كان المقصود انشاء نقابة فنية لا دخل لها فى النظامات الداخلية والمالية للأجواق) ·

ولم يمض عامان على ما نشرته صحيفة (المحروسة) عن مشروع نقابة الممثلين حتى تكونت هذه النقابة بالفعل ، فقد طالعتنا جريدة (البصير) بتاريخ ١ مايو ١٩١٩ (ص ٢) بالخبر التالى ·

(اتم الممثلون فى المسارح العربية تأليف نقابة لهم تضم كل ممثل فى العاصمة يحترف التمثيل العربى ووضعوا لهذه النقابة قانونا مؤلفا من ١٢ مادة وقعه كل ممثل انضم اليها . والغرض من هذه النقابة توحيد كلمة الممثلين ، والعمل على ما فيه اعلاء شأنهم ومنع كل اجحاف يلحق بهم . ويجمع رأس مال هذه النقابة بتحصيل ثلاثة فى المائة من راتب كل ممثل شهريا ، واذا قدر وانحلت فان جميع ما يكون فيها من مال وغيره يوزع على الجمعية الخيرية الاسلامية والجمعية الخيرية القبطية فنرجو لهذه النقابة كل نجاح وثبات .)

ويتضح من بقية الخبر أن سوق التمثيل فى تلك الفترة أصابه الكساد وخاصة بسبب اضطراب سير قطارات الترام .

(ومما يذكر هنا عن التمثيل العربى أن سوقه قد كسدت فساءت حالة الممثلين كثيرا ، ولا تزال غالب الجوقات ممتنعة عن التمثيل لأن الجمهور لا يقبل عليها بسبب الأحوال الحاضرة . أما وقد عاد سير قطار الترام الى نظامه الأول فلا ريب أن الحالة ستتغير وتعود قريبا الى ما كانت عليه .)

تشجيع الممثلين على الاضراب

كان عام ١٩١٩ عام كساد فى سوق التمثيل العربى ، الأمر الذى أفضى الى انتشار البطالة بين عدد كبير من الممثلين وافلاس بعض الأجواق . ورغم أننى أكتفى هنا بوصف مظاهر هذا الكساد وأغراضه ، فانه يجدر بالباحث فى تاريخ المسرح المصرى أن يستجلى أسبابه .

ويكفينا للدلالة على مقدار ما أصاب المسرح العربى من كساد أن نشير الى انحلال جوق عبد الرحمن رشدى وما صاحب هذا الانحلال من أحداث كما يرويها لنا أحمد محرم الممثل بهذه الفرقة

ى جريدة (المنبر) الصادرة فى ٧ سبتمبر ١٩١٩ (ص ٣) ٠
لعله من المفيد أن نعيد نص ما كتبه هـذا الممثل فى جـريدة
(المنبر) لأن هذا وحده كفيل بأن يعطينا صورة صادقة عن بؤس
لمشتغلين بالتمثيل فى ذلك الوقت وسوء حالهم :ـ

« صاحب جريدة المنبر الغراء ٠

قرأنا اليوم فى منبركم الأغر كلمة عن الفرق التمثيلية ومنهـا
شتغال الأستاذ رشدى بجمع ممثلين لفرقته بعد أن انفض من حوله
كل الممثلين وبينهم السـيدة مليـا ديان ٠ ولما كنتم أفسحتم فى
جريدتكم مجالا للكتـابة عن التمثيل ولوثوقنا بحبكم لهـذا الفن
تتقدم اليكم نحن ممثلى فرقة رشدى بهذه الكلمة اظهـارا للحق
وبيانا للرأى العام ٠

عقب الحوادث الأخيرة عرض علينا الأستاذ عبد الرحمن رشدى
ان يدفع لنا نصف مرتباتنا (ولكن شكك) حتى تتحسن الحالة
فشكرناه وعذرناه وبعد أن مضى شهر ونصف رأى نفسه عاجزا عن
لدفع ، ورأينا خوفا من اثقال كاهلة بالديون أن تستمر الفرقة فى
عملها وأن نشتغل معا بالمسـاهمة أى أن نكون شركاء فى السراء
والضراء ٠

اتفقنا على ذلك بموجب عقد لستة أشهر تنتهى فى ١٣ أكتوبر
١٩١٩ قضينا منها ثلاثة أشهر فى الضراء الى أن قيض الله لنا من
انتشلنا من هذا البؤس باحياء عشر ليالى تمثيلية بمديرية المنوفية
فأبرقنا سرور لأننا سنرى بعد تلك الثراء والهناء ٠ ولكن ما كدنا
نفرغ من هذا الحلم وتلك الأمانى حتى قلب لنا الأستاذ ظهر المجن
وأراد ان يستأثر لنفسه بذلك الهناء ، حيث عرض علينا مرتبـا
لشهر اغسطس واخذ تارة يهددنا بحل الفرقة وطورا بتأجيل هذه
الليالى الى ما بعد عقد المساهمة ٠

ولما رآنا عصبة واحدة لا نريد الا الحق صرح بأن هذه الليالى عملت له خصيصا ، ولو درى القائمون بها أن له فيها شركاء من الممثلين يعدلون عن احيائها . وزاد على ذلك أن سعى فى التفريق بيننا وارضاء كل منا على حدة . (كل ذلك فعله الأستاذ ليحرمنا من فائدة بسيطة سننالها ونسى أو تناسى ان له وحده ١١٧ سهما بينما لكل الممثلين ٦٨ سهما . رأينا ذلك منه ورأيناه مصرا على عناده فاتفقنا فيما بيننا على الخضـوع لكل ما يعرضه علينا حتى نصل الى شبين الكوم مركز المديرية ومقر المنصفين .

وصلنا الى شبين الكوم وعرضنا عليه طلباتنا (وهنا نستميح الرأى العام عن ذكر ما حصل بالتفصيل) . ويكفى أن نقول أننا رأينا للحق أعوانا وخرجنا من المعركة السلمية منتصرين (ولو أنه انتصار ناقص) . تصافحنا بعد ذلك مع الأستاذ مديرنا وصرح بأن ذلك لم يكدره لأننا دافعنا عن حق نعتقد أنه من حقوقنا ولا ندرى بما يضمره لنا فى نفسه .

أخذنا فى احياء باقى الليالى والأستاذ يؤجل دفع حقوقنا من يوم لآخر ونحن لا ندرى بما يخبؤه لنا حتى الليلتين الأخيرتين ، فقد حصل فى الأولى أن الأسـتاذ نسى الرواية فى القاهرة فاضطررنا اظهارا لعواطفنا نحوه ولأن سمعته هى سمعة المجموع أن نمثل تلك الليلة بغير رواية (بدون تلقين) . وفى الثانية شـذ فرد منا عن تعهداته (لا لزوم لذكر أسمه لأنه رصيف لنا) . وكان يريد بنا خيرا ، بل كاد يذهب بتعبنـا أدراج الرياح . وكان فى استطاعة الأستاذ ملافاة الموضوع بخمسـة جنيهات من الكثير الذى عنده . ولكن الله سلم ، وانتهت الليلة بسلام وكانت الأخيرة .

طلع الصباح فبقيت الفرقة فى قويسنا وقام النائبان عنا الى شبين الكوم لاستلام المتأخر لنا . وكان هناك الاستاذ عبد الرحمن رشـدى يعد العدة للدفاع ضـد أفراد عاونته ورفعته ليتنعم هو

وحده • ظهر لنا ان الاستاذ لا يريد أن يسدد ما عليه بل يصمم على عدم الدفع وأنه اتفق مع فرقة جديدة لتقوم باحياء ليلتين له بالقاهرة يومى ٢ ، ٤ سبتمبر وبينها الرصيف الذى أساءنا • كل ذلك جعل لنا أنصارا يدافعون عن حقنا المهضوم حتى أستولينا على ما بقى له من أجر تلك الليالى • ولكن للأسف نقص المبلغ ثلاثين جنيها •

جئنا الى القاهرة وكنا نظن أن الأستاذ أرفع من أن ينفذ فكرة ايجاد فرقة جديدة بدلا منا ولكن رأينا عكس ما كنا نعتقد ومثل رواية (حلاق أشبيلية) • ولما كان لا بد من انتصار الحق وخذلان الباطل لم يتمكن الأستاذ من أحياء الليلة الثانية بتمثيل رواية (البدوية) • ولعل السبب فى ذلك ما عرفه اخواننا الممثلون من قضيتنا فامتنعوا عن مد يد المساعدة له فى احيائها •

هذه بعض أفعال الأستاذ رشدى الذى يأمل الشعب المصرى الكريم أن يرتقى التمثيل الأدبى على يديه ، وهذه قضيتنا نبسطها للرأى العام للحكم علينا أو لنا •

أحمد محرم
عن ممثلى فرقة رشدى

ويتضح لنا من مقال نشره يوسف اسكندر جريس تحت عنوان (اعتصاب الممثلين) فى جريدة (المنبر) الصادرة فى ٣٠ سبتمبر ١٩١٩ (ص ١) أن انشقاق الكثير من الممثلين عن فرقة عبد الرحمن رشدى جاء فى وقت حرج فى تاريخ المسرح المصرى ، فقد وقع هذا الانشقاق فى الوقت الذى رحلت فيه فرقة جورج أبيض عن مصر وأوقف العكاشيون نشاطهم لاصلاح مسرحهم • وبذلك خلت مصر من كافة أنواع التمثيل الراقى •

ويقول لنا كاتب المقال والألم يعتصر قلبه ان المصريين استقبلوا اضراب الممثلين عن العمل بمثـل الاستخفاف الذى يستقبلون به اضراب الجرسـونات فى مشـارب القهوات ثم ينحى باللائمة على الصحف المصرية باستثناء (المنبر) لأنها لا تحفل بالتمثيل ولا تقيم له وزنا ، فى حين أن الصحف الأوربية تعنى به عناية فائقة ٠

ويختتم الكاتب مقاله بمساندة ممثلى فرقة رشدى فى اعتصابهم من أجل تحسين أحوالهم المعيشية ٠ ويقارن بين اضرابهم عن العمل وبين اضراب مماثل قامت به ممثلات مدينة نيويورك للمطالبة بتحسين اجورهن ، فيقول ان الشعب الامريكى لم يقف موقف اللا مبالاة الذى يقفه الشعب المصرى ، بل نظم عدد أفراده مظاهرة فى الليلة الأولى من اضراب الممثلات الأمريكيات مطالبين بفتح المسارح بالقوة وانصاف الممثلين بأية طريقة حماية لفن التمثيل العظيم وصـونا لنشاطه ٠

ولعل هذا المقال أول محاولة من جانب أصحاب الكلمة المكتوبة للتحريض على التظاهر والاضراب من أجل تحسين أجور العاملين بالمسرح فى مصر ٠

نقابة المغنين

يدلنا مقال نشرته (المحروسة) فى ٣٠ يناير ١٩١٨ (ص ١) بعنوان (المغنون والحاجة أم الاختراع) على الظروف التى نشأت هذه النقابة فى ظلها وكيف تكونت نقابة المغنين نتيجة الحاجة اليها فقد كانت المحال والبيوت العمومية فى حى الأزبكية تخالف أوامر الحكومة وتسمح بمعاقرة الخمور الى ما بعد الميعاد القانونى بل أن السهر فيما امتد طيلة الليل ، الأمر الذى أفضى الى الاسراف فى استهلاك للوقود والكهرباء • ولما كان هذا يتنافى مع رغبة الحكومة فى توفير الوقود فقد استصدرت السلطات قرارا عسكريا يقضى بمعاقبة المخالفين وعدم اضاءة المحال التجارية بعد الساعة السابعة الا بقناديل الزيت أو الشموع أو بطرق أخرى غير البترول والكهرباء وسد هذا القرار على المغنين الآلاتية سبل الرزق فجأروا بالشكوى مما وصلت اليه حالتهم • ولم يكتفوا بالشكوى من سوء الحال بل نظموا صفوفهم وقاموا تحت ضغط الحاجة بانشاء نقابة لهم للدفاع عن حقوقهم دون أن يمضى على التفكير فى انشائها أكثر من يوم أو يومين ، ولعل هذه النقابة كانت أسرع نقابة خرجت من مجرد التفكير الى حيز التنفيذ • واستطاع المغنون الآلاتية عن طريق نقابتهم أن يحصلوا على بعض الحقوق مثل تأخير وقت اغلاق المحال والبيوت

العامة من السابعة الى العاشرة مساء • وبهذا أثبتت نقابة المغنين صلاحيتها وفاعليتها فى وقت قصير •

أما ظروف تكوين النقابة فقد كانت فى غاية الغرابة • فقد تقرر تكوينها اثر اجتماع أفراد طائفة المغنين فى قهوة عمومية فى شارع محمد على معروفة باسم (قهوة الآلاتية) حيث كانوا يجتمعون فيها كل يوم ابتداء من الساعة الرابعة بعد الظهر • وكان الراغبون فى أقامة السهرات يقصدون الى هذا المقهى لطلب المغنين واختيار رجال الفن من عواد وقانونى وكمنجاتى ورقاق الخ •• وتصف لنا جريدة (المحروسة) ظروف انشاء هذه النقابه فتقول :

والظاهر أنهم فى اجتماعهم الأخير بسطوا الشكوى فيما تصل اليه حالتهم المعيشية اذا هم بقوا معطلين عن العمل بسبب مصادرة هذه البيوت فرأوا أن تفكك عراهم وتفرق جماعاتهم لا يتفق مع الواجب فى توحيد كلمتهم وآرائهم ومطالبهم لتكون الشكوى الى المصادر الرسمية بلسانهم جميعا • فاقترحوا انشاء هذه النقابة وأقاموا من بينهم بالانتخاب نقيبا لها وهو محمود أفندى القبانى العواد وشقيق القبانى الملحن المشهور • فلما أن وجـدوا نقابتهم خطت خطوات مسددة فى مسألة السهر ، اذ نالوا على يديهـا بعض مطالبهم ، رغبوا فى تقوية هـذه النقابة وتعميم نفعها ، وأول ما عملوه فى هذا الصدد اعانة العاطلين من بينهم بواسطة اجبار كل عضـو فى النقـابة على دفع قرش فى كل يوم يحفظ فى صندوق النقابة لينفق منه على الأعمال الادارية وليوزع على الأعضاء الذين يكونون معطلين عن العمل لمساعدتهم على المعيشة • واستطاعوا فى بضعة الأيام التى مرت على انشاء نقابتهم أن يساعدوا العاطلين من

بينهم وأن يجمعوا فى صنـدوق النقابة مالا غير قليل · وقد بلغ متوسط ما يجمع فى الليلة الواحـدة نحو المائة قرش · ويقول الراغبون فى ترقية أعمال هذه النقابة أنهم ساعون الى بذل المجهود لتشريف هذه الفئة ومطاردة الدخلاء فيها والذين يستغلون باسمها ويدعون انهم فنيون · وهم فى معزل عن فن الغناء ومعرفة ضرب الآلات · وأنهم يشتغلون بوضع قانون عام لهذه النقابة بعد التفاوض فيما بينهم ·

الفصل الرابع

المسرح المصري يواجه سلطات الاحتلال البريطاني

مقـــــدمة :

يتضح لنا من تحميص شئون التمثيل في مصر قبل ثورة ١٩١٩ أن قصة مقاومة المسرح المصرى للاحتلال البريطانى ترجع الى عام ١٨٩٢ ، أى بعد مرور عشرة أعوام فقط على الاحتلال العسكرى البريطانى للاراضى المصرية فى سنة ١٨٨٢ • وهذا وحده دليل ساطع على أن المسرح المصرى لعب دورا طليعيا وثوريا من أجل التحرر من ربقة الاستعمار وأنه لم يقف مكتوف اليدين أمام الاحتلال البريطانى بل ناضل فى شرف فى سبيل الذود عن حرية البلاد وكرامتها • فصحيفة « الاهرام » تطالعنا بمقال منشور بتاريخ ١٦ مارس ١٩١٤ (ص ١) ـ سوف نشير اليه فى موضعه من حيث الترتيب الزمنى ـ يسجل فيه كاتبه أن المسرح المصرى بدأ يواجه سلطات الاحتلال البريطانى فى عام ١٨٩٢ • ومنذ ذلك الوقت لم تكف الصحافة المصرية عن مطالبة هذه السلطات بأن تولى التمثيل العربى عنايتها • ولم يكن اصرار المصريين على مطالبة الحكومة بترقية المسرح المصرى مجرد مشكلة حرفية أو مهنية ، بل كانت فى الاساس تعبيرا سياسيا ثوريا يرفض الاحتلال باسلوب غير مباشر متخفيا وراء قناع محاربة اهمال الحكومة لشئون فن من الفنون الجميلة • واتخذت مقاومة المسرح المصرى لسلطات الاحتلال صورتين مشروعتين أولاهما مطالبة

الحكومة بتخصيص جانب من الميزانية لاعانة الاجـواق المصرية اذ أنه ليس من المعقـــول أن تتمتع الفرق الاجنبية وحدها بأمـوال المصريين · وثانيتهما المطالبة بانشـــاء معهد لتدريس الفنـــون المسرحية على أسس سليمة وعلى نحو يكفل للتمثيل فى مصر دوام الرقى والتقدم ·

ولم يكن فى استطاعة المشتغلين بالمسرح المصرى ، بطبيعـــة الحال ، أن يطالبوا الحكومة باعانة مالية أو بانشاء معهد للتمثيـل لولا التعضيد الأكيد والمساندة الجلية التى لم يبخل عليهم بهـــا حملة الاقلام من رجال الأدب والصحافة · وبالرغم من هجوم بعض الكتاب على التمثيـــل العربى ، فقد ذهب الكثير منهم الى ضرورة مؤازرته وتدعيمه · نبـــدأ فنعرض فيمـا يلى طائفـة كبيرة من المقالات المنشورة فى الصحف يطالب فيها اصحابها الحكومة بأن تمد يد المساعدة للفرق المصرية ·

(١) المطالبة باعانة الاجواق المصرية

كتبت مجلة « الجامعة » ـ التى كان يصدرها الكاتب المسرحى المعروف فرح انطون ـ مقالا على جانب كبير من الأهمية بتـــاريخ مارس ١٩٠٠ (ص ٥٦٧) توضح لنا فيه ما أصابه المسرح المصرى من رقى وتقدم · وقد كتبت « الجامعة » هذا المقـــال لترد به على احدى المجلات الأجنبية التى نشرت بحثا عن التمثيل الشرقى فى ايران وتركيا والبـــلاد العربية ذهبت فيه الى رســوخ قدم المسرح التركى وحداثة التمثيل فى البلاد العربية · بدأت مجلة « الجامعة مقالها الهام بقولها

« نكتب هذا الفصل وامامنا بحث نشرته المجلة الانسيكولوبيدية موضوعه الملاعب الشرقية · وقد قسمتها الى ٣ اقســـام : الملعب الفارسى والملعب العربى والملعب التركى · وقالت أن الملعب الفارسى يقصد به التمثيـــل الدينى فقط · والملعب التركى ابتدأ بالاعيب (كراكوز) وانتهى بالروايات الاوروبية التى دخلت اليه مع الحرية على عهد ساكن الجنان السلطان عبد الحميد · والملعب الثـــالث الملعب العربى وهو حديث النشأة دخل الى البلاد العربية بدخول لعادات الاوروبية

« وقد فضلت هذه المجلة الملعب التركى على الملعبين الآخرين وقالت انه بنى على أساس متين وهو آخذ بالنمو تدريجيا • وقد مثلت أولى الروايات التركيه فى ملعب طونه الذى بناه السلطان عبد الحميد • ومنذ هذا الحين ابتدأت الروايات التركية • واليوم يوجد كتاب مجيدون من الاتراك ينصرفون الى التأليف فى هذا الفن منهم أفالى بك ومكرم بك • وثانيهما مؤلف رواية عنوانها العفة • وموضوعها ابنة تختار الموت وترك الحب على الرضى بما يمس شرفها • قالت هذه المجلة : فهذه الرواية هى ارقى الروايات التركية • ظهور مثلها فى الملعب التركى دليل على بلوغ هذا الملعب حدا يستحق عنده أن يسمى ملعبا •

« والذى نراه أن هذا الكاتب قد بخس الملعب العربى حقه • وانه لو زار مصر فى هذه السنوات ورأى النهضة التى نهضها بعض الكتاب •• لعلم ان المسرح العربى أصبح أهلا للالتفات والاهتمام » •

ويتجلى لنا من دفاع كاتب المقال عن المسرح المصرى أن تحمسه لا يعميه ، بأى حال من الاحوال ، عما يشوب هذا المسرح من ضعف وقصور • ويحلل لنا كاتب « الجامعة » العناصر الثلاثة التى تحدد انحطاط التمثيل أو رقيه • ويدل تحليله على مقدار وعيه العميق بالمشاكل التى تواجه المسرح الذي لا يقل عن وعى المعاصرين بها • وهذه العناصر الثلاثة التى يتناولها هذا الكاتب بالتحليل هى : الجمهور والمؤلفون المسرحيون وأجواق التمثيل •

يعرض ناقد « الجامعة » للعنصر الاول وهو التأليف المسرحى فى مصر فيبين لنا نزعة كثير من مؤلفى المسرح عندنا الى المجون والهزل الرخيص • ويقول لنا كاتب « الجامعة » فى هذا الصدد :

« الكتاب : كتاب الروايات فى مصر وسائر البلاد العربية لا تزال قرائحهم حصرما أى لم تنضج بعد . والعقلاء منهم يترجمون أو يعلمون أنهم لا يستطيعون التاليف . أما من يقدم منهم على التأليف فاما أنه يخفى روايته ولا يظهرها كما احرق اسكندر ديماس الروايات الثلاث الاولى التى ألفها لضعفها وتقصيره فيها . وأما أنهم يظهرونها غير مبالين بضعف تأليفها لانهم يقصدون بها الربح المادى لا العمل الأدبى . على أنهم مهما قصروا فانهم معذورون لقرب عهدهم فى هذا الفن وعدم نيلهم منه ربحا يوازى تعبهم . ولكنهم لا يقدرون فى مسألتين مهمتين ولو ينتبه اليهما الكتاب : الأولى اختيار مواضيع الروايات وجعلها مما يكون جامعا بين اللذة والفائدة . والثانية وهى الاهم تنزيه الروايات عن السموم التى يدسها بعضهم فيها . فاننا ما حضرنا تمثيل بعض الروايات ورأينا فيها من الخلاعة والمجون الذى تنفر منه الاسماع الا وتمنينا ان لا نسمع تلك السفاسف من فتى أو فتاة . ومن سوء الحظ ان الفتيان والفتيات كباقى الرجال والنساء يصغون كل الاصغاء فى الملاعب الى تلك السفاسف ويقهقهون ضاحكين غير عالمين أنهم يدسون بذلك سم الرذيلة فى نفوسهم وهم لا يشعرون .

« ويدهشنا هنا أن الحكومة لم تفكر فى مصر الى الآن فى وضع حد للفوضى الادبية السائدة فى الملاعب المصرية . فان من الروايات التى تمثل على هذه الملاعب ولا سيما الهزلية منها ما لا يجب أن تسمعه اذنان ولا تراه عينان فحسنا تصنع الحكومة أن تنشىء قلما لمراقبة الروايات وقاية للآداب العمومية ولا سيما فى هذا الوقت الذى اشتد فيه ميل الجمهور الى التمثيل . وليس الكتاب هم الملومين وحدهم فى مسألة هذه السموم التمثيلية . فان الاجواق كثيرا ما (ترش) على روايات الكتاب شيئا من سكر « المجون » على غير علم منهم ، وذلك استمالة للجمهور . فيؤخذ من

ذلك أن الجمهور نفســـه مشترك مع الكتاب والاجواق فى هذه الجناية الكبرى على الآداب العمومية • والحكومة نفسها تشترك معهم فيها لعدم ردعهم عنها • وهي حال من أقبح الاحوال • وكم عاقت هذه الحال فن التمثيل عن التقدم والنماء لاعراض عقلاء الأمة عنه ورؤيته فى منزلة لا يستحق عندها التنشيط والاهتمام • فمن مصلحة الكتاب ومصـــلحة الاجواق معا أن ينبذوا الســـموم من رواياتهم ويهدموا مواضعها رفعا لشأن مهنتهم •

ثم ينتقل كاتب المقال الى الحديث عن الاجـــواق المصرية ، فيوضح مدى اهمال الحكومة لشئونها وامتناعها عن تقديم أى عون لها ، الامر الذى لا يساعد هذه الاجواق على التقدم : —

« **الاجواق** : فى مصر الآن ثلاثة اجـــواق عمـــومية أولهـــا وأكبرها **الجوق المصرى** يديره حضرة اسكندر أفندى فرح ويرأس ممثليه حضره الممثل البارع والمنشد الركين الشيخ سلامه حجازى الذى طار ذكره فى مصر والشام • والجوق الثانى جوق حضرة أبى خليل أفندى القبانى وترأس ممثليه وممثـــلاته العديدات حضرة الممثلة البارعة السيدة لبيبه مالى التى هى زينة الممثلات • كمـــا أن الشيخ سلامه حجازى زينة الممثلين • والجوق الثـــالث جوق حضرة سليمان أفندى قرداحى •

« ولكن هذه الأجواق لعدم مساعدة الحكومة اياها لا تقـــوم بوظيفتها كما كان يجب أن تقوم بها • ومن غرائب المدهشـــات أن الحكومة تخصص مالا طائلا فى كل سنة للاجواق الأجنبية التى تمثل فى القطر رغبة فى ارضاء السياح ولا تلتفت الى الاجـــواق العربية • وقد نشأ جوق حضرة اسكندر أفندى فرح وشب وقوى دون ان تمد الحكومة له يدا كأنه فرخ طائر ربى من غير مســاعدة أمه • وهذا سبب الاهمال والتقصير البادين فى الاجواق العربية •

فانه ينتقد عليها أنها لا تجعل ملابسها منطبقة على مواضيع رواياتها ، وبأنها لا تكافىء الكتاب مكافأة تجعلهم يواصلون الاشتغال بالكتابة فتخسرهم وتقتل مواهبهم ، وبانها لا تنتقى ممثليها وممثلاتها من الطبقة التى تستطيع فهم المواضيع التى يطلب منها تمثيلها . ولذلك يكون تمثيلها مغلوطا ضعيفا . وكل هذه مآخذ كبرى ولكن منشأها واحد وهو فقر الاجواق لعدم مساعدة الحكومة لها كما تصنع الحكومات الأوربية باجواقها . ولا شبهة فى أن الحكومة اذاخصصت فى كل سنة ٥٠٠ جنيه لكل جوق ، يرتفع شأن التمثيل العربى ارتفاعا عظيما يعود نفعه على آداب الأمة وكتابها وأدبائها الذين تستطيع الأجواق حينئذ ادخالهم فى جملة ممثليها مقابل رواتب مهمة تدفع لهم » .

ومع هذا ، فان كاتب « الجامعة » ينحى باللائمة على الاجواق المصرية لانها لا تدقق فى اختيار الروايات وأنها تضحى بالفن الرفيع فى سبيل ارضاء الذوق العام :

« ولكن اذا كانت الاجواق معذورة فى هذا ، فانها مقصرة تقصيرا عظيما فى اختيار الروايات . ونذكر أن أحد الاجواق مثل فى الثغر منذ مدة رواية حضرها فاضل مصرى كبير . ولم يكن قد حضر التمثيل العربى قبله . فخرج وهو مستاء من التمثيل وحالة الجوق كل الاستياء . ولا نجهل أن الاجواق تعتذر عن ابقائها الروايات الساقطة بين رواياتها بأنها مما يرتاح اليه الجمهور . ولكن لا خير فى ارتياح يظهره من لا ذوق لهم ولا معرفة فى هذا الفن اذا كان العقلاء واصحاب الذوق يعرضون عن التمثيل من أجل رواية ساقطة يحتقرونها . ولا يعرضون عنه فقط بل أن حكمهم يرجع الاجواق سنوات الى الوراء . فلتهتم الاجواق بحكم الخاصة أكثر من اهتمامها بحكم العامة لأن العامة اذا كانت تأتيها

بالايراد ، فالخاصة تأتيها بالسمعة والشهرة وهما خير من الايراد لأنه متوقف عليهما كما لا يخفى » ٠

ثم يعرض كاتب « الجامعة » للجمهور فيمتدح فيه اقباله على

المسرح ٠ ولكن في نفس الوقت يلومه على ولعه بالطرب وازوراره عن فن التمثيل ذاته ٠ يقول الكاتب عن الجمهور في هذا الشأن :

« **الجمهور** : واذا كنـــا قد لمنـــا الجمهور لتســامحه فى أمر الروايات المضرة والروايات الضعيفة الساقطة ، فاننا نثني عليه لتنشيطه فن التمثيل في مصر ٠ فانه مقبل عليه بكليته اقبالا لم تظفر بمثله الملاعب العربية في بلاد غير البلاد المصرية ٠ اذ كثيرا ما تغص الملاعب بالحاضرين على اتساعها حتي لا يبقى فيها مكان لواقف ، فضـــلا عن الجالس كما حـدث لرواية (البرج الهائل) حين مثلها جوق حضرة اسكندر افندى فرح لأول مرة فى الثغر ، فان الحاضرين كانوا مئات من كل الطبقات حتى لم يبق فى الملعب مكان توضع فيه قدم ٠ وبلغ ايراد تلك الليلة مبلغا غير يســـير بالقياس الى حداثة هذا الفن فى مصر ، وهو اعظم ما بلغه التمثيل عندنا وقدره ٨٠ جنيها ولكن لابد من الاعتراف بأن اقبال المصريين هذا الاقبال الحميد على تنشيط هذا الفن ليس ناشئا من رغبة فى الروايات نفسها ٠ بل هنالك سبب عظيم يجذبهم بالرغم عنهم الى الملاعب ٠ ونريد بهذا السبب صوت ممثل وبراعة ممثلة وهمـــا الشيخ سلامه حجازى والسيدة لبيبه مالى ٠

« ولقد سمعنا كثيرين يقولون أن حضرة الشيخ سلامه حجازى قد قتل فن التمثيل فى مصر قتلا ٠ ويحتجون على هذا القول بأن الجمهور لا يحضر لسماع الروايات بل لسماعه انغامه الشجية التى تطرب الجلمود وتحرك النفوس كما تحرك الريح الاغصان ٠ ولذلك

أصبح الجمهور لا يعبأ اجاد الممثلون أم لم يجيدوا على شرط أن يحرك الشيخ نفوسهم بالحانه العذبة · وأمسى كل جوق يقوم غير الجوق الذى فيه الشيخ سلامه حجازى محكوما عليه بالسقوط لعجزه عن مجاراته للسبب المذكور انفا » ·

ويدحض كاتب « الجامعة » هذه التهمة التى يلصقها الناس بالشيخ سلامه حجازى ، فيذهب الى ان صوت الشيخ قد اجتذب الجمهور الى المسارح وحببه فيها ، وأن لتمثيل السيدة لبيبه مالى فضل لا ينكر على المسرح المصرى ، يقول هذا الكاتب :

« ولكن لو أنصف القائلون هذا القول لرأوا أن الشيخ سلامه حجازى أوجد هذا الفن في مصر وأحياه لا قتله · اذ بصوته يجتذب الناس بالرغم منهم الى فن التمثيل · ولولاه للبثوا معرضين عنه ولما حضر التمثيل ربع الذين يحضرون الآن · وما قلناه عن حضرة الشيخ من حيث الانشاد وحسن التمثيل أيضا ، نقوله عن السيدة لبيبه مالى · فانها شريكة الشيخ فى اجتذاب الجمهور الى الملاعب بالرغم عنه · وذلك فضل لهما لا ينكر على الملاعب العربية ·

« وأكثر ما تظهر براعة هذين الممثلين فى رواية (البرج الهائل) حيث يمثل الشيخ دور بوريدان وفى رواية (مطامع النساء) حيث تمثل السيدة لبيبة دوز كاترين هوار · ولا شبهة عندنا أنه لو شاهد كاتب مقالة الملاعب الشرقية التى أشرنا اليها فى افتتاح الكلام حضرة الشيخ سلامه فى دور بوريدان يتسلط على الملكة مرغريت دى بورغون ويتلاعب بها تلاعبا يسترعى الاسماع ويشغل الخواطر ويغلق قلوب الحاضرين فيجعلهم كلهم اعينا ترى ذلك الممثل وبراعته · ورأى أيضا تلك الرواية واللهفة والدقة التى تمثل بها السيدة لبيبة كاترين هوار لما تمالك أن يعترف

بخطئه ويقر بأنه وجد التمثيل العربى أرقى مما كان يظن • ونحن نعتقد بأن آخر درجة من الاتقان بلغها التمثيل العربى هى تمثيل حضرة الشيخ سلامه دور بوريدان وحضرة السيدة لبيبة دور كاترين هوار » •

« ويختتم كاتب « الجامعة » مقاله المستفيض بالحديث عن التمثيل فى سوريا ويقارن بينه وبين التمثيل فى مصر قائلا ان الحكومة السورية – على عكس الحكومة المصرية – تصادر التمثيل وتمنعه • ثم يضيف الى ذلك قوله أنه يجدر بحكومتى مصر وسوريا أن تمدا الى هذا الفن الجميل يد العون والمساعدة : –

« ولا نطيل الكلام عن التمثيل فى مصر ليتسنى لنا ايراد كلمة عن التمثيل فى سوريا • ويسوءنا أن نقول أنه لا يوجد فى سوريا أثر لهذا الفن كأن مصر وسوريا فيه على طرفى نقيض • فحكومة مصر تبيحه حتى ما كان منه فاسدا ومضرا وحكومة سوريا تمنعه حتى ما كان منه نافعا ومفيدا • ومن الغرائب أيضا أنها تمنع التمثيل العربى مخافة تخديش الافكار كما يقول بعضهم وتأذن للاجواق الاجنبية أن تمثل فى بيروت وسواها روايات أجنبية فتبلغ تسامحا غير حميد مع بعض الاجواق الهزلية المضرة التى تتخذ الخلاعة ديدنا لها • فضلا عن القصاصين فى القهاوى واصحاب الالعاب الشائنة التي تدعى العاب (كراكوز) التى تفسد آداب الأمة •

« والخلاصة أن فن التمثيل العربى فى مصر والشام لا يزال طفلا وان كان قد تقدم تقدما مهما • ولو ساعدته الحكومات ونشطته لفتحت به موردا جديدا للأدباء الذين ينخرطون فى سلك اجواق التمثيل ولأزهر فى حديقته غرس الادب والشعر وراج

سوق الكتاب ودخل بواسطته سرور جديد وفوائد جديدة في روح الأمة » ٠

ونشرت صحيفة « البصير » بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٠٠ (ص ١ ، ٢) مقالا بدأه كاتبه بالدفاع عن التمثيل وتبيان فوائده الاخلاقية ٠ ويلوم هذا الكاتب الحكومة المصرية لاهمالها الشائن للمسرح العربى ٠ في حين انها تخصص كل عام مبلغا لا يقل عن ٥ آلاف جنيه تنفقها على الاجواق الاجنبية التي تهبط أرض مصر ٠ ثم يسوق الينا الكاتب الاسباب التى تتعلل بها الحكومة للاحجام عن مساعدة الفرق المصرية ويجملها في النقاط الثلاث الآتية :

أولا : ان الممثلين الوطنيين لا يمكن أن يتقنوا هذا الفن لعدم تثبتهم منه وقلة ادراكهم كنه حقيقته فتراهم اذا مثلوا ابقوا بعد تمثيلهم مجالا كبيرا للانتقاد عليهم سواء كان في الالقاء أو الحركات ٠

ثانيا : ان الحكومة اذا اظهرت ميلها لمساعدة جوق من هذه الاجواق تخشى أن يبقى الحال على ما هو الآن وتصرف المساعدة في غير شئونها ٠ وفضلا عن ذلك فانها لا تضمن عدم تألب بعض الجماعات لتاليف أجواق شتى تهب لمطالبتها بالمساعدة أيضا ٠

ثالثا : ان التمثيل العربى قل من يرغب فيه من أفاضل القوم وعليتهم لا لأن اللغة العربية لا يروق لهم سماعها بل لدخول أى كان من السفلاء المراسح فيفقدون التمثيل رونقه وبهجته اذا كان هناك شيء منهما بضوضائهم وجلبتهم ٠ واذا عورضوا اشبعوا المعترض سبا وشتما مقابل أجرة الدخول التى يدفعونها ٠ فلا

عجب بعد ذلك اذا انحط قدر التمثيل العربى هذا الانحطاط الذى دعى الحكومة للاعراض عن مساعدته ٠

ويختتم الكاتب مقـــاله بالثناء على ما أحرزه الجوق المصرى المعروف بجوق اسكندر فرح من تقدم ، وبتحذير العاملين به من الاعتماد على مساعدة الحكومة بل بنصحهم بالاعتماد أساسا عـلى اقبال الجمهور على مسرحهم ٠ وفضلا عن ذلك ينصح هذا الكاتب الاجواق العربية بعامة أن تتقن عملها حتى تصبح جـديرة بطلب اعانة من الحكومة ، كما أنه يناشد الموسرين أن يهبوا لمساعدتها :

« فحرى باجواقنا العربية التي تدعى الكفاءة فى اتقان هذا الفن الاتقان الذى يرضى الحكومة وأكابر رجال مصر وأن تبرهن على ذلك برهانا ساطعا ينفى عنها شبهة التقصير وعدم الكفاءة ٠ واذ ذاك يحق لها طلب المساعدة اذا كانت بحاجة اليها ٠ وانى على يقين من أن افاضل القوم واغنيائهم يكفونها ذلك ٠ غير ان ما نراه فى هذه الأيام من نهضة الجوق المصرى وهو الجوق العربى الوحيد فى هذا القطر العربى وحسن اختياره للروايات الجامعة بين الفكاهة والمقصد الحسن وما يبذله مديره وممثلوه من الاعتناء الشـــديد للوصول الى حد مرض يكفل البلوغ به الى التمام فى مستقبـــل الأيام يضمن له الاستغناء عن كل مساعدة مالية يؤملها من الحكومة فان اقبال الشعب هو المساعدة الوحيدة التى يجب أن تعتمد عليها الاجواق » ٠

وتطالعنا صـــحيفة « البصير » بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٠٠ (ص ١) بمقال آخر يتضمن الصـــفات التي ينبغى توفرها فى

الممثل اذا اراد أن يحرز تقدما فى حرفته • يبدأ هذا المقال بذكر الدور الهام الذى يلعبه المسرح فى المجتمع • فيقول :

« المسرح مرآة صقيلة يرى الناظر فيها كل حسنة وسيئة وتنطبع على وجهها صور الاجيال الغابرة وكل ما يجهله من عادات الأمم واخلاق الشعوب ومشارب النفوس واميالها • والممثل هو الذى يطبع فى تلك المرآة صور تلك الاجيال ومشارب تلك النفوس وعادات أولئك الشعوب فتنعكس الى الناظرين ويؤثر على نفوسهم تأثيرها المعروف » •

وينتقل المقال الى تحديد الصـــفات التى ينبغى توفرها فى الممثل الناجح ، فيقول ان أولى هذه الصفات هى الحرص على تقليد الواقع والبعد عن الاصطناع أو المبالغة •

« ليعلم كل ممثل أن خير تمثيل هو ما قلدت به الحقيقة على اختلاف أوضاعها • فاذا القى الكلام فليجعل لسانه طوعا لقلبه ورموزا لشعوره ولا يخرج عن الحد الطبيعى فى الحالتين كما يجب عليه أن يملك نفسه فى كل موقف ويعطى كل مقال حقه فى البيان والتعبير عما يخالج فـؤاده من العـــواطف • ذلك من غير زيادة ولا نقصان كى لا يخرج عن الحقيقة فى شىء ومتى كان فى موقف المتـــأثر فليجتهد أن يعجب به النـــاس قبـــل انزال مـــا يرويه ولا يتم له ذلك الا بعد مراعاة الشروط المتقدمة وبدون الامانة يخون المؤلف ويخون السامع ويخون نفسه على السواء •

« ثم يجب عليـــه أن يوازن بين أقواله وحـــركاته وان يدع الطبيعة تنطق بلسانه فيلبس دوره لباسا طبيعيا ويخرج بالظاهر عن التقليد وان كان فى الحقيقة مقلدا لسواه فان التمثيل هو عين التقليد •

« وآخر ما يقال من واجبات الممثل أنه متى تمكن من القاء كلام من يمثله على جميع الناس كما يلقى كلامه الخاص على أفرادهم ذهبت عنه وكان فى التمثيل غاية الغايات » •

والممثل الناجح يجمع بين الموهبة والمران الكفيل بصقل هذه الموهبة • فضلا عن أنه يتمتع بالقدرة على تصوير كل ما يدور فى العالم من حوله دون أن يبرح مكانه :

« ولا يحسب الناس أن التمثيل أمر هين ميسور لمن اراد فانه من الهبات الطبيعية التى لا تدرك بالعلم وحده ولا تنال بالمزاولة على التمرين • فما الممثل الاكالشاعر والمصور وسواهما من أرباب هذه الفنون الجميلة التى تخلق هباتها مع المرء منذ يخلق ولا يكسبها التعليم والتمرين الا بقدر ما يكسب الجوهرة الصقال •

« وكفى الممثل أن يظهر لنا الملك وكيف يتنعم على عرشه الموروث والبطل وكيف يصون بدمائه ذلك العرض • والشاعر وكيف يخلد بنفسه آثار ذلك البطل والعاشق وكيف يضىء بزفراته نفس ذلك • والعشيقة وكيف تلطف بغرامها وجدان ذلك العاشق • وفى الجملة فهو يظهر لنا العالم اجمع لا يبرح من مكانه ولا ينقل قدما • وحسب من يجمع العالم العظيم على ذلك المرسح الصغير بطلا • بل كفاه أنه يكشف الحجاب عن دقائق تلك النفس الخافية فتحيط بها الانظار وهى أوسع من ذلك العالم » •

وفى ختام مقاله يبين لنا الكاتب تقصير الممثل المصرى فى اداء واجباته واعراض المتعلمين عن الاشتغال بالتمثيل • ولكن هذا لا يجب أن يكون مدعاة لليأس ، لأن العمل على تقدم الأجواق من الناحية المهنية كفيل وحده بأن يوفر لها أسباب الاكتفاء الذاتى التى

تعفيها مؤونة السؤال وطلب الاعانة من الحكومة ، يقول لنا الكاتب في هذا الصدد :

« غير ان القنوط حيلة العاجز فلا يجب أن نقنط من البلوغ الى هذا الشأو العزيز لا سيما واننا نرى من جوقنا المصرى دلائل هذه النهضة من حسن اختيار الروايات واتقان المناظر والاعتناء الشديد بالتمثيل . وحبذا لو تنبهت حكومتنا الى مساعدة الاجواق العربية اسوة لها بالاجواق الافرنجية . غير اننا نحث هذه الاجواق أن لا تعتمد على المساعدات الا على اقبال الشعب بما نعده له من وسائل الاتقان . فان اقبال الشعب خير ما يجب أن تطمع به الاجواق » .

وفي ١٩ نوفمبر ١٩٠٠ (ص ٢) نشرت صحيفة « البصير » خبرا بالغ الدلالة عن التماس للحكومة تقدم به سليمان القرداحى للسماح له ببناء مسرح للتمثيل باللغة العربية . ومعنى هذا أن المسارح الموجودة في مصر كانت مخصصة اصلا للاجواق الاجنبية تستخدمها الفرق المصرية فقط حين تنتهى تلك الاجواق من تقديم عروضها فيها . وفيما يلى نص هذا الخبر :

« اتصل بنا أن حضرة سليمان افندى قرداحى قد رفع عريضته الى عطوفتلو مصطفى باشا فهمى يلتمس فيها أن تسمح له الحكومة ببناء مرسح للتمثيل باللغة العربية فى حديقة الازبكية بالعاصمة . وأملنا أن يجاب سؤاله مكافأة لقرداحى افندى على اتعابه فى احياء هذا الفن الجميل بلغة البلاد وسعيه المتواصل فى تحسينه ومساعدة للمجدين فى اتقان التمثيل ونشر هذه الحرفة الادبية لانه من واجبات الحكومة مساعدة الاجواق العربية بقدر مساعدتها للاجواق الاوروبية اذا لم نقل أكثر لأن هذه الفرقة

لا يستطاع استجادتها بغير مساعدة الحكومة المادية والادبية وهي ادرى الجميع بذلك » ٠

ونشرت صحيفة « المؤيد » بتاريخ ٧ اغسطس ١٩٠١ (ص ١ ، ٢) مقالا بعنوان « التمثيل » بدأه كاتبه بذكر الدور الذى يلعبه التمثيل فى ارتقاء الامم ويستطرد بعد ذلك الى الحديث عن اهمال الحكومة المصرية للمسرح العربى قائلا :

« كنا فى الباخرة التى اقلتنا الى فرنسا جماعة من الناطقين بالضاد بينهم حضرة الصديق الفاضل المحامى سليم افندى بسترس الذى يبرح فرنسا اليوم عائدا الى الوطن العزيز ٠ ثم حضرة الاديب ابراهيم بك النبراوى وكاتب هذه الاسطر وكنا فى عرض ذلك البحر اقرب الى مصر منا الى فرنسا فلم يكن لنا حديث الا بما له علاقة بمصر واحوالها وما دار عليه حديثنا فى ذلك المساء اذ البحر فى هدوء والسماء فى صفاء فن التمثيل وتقدمه عند سوانا وتأخره عندنا ٠ فقال سليم افندى أنه لم يبق فى وسع أحد أن ينكر ما لفن التمثيل من الاهمية ٠ فمن الغريب اهمال الحكومة المصرية بل الحكومات الشرقية باجمالها لأمره وعدم عنيائها به » ٠

ويقارن الكاتب بين تقدم المسرح فى فرنسا وتأخره فى مصر مبينا ما ينعم به الممثل والمؤلف الفرنسى من تكريم وحفاوة الى جانب اقبال النظارة العظيم على مشاهدة حفلات التمثيل ٠ ويعطينا هذا الكاتب أمثلة عديدة على تكريم المشتغلين بفن التمثيل فى فرنسا فالدولة تقيم التماثيل تقديرا لبعضهم كما ان الاكاديمية الفرنسية تقوم بانتخاب بعضهم اعضاء فيها ٠

ويطالب هذا الكاتب الحكومة فى مصر أن تحذو حذو حكومة فرنسا ليس فى تشجيع التمثيل والانفاق عليه بسخاء فحسب ، بل فى انشاء معهد للتمثيل أيضا .

« أما الحكومة فانها تبذل المال بسخاء على المراسح . فاذا عددت المراسح التى تنال المساعدات السنوية من الحكومة وجدتها غير قليلة . أما عندنا فالحكومة لا تساعد الا الجوقة الأوروبية التى تحضر للتمثيل فى الأوبرا فى فصل الشتاء . وأما الجوقات العربية فانها لا حظ لها ولا نصيب فى تلك المساعدة .

« على أننا لا نطالب الحكومة فقط بمساعدة الجوقات العربية مساعدة مالية بل نطالبها أيضا وقبل كل شىء بانشاء محل خاص لتعليم التمثيل وتخرج الممثلين والممثلات كما هو الشأن فى كل بلاد متمدنة . ثم أن تجرى مع الجوقات العربية على الخطة التى ترفع شأن المراسح فى أعين الناس فلا يأنفون من الظهور على مرسح وأن تأخذ بناصر الكتاب لينقطع من الأدباء نفر ولو قليلا الى وضع الروايات على نسق عصرى فيستفيد الشعب ويرتفع منار التمثيل ويصبح عندنا فنا حقيقيا تنتفع البلاد منه » .

ويختم كاتب « المؤيد » مقاله بمناشدة أثرياء مصر أن يقدموا يد المساعدة للمسرح العربى اذا تخلت الحكومة عن واجباتها فى هذا الشأن :

« واذا كانت الحكومة لا تجيب هذا النداء فتفى هذا الفرض الوطنى حقه وجب على أغنياء الأمة أن يحلوا فى هذا الأمر محلها ويتعاونوا على القيام بهذا الواجب الذى لم يبق للبلاد غنى عنه والا التمثيل عندنا سائرا الى الوراء ، وبقى هذا الفن منحطا مهانا وبقى الكتاب محجمين عن التأليف خائفة قرائحهم وبقى كل من يغار على

اسمه آنفا من الظهور على مرسح فى جوقة رسمية غير جوقات الجمعيات الأدبية » .

ونشرت صحيفة «الاخلاص» بتاريخ ٢٥ أكتوبر ١٩٠١ (ص١) مقالا بعنوان « فن التمثيل » بدأه كاتبه باعطاء القارىء فكرة عامة عن نشأة هذا الفن فى البلاد الأوروبية وما له من أثر يدفع الناس الى الأخذ بأسباب الرقى والتقدم ، يهذب نفوسهم ويزيد حساسيتهم .

ويحدثنا الكاتب عن المسرح فى دول الغرب باعتباره اداة سياسية تهيج خواطر الناس واداة اجتماعية تغير عاداتهم ، فيقول :

« أما فى أوروبا فقد بلغوا من اتقان هذا الفن مبلغا عظيما حتى ملك أربابه قلوب الأمة وقبضوا على أزمة أفكار الحكام وذوى الشأن ، فلا تمثل رواية حماسية الا تنتج هيجانا عاما يكون فى غالب الأحيان قاضيا على هلاك حزب أو انتصار حزب آخر أو تمثيل رواية مفجعة حتى ترى الحاضرين منكسرى الخاطر كاسفى البال . ولقد يبقى تأثير الرواية فيهم الى مساء اليوم التالى حتى تمثل رواية أخرى مخالفة لموضوع الأولى » .

« فمن هنا يتضح أن التمثيل يعمل على تغيير عادات الشعوب وقلب أخلاقهم لأنه يؤثر على أفرادها وكل مجموع مؤلف من الأفراد . فاذا ما انتشر هذا الفن فى بلاد واقبل عليه خاصة الشعب وعامته يعمل ولا شك على استلفات انظارهم الى حسناته واستنهاض هممهم للانقياد الى ما يرونه من نتائجه . ولذلك ارتأى علماء هذا الفن أن يمثل فى البلاد التى لم يثبت بين أهاليها روح التمدن العصرية سوى روايات ادبية لترفع احساساتهم وتطمح نفوسهم الى الأمور الأدبية التى هى أسس العمران والتمدن » .

ويحدثنا كاتب المقال عن ازدهار فن التمثيل الأجنبى فى مصر واهمال الحكومات للتمثيل العربى ، فيقول :

« ولقد عرف المصريون منذ أعوام فوائد هذا الفن الشريف فاقيم له معهد شامخ البناء وهو الأوبرا الخديوية التى انفق عليها المغفور له اسماعيل باشا نحو خمسة ملايين من الجنيهات المصرية وأتم بناءها بنحو ثمانين يوما مما دل على ما كان عليه من الميل الى احياء التمثيل وجعله مدرسة شعبه تعلمه واجبه وتدفعه الى معرفة فوائده وحسناته . ولقد أخذت الحكومة المصرية بعد ذلك أن تعاون أرباب التمثيل على تعميمه فى القطر وتشجيعهم على الثبات فيه فعينت للجنة التمثيل فى الأوبرا ثمانية آلاف جنيه . ثم ما مضى عليها عهد من الزمن حتى جعلت هذا الاعتماد فيما بعد جريا على قاعدتها المعروفة فى مثل هذه الأحوال وسدا لعوز بعض المصالح التى تخالها أكثر فائدة من التمثيل . على أن مساعدتها للتمثيل جاءت فى غير محلها لأنها خصتها بلجنة أوروبية ليس لغيرها الحق بمعاطاة التمثيل فى الأوبرا الخديوية . وقد أغضت عما يجب عليها نحو الوطن ونسيت أن لغتها العربية . ففعلت ما فعلت مدفوعة بتيار التمدن الأوربى . وقد فاتها أنه كان بامكانها أن تعتنى بالتمثيل العربى وتجعله مثالا وقاعدة للنهضة العربية فى الشرق » .

ونطلع فى خاتمة المقال ثناء على جوق اسكندر فرح ولوما موجها للحكومة بسبب احجامها عن مساعدته فى حين أنها تنفق بسخاء على الأجواق الأجنبية وعلى مشروعات استعمارية مثل مشروعات دنلوب .

« وفى القطر جوق اشتهر بترتيبه وبكفاءة أربابه ومهارةممثليه بلغ درجة عالية فى حسن الالقاء دون مساعدة الحكومة . ولا شك

أن عقــلاء الأمة المصرية عرفوا فضل أفراده وأحلوهم المحل الأول وبالغ ســمو الأمير العزيز في الاعجاب بهم · وقد أدرك كل أن المساعدة أولى بهذا الجوق المعروف بجوق حضرة الأديب اسكندر أفندى فرح الا حكومتنا فانها كلما سمعت صوتا ينــادى بوجوب مساعدة الأحواق العربية تصم آذانها دون السماع وتتخرس دون الاجابة متظاهرة بأنها لا تفهم اللغة العربية محتجة بأنه لا يروق لمتمدنى الأمة سوى حضور التمثيل الأفرنجى · ويا لها من حجة واهية » ·

« فان والله لمن العار على حكومة مصر أن تهمل هــذه الأمور المحتوم عليها النظر فيها وتتعلق بأسباب الاصلاح الموهوم الذى قضى على حرية البلاد وجعل أفكار كبار الأمة وزعمائهــا قيد طائفة من الفرنجة لا هم لها سوى ابتزاز خيرات البلاد · ففى التمثيل أحـد الاســباب الأولية التى من شأنها أن تفقــه قلوب الناس وتهــذب أخلاقهم · وهو لعمرى مدرسة كبرى يتعلم فيهــا التمدن كل من اراده وقصد الاستفادة منه . وحكومتنا اليوم تدعى بأنها تدرس المشروعات المفيدة لخير البلاد كمشروع اصلاح البوليس أو اصلاح الري وتنظيم البلاد . فهذا مشروع من المشروعات المفيدة فلتحيى مواته ولتشجع اربابه وأهله باعتمــاد لا نخــاله يوقع الخلل فى ميزانيتها . وهو فى عرف الأدب والأدباء أكثر جدوى من مشروعات دنلوب وآيات التعظيم » ·

وتطالعنا صحيفة الأهرام بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٠١ (ص ١) بمقال يطــالب فيه كاتبه ولاة الأمــور فى مصر من الانجليز مثل المستشــار المالى غورســت بتخصيص مبلغ الف جنيه لمســاعدة الأجواق العربية · ويوضــح هذا المقال ما أتسمت به السياســة

الانجليزية من مكر ودهاء وقطع للوعود ثم حنث بها . وفيما يلي نص هذا المقال :

« لما انقصت الحكومة الفي جنيه من الأموال المخصصة للأوبرا الخديوية ذهب رجال لجنة التمثيل فى الأوبرا الى جناب المستر غورست وسألوه عن السبب فكان جوابه ان الصحف الوطنية تقرعنا كل يوم وتشدد علينا لأننا نعطي مبلغا كبيرا من الأموال للأجواق الافرنجية ولا نساعد الأجواق العربية بقرش واحد ونحن نرى أن الصحف الوطنية تطلب طلبا حقا وتشكو الشكوى التى لا ترد . فاذا نحن نأخذه لمساعدة التمثيل العربى . فكانت حجته هذه دامغة ،فلم يجد رجال اللجنة جوابا ، وانصرفوا من حضرته وكلهم يقول صدق المستشار المالى فى حجته.ونحن نود من صميم الفؤاد أن يرقى التمثيل العربى لأنا نستفيد من ترقيته.فاذا كنا نطالب الحكومة بمال للأجواق الأفرنجية فذلك ليكون لنا بتلك الأجواق الفائدة الأدبية والاراحة من العناء . فلو كانت الأجواق العربية متقنة تعرف فن التمثيل وهو أجمل الفنون الآن فى عرف المتمدنين لتعلمنا منها لغة القوم الذين نعيش بين ظهرانيهم ونعاشرهم ونعاملهم . ولاستفدنا من تمثيلها الفائدة الأدبية التى ننشدها . ولكن الحكومة قادرة على مساعدة جميع الأجواق بقليل من المال . ثم استأنفوا الكرة وسالوا جناب الكونت كرومر ما سألوا المستر غورست فكان جوابه جواب المستر غورست فباتت الصحف العربية العارفة تنتظر من الحكومة تلك المساعدة الى أن مضى عامان وأقبل ثالث ولم تبسط الحكومة يدا ولا إبتسمت فى وجه التمثيل العربى ابتسامة تطلقه من عقاله وتنشطه للاجادة . فكانت مواعيد عرقوب لنا مثلا . وقمنا نذكر اليوم المستر غورست وجناب الكونت كرومر بذاك الوعد وتلك الحجة . فان الأمة المصرية العربية التى يتحلب من عرقها وكفها

وجبينها الى خزانة الحكومة ١١ مليون جنيه فى السنة جديرة بألف جنيه تنفق على فن جميل من فنونها وهو التمثيل . واذا كانت حكومة مصر العربية البحتة لا تساعد هذا الفن فى العربية فمن ينشطه أو يساعده . واذا كانت الألوف من الأموال تنفق على الأجواق الأفرنجية فلا نأسف لانفاقها ، أفلا يحق لنا ان نطلب الف جنيه لأجواقنا ؟! » .

« فلعل المستر غورست يسمع نداءنا ويدرج فى ميزانية هذا العام ما وفره من المساعدة المخصصة للأجواق الأخرى ، فيكسب ثناء الأمة كلها » .

وفى ٥ نوفمبر ١٩٠١ (ص ٢) عبرت صحيفة « الأهرام » عن أملها فى أن تمد الحكومة يد المساعدة للمسرح المصرى . وخاصة بعد أن أصابت فرقة فرح اسكندر تقدما ملحوظا . تقول «الأهرام» فى هذا الصدد :

« التياترو المصرى ــ يمثل التياترو المصرى مساء اليوم رواية (حسن العواقب) لاسماعيل بك عاصم . وقد كنا نود من الجوق العربى ومديره اسكندر أفندى فرح وأكبر ممثليه الشيخ سلامة حجازى أن يرونا روايات جديدة كرواية « هملت » وأن يهملوا هذه الروايات التى هى بلا ضابط ولا قانون غير هوى المؤلفين وهوسهم . نقول ذلك لأننا رأينا من الجوق فى هذا العام تقدما كبيرا عظيما . ولأننا أصبحنا ننتظر من الحكومة مساعدة هذا الفن الجميل . لأن الأمل كله بتحسين الفن متعلق على جوق اسكندر أفندى . فجدير به اذا أن يهمل هذه الروايات التافهة ولو عجب بها الجهلاء الذين لا يعرفون من الفن غير صف الكلام » .

وظلت صـحيفة « الأهرام » تلح على الحكومة أن تمـد يد العون للأجواق المصرية . وبلغ الحاحها فى هذا الشأن مبلغا جعلها تغتنم أية فرصة تسنح أمامها لطلب الاعانة . كما يتضــح لنا من صياغة الاعلان التالى الذى نشرته « الأهرام » بتاريخ ٩ نوفمبر ١٩٠١ (ص ٢) عن التياترو المصرى حيث يمثل جـوق اسكندر فرح .

« التياترو المصرى ، يمثل التياترو المصرى مساء اليوم رواية (عظمة الملوك) تعريب حضرة الأديب بشارة أفندى كنعان . هذا وقد سر الناس كثيرا فى هذا العام بما رأوه من تقدم الجوق العربى تقدما بينا حتى أن بعض الأفرنج يرغبون الآن فى تمثيله . فنهنىء الممثلين وننشطهم ونحث أدباء الأمة على مساعدة الجوق والاقبال عليه لأنهم باقبالهم عليه وبمســاعدته ينشـطونه ويسولون لهم الاتقان وللحكومة المســاعدة وللصحف الانتقاد وللمؤلفين المجيدين انشاء الروايات الجميلة . »

ولم تكن صحيفة « الأهرام » وحدها التى تطالب الحكومة باعانة جوق اسكندر فرح (أو غيره من الأجواق) . فقد اشترك معها كثير من الصحف الأخرى ومن بينهـا جريدة « مصر » التى نشرت بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٠٢ (ص٣) خبرا عن نشـاط جوق اسكندر فرح المسرحى وطالبت الحكومة بمساندته . ومن المدهش حقا أن تخبرنا هذه الصحيفة أن اسكندر فرح وضع فى مدخل التياترو مكتبة تضم «أنفس الكتب» . مما يدل على رغبته الشديدة فى تعميق وعى الجمهـور المصرى بالثـقافة المسـرحية . كتبت صحيفة « مصر » فى هذا الشأن تقول :

عظيمة وأصبح يضارع أحسن مراسح التمثيل في أوروبا لأن حضرة مديره لا يدخر وسعا فى ادخال التحسينات الحديثة على جوقه ٠ وعنده الآن أحسن الممثلين والممثلات يرأسهم حضرة شيخ التمثيل الشرقى الطائر الصيت الشيخ سلامه حجازى وبين ممثليه الممثلة البارعة السيدة ميليا وأحمد أفندى العدل وغيره ممن يعدون زهرة رجال التمثيل فى الشرق بلا استثناء وخدمة للمتفرجين أوجد حضرة النشيط اسكندر أفندى فرح مكتبة فى مدخل الجوق فيها أنفس الكتب وأحسنها ٠ فيا حبذا لو أن الحكومة وهى لا تبخل بمساعدة الفنون الجميلة تعين مبلغا لمعاضدته فيزداد نشاطا ٠ »

ونشرت صحيفة « الاخلاص » بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٩٠٢ (ص ١) مقالا مستفيضا بعنوان « التمثيل » يفند فيه صاحبه مزاعم كاتب دمياطى يدعى مصطفى الدبس ذهب فى جريدة « المقطم » عدد ٤٠٨٨ الى أن المسرح مفسدة للأخلاق ٠ وينوه كاتب « الاخلاص بمآثر هذا الفن الجميل الذى يبعث الغيرة القومية والحمية الوطنية فى الصدور ٠ فضلا عن أنه يهذب الاخلاق ويغرى الناس بالاستمساك بالفضيلة ٠ ويقول لنا هذا الكاتب فى دفاعه عن المسرح أن عدم اتعاظ الجمهور بما فى التمثيل من مواعظ وحكم لا يرجع الى عيب فى فن التمثيل ذاته ولكنه يرجع الى ما يشوب نفوس المشاهدين من عيوب ٠ يقول كاتب « الاخلاص » فى هذا الصدد : ــ

« ان كان للتمثيل ذنب فالأولى أن يكون رؤساء الأدباء وأرباب الصحافة وأصحاب المجلات العلمية والأدبية والدينية ٠ كلهم ملومون

لأن مواعظهم فى كنيسهم وكنائسهم وجوامعهم وجرائدهم ومجلاتهم لم تؤثر فيكم ولم تردعكم عن مخالفات الدين ·· » · يلزم أن تغلق المعابد وتحطم المنابر وتزال من محلاتها وتغلق ادارات الجرائد والمجلات لأن مواعظها ونصائحها لم تؤثر فى الأمة التأثير الذى يطلبه حضرة مصطفى أفندى الدبس ·

ويذهب كاتب المقال الى أن فساد أخلاق الممثلين ليس معناه أن للتمثيل أثرا فاسدا ، فيقول : ـ

« ولو سلمنا جدلا أن افعالهم فى الخارج تنافى أقوالهم وقت التمثيل فماذا يضره والعالم الدينى يقول لك (خذ من علمى ودع عملى) · فان كان للممثلين سيئات فسيئاتهم لا تؤثر على فن التمثيل نفسه » ·

ويدافع كاتب « الاخلاص » عن المسرح بوجه عام وعن جوق اسكندر فرح بوجه خاص ، فضلا عن انه يبين ما يتضمنه تمثيل هذا الجوق من حكم ومواعظ · ويهاجم هذا الكاتب مصطفى الدبس قائلا :

« انه لم يسمع قط تلك المواعظ الأدبية والحكم التى تتخلل أكثر فصول الروايات التى يمثلها جوق الفاضل الوطنى اسكندر أفندى فرح حتى جرت مجرى الامثال فحكم هذا الطاعن بالتمثيل حكم من نظر الى الظواهر ولم يسمع ما تكنه تلك الروايات من الحض على اتباع الفضيلة ··· والابتعاد عن الظلم والوقيعة ·· فالتمثيل يا صاح فن أدبى من الفنون الجميلة لا تنقص قيمته وفائدته عن علم الأدب والشعر وفن التصوير · »

ويدلل الكاتب على رفعة شأن فنانى المسرح بمدى ما يلقونه من تكريم وبحرص حكومات الأمم الراقية على رصد جانب من ميزانيتها للأخذ بيد المشتغلين بالتمثيل : ـ

« والحكومات تأخذ بناصر المؤلفين والمشخصين وأرباب التمثيل ولكن منها ميزانية تقرضها وتصرفها على تقدم ونجـاح هـذا الفن ومساعدة أربابه . انظر يا هذا الى كبار رجال الأمم الذين يفتخر بهم الشعب وتعظمهم الملوك وتنصب لهم التماثيل في وسـط ميادين العواصم وأمهات البلاد منهم مؤلعو روايات التمثيـل .. كفكتور هوجو وديماس وشكسبير وراسين وموليير وغيرهم كثيرين . انظر يا هذا اهتمام الأمم بالروايات والتمثيل حتى أن المجتمعات العلمية الكبرى والاكاديميات تساعد هـذا الفن وتشد ازره وتعظم رجاله وتثبت مؤلفاته . وليس هذا الفن هنـاك بالشيء المحتقر المبتذل ، فان كثيرا من أربابه وممن يشتغلون فيه من الممثلين والممثلات هم من كبار القـوم وبعضهم من مصاف النبلاء والملوك وعظماء الارض يكرمون رجال التمثيل ويعظمون شـأنهم فكم من مرة سـمعنا أن القيصر أو امبراطور ألمانيا أو غيرهمـا اقتبلوا زيارة كبار الممثلين والممثلات وأهدوهم تحفا ثمينة تشجيعا لهم واستحسانا لهذا الفن الجليل . »

ويدلل كاتب « الاخلاص » كذلك على أن التمثيل فن لائـق ليس فيه ما يشين بما يوليه اياه سمو الخديوى من رعاية .

« ألا تقرأ فى الصحف المحلية أن سمو خديونا المعظم ورجال حكومته ومعتمدى الدول يهتمون بالتمثيل ورؤساء الجمعيات الخيرية من كل مذهب يكلفون الجـوق الوطنى لتمثيل الروايات فى ليالى الحفـلات التى يجعلها سـمو الخديوى تحت رعايته فاذا كان هنـاك ما يخل بالناموس والأدب أهل كانوا يصنعون ذلك ؟ » .

ونطالع فى ختام المقال رأيا مفاده أن التمثيل يتضمن دروسا فى التاريخ فهل هناك من المصريين من يجهل شخصية صلاح الدين الايوبى ؟!! فضـلا عن ان التمثيل مدرسـة كبرى لتعليم الاخـلاق والفضائل .. يقول الكاتب فى هذا الشأن :

« اسأل أصغر ولد فى مصر الآن يقول لك انه كان يوجد فى مصر والشام أعدل وأحكم الملوك فى زمنهم من يدعى صلاح الدين الايوبى ويسرد لك وقائعه مشهورة . وكذلك يصف لك وقائع الاندلس وملوكها وشهامة العرب ووقائعهم وملوك انجلترا وفرنسا وعندهم ممن تمثلوا فى روايات جوقنا الوطنى المختلفة . أليس اذن التمثيل درسا حسيا للتاريخ . الا يكفاك دروس تاريخ انجترا أو فرنسا وحالة الاستبداد والظلم وقتئذ فى تمثيل كاترين هوارد فى روايات (مارغريت دى بروغينا أو البرج الهائل) و (مغاور الجن). وكذلك التمثيل مدرسة كبرى لدروس أخلاق الأقدمين والاطلاع على هيئة لبسهم وسلاحهم وأكلهم وعوائدهم .

« وكذلك التمثيل مدرسة كبرى ... مؤثرة فى اظهار محاسن الفضائل وقبح الرذائل . ألا ترى مثال الشجاعة والامانة والذب عن الوطن فى تمثيل رواية (صلاح الدين الايوبى) ـ وتمثيل حالة بنى آدم فى قتل وسم وصبر وجنون وتملق وخداع فى رواية « هملت » ؟ أذ ترى ضحايا الحقد والحسد والبغض بين العائلات فى رواية (روميو وجوليت) وغيرها ؟ أتوجد عظة مؤثرة لردع الشبان وورثى الاموال الطائلة ممن لا رادع لهم عن الخمرة والميسر وارتكاب الموبقات أعظم من رواية (صوت الاخاء) لناسج بردها حضرة الفاضل اسماعيل بك عاصم المحامى الشهير ومن حذى برواياته هذه حذو كبار المؤلفين والواعظين نظير شاكسبير وديماس وخلافهما . فاذن أى مدرسة تعلم الناس التمسك بالفضيلة والأدب ودروس التاريخ والعوائد غير فن التمثيل الجميل ؟ فهذه ـ هى مآثر التمثيل ... فضلا عن أن نحوا من خمسين عائلة من الوطنيين يتعيشون من هذا الفن فى الجوق العربى الذى يديره الفاضل النشيط اسكندر أفندى فرح الذى له الفضل الأكبر فى احياء هذا الفن بالقطر المصرى . »

وتذهب صحيفة « الاهرام » بتاريخ ١٦ يناير ١٩٠٢ (ص٢) تحت عنوان « فن التمثيل » الى أنه مع التسليم للحكومة بأنه لا يصح تبديد المال العام على العروض المسرحية الهابطة التى تقدمها الفرق المصرية ، فان هـذا لا يعفى الحكـومة ٠ فهى فى حقيقـــة الأمر ، مسئولة عن هبوط مستواها بأحجامها عن تشـــجيع النابهين من المصريين عن الاقبـال على الفنـون المسرحية ٠ وفيما يلى ما تقـوله « الاهرام » فى هذا الشأن : ـ

« بعد ان امعنت الحـــكومة نظرها طويلا وبحثت بحثا دقيقا وجدت انه ليس بين الاجواق العربية جـــوق يستحق المســـاعدة تنشيطا لهذا الفن الجميـــل وعرفت انها اذا أعطت المـال لجوق من الاجواق الموجودة ذهب هذا المال ضياعا بلا فائدة ٠ فنحن اذا وافقنا على منع المساعدة عن الاجواق الموجودة ، وهى عبـــــارة عن مزيج وخليط لا فائدة منه ولا يرجى معه الترقى الى التمثيل الصحيح الى الفن ذاته ، فنحن لا نوافقها على عدم التبصر بطريقة توصـــل الى الغاية المطلوبة لان كثيرين من الشبان المتعلمين الاذكيـاء والمؤلفين البارعين الادباء اذا عرفوا أن الحكومة تساعدهم أقبلوا على هذا الفن الجميل كل الاقبال ٠ ولكن الذى يؤخرهم هو قلة المال وقلة اقبال الناس لانه يسرهم ان يسمعوا موالا على ان يروا تمثيلا وقد عرفنا ان الحكومة وضعت مشروعا لقلب تياترو الأوبرا الخديوية رأسا على ذنب ٠ فهى تنوى هدمها وبناء مرسح بسيط واسع وبناء مخازن وحوانيت حول ذلك المرسح ٠ وقد قدرت النفقة اللازمة لذلك بنحو من ٤٥ ألف جنيه ، وبما ان المـال غـير متوفر فى خزانة الحـكومة فالمشروع يؤجل الى أن يتوافر المال ٠ »

وتروى لنا صـــــحيفة « الوطن » بتاريخ ١٧ فبراير ١٩٠٣ (ص ٢) تحت عنوان « التمثيل : حادثة مضحكة » نموذجا لحوادث

النصب والاحتيال التى كانت ترتكب باسـم التمثيل ٠ وتتلخص هـذه الحادثة فى أن مديرا لاحد الأجواق التى هبطت فى مدينـة الاسكندرية جمع قدرا من المال عن طريق ما قدمه جوقه من روايات٠ ثم فر بهذا المال تاركا أفراد جوقه فى كرب شـديد لم يخفف من شـدته سـوى ترفق بعض الموسرين بما قدموه من احسان لهم ٠ وترى صحيفة الوطن أن مثل هـذه الحوادث تعطى للحكومة مبررا للاحجام عن مساعدة الاجواق العربية ، فتقول لنا فى هذا الشأن :ـ

« غير خاف على كل قارىء ما للتمثيل من الأهمية عند الغربيين وكيف أن ملوكهم وكبراءهم يحترمون المشتغلين به احترام التلميذ لأستاذه لأنهم واسطة كبرى لتهذيب عقول الأمم وتثقيف أخلاقها وسرد حوادث التاريخ الجليلة فى قالب يرسخ فى الأذهان ويؤثر فى النفوس كما يؤثر الخطيب فى مجلس أدبى ٠ ولكننا بكل أسـف نرى أن التمثيل فى مصر لاحظ له مما ذكرنا بل هو بعكس ذلك على خط مستقيم ٠ والحكومة لا تمد للممثلين يد التعضـيد حتى يرتقوا فى أعمالهم شيئا فشيئا ٠ ولكنها على ما أرى غير ملامة بعدم مساعدتها لأنها ترى فى كل حين من أعمال التمثيـل والقائمين باعبائه ما يجعلها تغل يدها عن مساعدتهم وتمدها بكـل ارتياح لجماعة الممثلين الأجانب ٠ »

وتناشد « صحيفة الوطن » الحكومة أن تعمل على عدم تكرار حوادث النصب والاحتيال بين الممثلين ، حفاظا على سمعة المسرح من أن تتلطخ ، وخاصة لأن هناك بعض الجمعيات الجادة التى لا تألوا جهدا للرقى بفن التمثيل فى بلادنا :

« فالى مثل هذه الأعمال نوجه أنظار الحكومة رحمة بالممثلين والمشاهدين بيد أننا لا ننسى أنه يوجد بين ظهرانينا من يسعى فى احيـاء هـذا الفن الجليل كجمعيتى مرقاة التمثيل ومحبى الوطن ٠

وقد قام أعضاء هذه الأخيرة بتمثيل رواية « تعيس الحظ » فاطلقوا الالسن بالثناء عليهم لما أبدوه من البراعة والاهتمام · »

وتناولت صحيفة « المحروســـة » بتاريخ ٣ أكتوبر ١٩٠٣ (ص ٢) احتفال دول أوروبا بفن التمثيل ، بقولها :

« أصبح فن التمثيل فى أوروبا فى مقدمة الفنـــون الأدبيـــة الباعثة على نرقية العقل وتهذيب الاخلاق فتنافس العلماء فى ميدان تأليف الروايات التمثيلية كما تنافس الممثلون فى اتقان تمثيلها ، وما زالوا كذلك حتى أحرزوا شهرة بعيدة فهبت الحكومة الى مساعدة الاجواق وشادت لهم المراسح الفخيمة التى تضرب الامثال بزخرفتها وحسن بنائها وكثرة نفقاتها · فكان ذلك داعيا لزيادة الرغبة فى اتقان هـذا الفن ولا يدلك على ذلك مثل تخصيص حكومتنا المبالغ الطائلة فى كل عام لاتحاف الأجواق الأوروبية التى تحضر لتمثيل بعض رواياتها فى مصر بها · »

ثم تعرض « المحروسة » للمشاكل المالية التى تواجهها الفرق المصرية وصمود جوق اسكندر فرح أمام هذه المشاكل ، تقول هذه الصحيفة : ـ

» وقد قامت الاجواق العربية تحذو حذو الاجواق الاوربية فى هذا الميدان وأخذت تجهد نفسها وتعانى الصعاب فى تعليم الطالبين الى أن ادركت ما ارادت · غير أن عدم وجود المال حال بينها وبين بغيتها · فاخذت الجرائد فى حث الاهـــالى على تعضـــيدها

ومساعدتها بحضور تمثيلها وتنشيط القائمين باحيـاء هذا الفن ٠ فكان كلامها كصرخة في واد فانقلبت على الحكومة تحثها على مساعدة هذه الاجـــواق بتخصيص جزء من المال الذى تخصصه للاجواق الاوربية ٠ فما كان منها الا أن غضت الطرف عن هذا النداء وتركت الأجواق العربية وشأنها كأنها ليست من بلادها أو كأن التمثيل العربى لا يجب الاهتمام به » ٠

« غير أن جوق حضرة الفاضل اســـكندر أفندى فرح مازال ملازما الثبات رغما عن جميع الموانع مكتفيا باقبال الاهـــالى عليه ورغبتهم فى احياء فنه ٠ فكان فعلهم هذا مما يبكت الحـكومة على تقصيرها لو درت ٠

« وقد بتنا نود أن نرى الادباء متنافسين فى ميدان التأليف منافسة اخوانهم فى أوروبا ليتمكن هذا الجوق من الظهور بمظهر جديد ذى طلاوة تجلب رضى الجمهور وتكون خير واسطة لاقبالهم - ولعلنا نرى ذلك منهم قريبا » ٠

وطالبت صحيفة «اللواء» بتاريخ ٧ أكتوبر ١٩٠٣ (ص٣)الحكومة ان تشمل جوق اســـكندر فرح بالرعاية مثلما تفعل مع الاجـواق الاجنبية ٠ وكتبت هذه الصحيفة فى هذا الشأن تقول :

« ما كان بخلدنا أن يصل التمثيل العربى الى ما وصـل اليه مرسح عبد العزيز لمديره حضرة الاديب اســـكندر فرح ٠ فان من شاهد رواية (شهداء الغرام) التى مثلت البارحة لحكم معنا أن التمثيل فى هذا المرسح كاد أن يبلغ حد التمام فى اتقان الحركات ، لا فى نظافة المكان ووجود الملابس (فحسب) ٠ والفضل فى ذلك

عائد لحضرة الممثل الأول والملحن الفريد الشيخ سلامه حجازى الذى خلق لهذا الميل الشديد حتى سرى منه لاخوانه الممثلين · وقد أعجب الحاضرون البارحة بالقوة الفائقة والصوت الشجي الذى ظهر فيهما الشيخ سلامة حتى استعادوه فى بعض القطع فوق عشرات المرات · وقد أهداه بعض العائلات هدايا ثمينة القيمة · وفى هذا أكبر دليل على مكافأة الأمة للعامل المجتهد الذى لا يعدم ـ ما دام مجتهداً ـ اعوانا وانصارا · فنهنىء هذه الجوقة بهذه الثقة العظيمة · ونسأل الحكومة مساعدتها بالمال كى تنفق بكرم حاتمى على غيرها من الجوقات الأجنبية حتى تستطيع الظهور برداء أجمل ومناظر أحسن ويكون لنا من التمثيل العظة النافعة والدرس الذى وضع من أجله · »

وتطالعنا « صحيفة » الاخبار بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٠٣ (ص ١) بمقال يستلفت النظر فيه أنه لا يعتبر المسرح بشيرا بالرقى والتقدم والتحرر من أسار التخلف فحسب ، بل احدى طلائع الثورة أيضا :

« ان الفنون الجميلة فى كل البلاد هى من أسباب الترقى ودواعى العمران · فالموسيقى تهذب وترقى العواطف وتلين الشعور · والتصوير يحبب الى النفوس الحسن وكل جميل حتى قالوا لا ترق صحيح فى العواطف دون الفنون الجميلة » ·

« والتمثيل فى كل البلاد هو عبارة عن مدرسة تعلم الاخلاق الحسنة وتكرم الفضيلة وتستنكر الرذيلة وتعلم اللغة الفصحى للناس وفن الخطابة لان التمثيل جزء من الخطابة وبعضهم يجعله الخطابة كلها · فرواية تمثل على مرسح قد تنهض بأمة كاملة للثورة كما حدث فى أسبانيا وفصل يمثل قد يبعث فى النفوس حركة نائمة وفى الصدور همة ساكنة · والتمثيل عبارة عن بسط حياة الأمة للأمة · فلهذا

كبر شأن الممثلين البارعين حتى جالسوا الملوك وعدوا في مصاف العلماء • »

وتستعرض صحيفة « الاخبـــار » موقف حكومة الاحتلال من التمثيل العربى وما تكنه هذه الحكومة من احتقار للمسرح المصرى • وترى هذه الصحيفة ان انحطاط التمثيل فى مصر مسئول عن احجام هذه الحكومة عن مساعدته • تقول « الاخبار » : ــ

« نقلنـــا مرارا آراء المحتلين فى التمثيل العربى وميل جناب المستشار المالى تعضيده لو وجد لذلك سبيلا • فقد قال جنابه مرارا انه اذا تالف فى مصر جوق للتمثيل العربى واتقن هذا الفن وثبت اتقانه لما تأخرت المالية عن تعضيده كما هى تساعد الاجواق الافرنجية فى كل عام •

« وسمعنا من كبير من كبار الافرنج أصحاب النفوذ فى أعمال المالية والحكومة ان كل أوروبى فى هـذه البلاد يجب أن يكون فيها جوقا عربيا للتمثيل فهو يتعلم فيه اللغة والاخلاق • ولكن الاجواق الموجودة لا تستحق ان تسمى أجواقا تمثيلية بل هى عبارة عن مجموع أناس لا يحسنون النطق باللغـــة الفصـــحى لأنهم لا يعرفونها • ولا يحسنون التمثيل لأنهم لم يتعلموه بهدوء ولم يدركوا ما هو ، ولا اطلعوا على شىء من أصوله • وكل ما يلفظونه هو عبارات متتابعات كالببغاء تدرسها أقوالا فتلقيها على علاتها ولا تفهمها لتتأثر بها ويفيض تأثيرها الى سامعيها •

« والتمثيل العربى صناعة محتقرة ولا يفهم منها غير الأناشيد بلا أوزان والأغانى بلا ضابط والالقاء بلا تأثر • والظهور على الملعب على شكل النصب ، الا أنه يتحرك • هذا هو رأى رجال الحكومة الذين يقبضون على زمام المالية • وانهم لمصيبون فى حجتهم وغير مخطئين فى منعهم المال عن اجواق لا تثبت فى عملها كبيوت الظل ولا تفهم من

ثم هي لا تمثل روايات يصح أن يقال أنها حياة الأمة بل هي تمثل لنا حياة الافرنج فى العصور الخوالى وتخلط فى ذلك خلطا لا يبقى موضعا لفهم مقصدها وهى لا قصد لها · »

وتختم صحيفة « الاخبار » مقالها بقولها ان اتقان المصريين للفن المسرحي وتعميق مهارتهم الحرفية فى هذا الفن هو سبيلهم الوحيد الى ارغام الحكومة على الاعتراف بجدارة المسرح المصرى الذى عجز عن اثبات استحقاقه حتى الآن :

« فاذا كان لنا أن نطلب من الحكومة مساعدة التمثيل العربى وجب علينا أن نوجد هذا التمثيل · وهو أمر صعب جدا لقلة من يعول عليه فى ذلك أو لعدم اقبال الشبان المتعلمين على تلقن هـذا الفن · فكل ما للصحف العربية ان تطلبه هو تشويق الشبان المتعلمين الى التمثيل حتى اذا ما اتقنوه ووجد من أصحاب الموسيقى من يضع الألحان ويوقعها على الأنغام طلبنا من الحكومة المساعدة المالية · أما الآن حجة الحكومة أقوى من حجة المطالبين وهى لا تحمد على بذر المال العام ضياعا بلا فائدة · »

ونشرت صحيفة « مصر » بتاريخ ٧ ديسمبر ١٩٠٣ (ص ١،٢) مقالا مستفيضا عن المسرح يبدأه كاتبــه بابراز فوائده الأخلاقيــة ويعطينا هذا الكاتب نبذة عن أنواع التمثيل ومراميه كما نجدها فى الدول الأوروبية المتحضرة · تقول صحيفة « مصر » :

« التمثيل مرآة الماضى وتكرار لحوادث الزمان الغابرة أو هو المرشد الأمين الذى يأمر بالخير وينهى عن المنكر · وهو الدعامة الثابتة لترقى الأمم · وكما ان الجرائد هى الصوت المسموع للملأ أجمــع

فالتمثيل هو الحكمة البالغة والواعظ الحكيم للأمة على اختلاف نحلها أو طبقاتها · بل أن هـذا ربما كان أوقع فى النفوس من تلك لأنه يمثل أمام أعين العالم حوادث وعبرا تحدث أمام الانسان ليتعظ منها يرى أن عاقبة البغى الدمار وعاقبة الخيانة المـوت وعاقبـة النقائص الذم من الخلان والاخوان ·

« وفن التمثيل قديم من عهد عهيد اعتنت به أمم الارض وقام الكتاب الوعاظ يحثون على تعضيده ويؤلفون له الروايات الواحدة تلو الأخرى · فهيجو واسكندر دوماس وشكسبير وموليير وكورنيل وراسـين وفنلون وغيرهم قدموا الروايات العديدة التى مثلت عـلى مراسح فرنسا وانجلترا · وكلها تدل دلالة صريحة على مكانة ذلك الفن فى نفوس أولئك القوم وعلى شدة ميلهم اليه ورغبتهم فى تعضيده لانه من أعظم الفنون التى تصبو اليها النفس ويميل اليها الوجدان · ولم يكتفوا بأن جعلوا الروايات على شكل واحد ووتيرة واحـدة بل قسموها الى أقسام شتى منها المحـزن المبكى ذات العبر والحوادث كرواية (هملت) وما حوته من المواعظ السامية لأن أمه خانت زوجها وقتلته بالسم بعد اتفاقها مع عمه ليرث الملك مكانه · وليس أعظم من قول هملت حينما وقف يكلم والده الخيال المائت ويستغفر الله من أمه الخائنة وعمه الذى طاوعها ثم تظاهر بالجنون وكان يعظ الأمة المواعظ السليمة · وفى رواية (روميو وجوليت) يرى الانسان ان خراب البيوت أو عمارها يتوقف على اتفـاق العائلات · وفى رواية (أوتللو) يرى الناس أصل التخاصم سوء التفاهم · وكل تلك من مؤلفات الشاعر المشهور شكسبير · وفى رواية (مطامع النساء) يرى الناس أن كاترين هوارد الطامعة فى الملك والتى خانت زوجها الاصلى هى التى جنت على نفسها · وفى رواية (البرج الهائل) أو (توردانيل) يرى الفظائع التى كانت ترتكبها الملكة فى ذلك العهد · وهى من مؤلفات اسكندر دوماس بل لم ير الانسان أعظم عبرة من

كلام آلهة الحكومة (مينرف) التي تسترت تحت اسم منظور ورافقت (تليماك ابن عولس) في سفراته وكانت تحذره من (كاليسبو) وكل كلمة ينطق بها (منترو) يجب ان تؤخذ حكمة بالغة لأن مؤلف الكتاب الأصـلي وهو فنلون كان مؤدبا للملك لويس الرابع عشر وأراد أن يبث له النصائح والمواعظ على شكل رواية تكون أوقع في النفس واضمن لعقل الملك • وغير ما تقدم كثير يدل دلالة ساطعة على ان التمثيـل في معنـاه الاصلي هو مرآة الاتعاظ وعبرة لما مر وما سيجيىء في مستقبل الأيام • ذلك ما نراه في مراسـح الغرب ممثلا أعظم تمثيل • »

ويطلب كاتب المقال الى الحكومة أن تمد لجوق اسكندر فرح يد المساعدة فقد أثبت هذا الجوق قدرته على الصمود كما أثبت بجهده الفني المتواصل استحقاقه لهذه المساعدة :

« أما في مراسـحنا العربية فلم نر غير جوق حضرة الأديب اسكندر أفندى فرح الذى يساعد في ادارته حضرة شـقيقه الأديب قيصر أفندى • وهذا الجوق يثبت كل هذه المدة الثبات العجيب بغير مساعدة الحكومة وتعضيد المؤلفين والروائيين • بل اعتنى في انتقاء الروايات النافعة واشـتراها بثمنها من مؤلفها ومثلها • وما زال آخـذا في سنة الارتقـاء ويعمل على تحسين احـواله ليرضى جمهور المصريين وخفض من أجر الدخول ما لم يكن في الحسبان • ومع ذلك فلم نر القدر الكافي من المصريين يعضد هذا الجوق الوحيد ليرتقى أكثر فأكثر •

« نحن نلوم الحكومة أولا على ضنها كل الضن لعدم مساعدتها هذا الجوق المصرى الوحيد • بل نراها تبخل عليه كل البخل بينما

هي تهب ألوف الجنيهات للاجواق الأجنبية ، وأجواق البلاد أحـق بهذه الهبات من الغير لأنه لو رأى الجوق المصرى من الحكومة أقـل مساعدة لارتقى أكثر مما هو عليه الآن وجلب اليه العـدة الكاملة وصرف هبة الحكومة التي تعطيها اياه في تحسين أحواله • وبذلك يصبح الجوق مرتقيا يضارع فى شهرته وتمثيله الاجواق الغربية •

ولو بحثنا فى أشخاص الجوق فردا فردا لوجدناهم من نخبة الأدباء شيخهم الوحيد وبلبلهم الغريد الشيخ سلامة حجازى • وكفى اسمه تعريفا فهو أشهر من أن يذكر • ومنهم أبو العدل أفندى وفهيم أفندى وغيرهم وغيرهم ممن ينشرح الانسان من تمثيلهم ويميل بكلياته الى تعضيد فنهم الجميل ومساعدة جوقهم هذا المساعدة الكافية لارتقائه •

أقول هذا وقد حضرت الليلة الماضية تشخيص رواية (مغائر الجن) الشهيرة • فرأيت من ضروب التمثيل واتقان الجوق ما جعلنى أثنى عليه وزملائي الثناء الكافي وأشكر القائمين به وحضرة مديره وشقيقه الأديب جزيل الشكر لمثابرتهم على هذا العمل المفيد • ثم من جهة أخـرى ألوم الأمة لوما لا يفوقه لوم لعـدم تعضيدها هذا الجوق ومساعدته القائمين به المساعدة اللازمة لمثل هذه المشروعات الخطيرة•

فخير للانسان أن يمضى ساعة واحدة يسمع المواعظ البليغة والحكم الغالية من أن يمضيها بين رنات الكأس ويصرف هزيعا من الليل فى وسط الخلاعة والمجون • وبقدر ما تفسد هذه من الأخلاق يصـلح الجوق النفوس الخاملة ويعلمها الوداعة التامة •

« فجدير اذن بالحكومة أن تسـاعد هـذا الجوق كما تسـاعد الاجواق الأجنبية لأن هذه تشخص بضعة أشهر ثم تعود من حيث جاءت • أما ذاك فمنافعه عائدة على ابناء البلاد • وجدير بكل مصرى أن نعضد هذا الجوق خدمة لفن التشخيص لأنه يعد دعامة متينة من أهم دعائم تقدم البلاد ، وجدير بالجرائد أن تطالب معنا بمثل هـذه

المطالب احياء لهذا الفن الجميل ولا يسعنى فى الختام الا الثناء العاطر على القائمين بادارة هذا الجوق سائلا لهم الثبات والارتقاء ٠ »

من الواضح أن الصحافة الوطنية كانت تمارس ضغوطا ثقيلة على الحكومة لحملها على الاهتمام بالمسرح العربى ومساعدة الفرق المصرية ٠ وواجهت هذه الصحافة فى سبيل ذلك محاولات التشكيك فى قيمة التمثيل بوجه عام وقيمة المسرح المصرى بوجه خاص ٠ وتضافرت الرجعية المصرية مع حكومة الاحتلال على بذر بذور الريبة والشك فى المسرح واعتباره عيبا وفسادا ٠ فضلا عن أن بعض الصحف العميلة للحكومة عمد الى نشر المقالات التى تتضمن تجريحا فى المشتغلين بالمسرح ٠٠ وكان مضمون هذه المقالات المنشورة يتراوح بين الهجوم الواضح الصريح والاساءة الدقيقة الناعمة ٠ ومما يزيد من صعوبة الحكم على الدافع وراء هذه المقالات أن بعضها يبدو فى جانب المصالح الوطنية ، فضلا عن أنه يحتوى على نقاط تتسم بالصحة والسلامة ٠ ومن بين هذه المقالات التى يصعب الحكم على الدافع اليها مقال نشرته مجلة « الرائد المصرى » بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٠٣ (ص ٧٦٥ ــ ٧٦٧) ــ تحت عنوان « الأوبرا الخديوية والتمثيل : بحث اقتصادى » ويستنكر كاتب هذا المقال فكرة تحويل دار الأوبرا الى فندق سياحى ويرى أن انفاق المال على الأوبرا ضرورة يقتضيها الاقتصاد القومى ٠ فالأوبرا من الناحية الاقتصادية مشروع استثمارى يعود على البلاد بالنفع اذ أنه يجتذب السواح اليها ٠ ولكن يضيف الى ذلك قوله ان ضرورة الاهتمام بالأوبرا لا تعفى الحكومة من مسئولية مساعدة التمثيل العربى كما ان مساعدة الحكومة للمسرح المصرى لا تعفيه من بذل الجهد للارتفاع بمستواه الفنى ٠ يبدأ المقال

الذى نشره « الرائد المصرى » بعرض للهجوم الذى يشنه أهالى البلاد على الأوبرا الخديوية ٠

« جاء فصل الشتاء وهو فصل الحركة فى مصر فعاد الناس عموما الى الجهاد فى العمل وتوافد السياح من كل صقع ٠ ومما جرى فى مجرى الحركة التمثيل ٠ وفى هذا الاسبوع فتحت الاوبرا الخديوية للتمثيل وحضره محبوه واستلذوا بتمثيل الجوق الجديد ٠

« وعلى هذا الأثر راج الحديث عن التمثيل والملاعب المصرية على السنة بعض الناس والجرائد ٠ ولا ندرى من روج هذا الحديث: الناس أم الجرائد لأن كثيرا من الاحاديث التى يلغط بها القوم منشاها الجرائد ٠ ولولا حديث الجرائد بها لما انتبه الناس اليها ٠ وكثيرا ما تخلق الجرائد الحديث للناس وتشغلهم به ولا سيما اذا لم يكن من الحوادث والاخبار القريبة والبعيدة ما يشغل الناس ٠

« ومن الاحاديث فى موضوع التمثيل أن فى نية الحكومة أن تبيع الاوبرا الخديوية لشركة تستخدمها كفندق للسياح ٠ ثم تبنى ملعبا أفخم منها ٠ وسواء كان هذا الخبر صحيحا أو اشاعة كاذبة فالذى نعبأ به فى هذا المقام رأى بعض القوم فى عدم فائدة الاوبرا الخديوية للبلاد ٠ وبالتالى فى عدم لزومها ٠ وحجتهم على هذا القول أن التمثيل فى الاوبرا بلغة الاجانب فهو يفيدهم ويلذهم دون الوطنيين ٠ وعليه لا يجوز أن تأخذ الحكومة المال من الاهالى وتنفقه على تمثيل يلذ الاجانب ويفيدهم وحدهم ٠ فانها تقدم ملعب الاوبرا مجانا للجوق الذى يمثل فيه وتدفع له علاوة على ذلك نحو ٤ آلاف جنيه سنويا بدعوى أن ما يقبضه من رسوم الدخول لا يفى بأجرة الممثلين وسائر نفقات التمثيل ٠

« والذين من أهل هذا الرأى وممن يستحسنون التمثيل ويعتقدون بنفعه يستصوبون مساعدة الحكومة للتمثيل وتعزيز شأنه فى البلاد • ولكنهم لا يودون أن تكون هذه المساعدة لاجواق افرنجية يندر أن يحضرها الوطنيون ويستلذوا بها ويستفيدوا منها • بل أن تكون لاجواق عربية ينتفع منها أرباب هذا الفن من الوطنيين ويتفكه الاهالى ويستفيدون منها اذا كانت تفيد •

« والذين ليسوا من أهل هذا الرأى وممن يستنكرون التمثيل على الاطلاق ويعدونه ضربة على الآداب ونحو ذلك يتغيظون من عمل الحكومة ويتأسفون على المساعدة التى تبذل على مشروع ضار غير مفيد •

« أما موضوع بيع الاوبرا فلا نتعرض له لأنه اشاعة على أن عاصمة كمصر تحتوى على جم من المتمدنين من سكان وسياح لا غنى لها من ملعب واحد على الأقل فخيم • فاذا تسنى للحكومة أن تبنى ملعبا أعظم للتمثيل ، وتترك ملعب الاوبرا هذا للاجواق العربية تفعل حسنا • ولكن هذا القول لا يجوز أن ينجز بالفعل ألا بعد أن يكون فى كل قرية من قرى القطر مدرسة على نفقة الحكومة • وفى كل مديرية ومحافظة مستشفيات متنوعة مستوفية وملاجىء للفقراء والعجزة ومدارس صناعية الى غير ذلك من الضروريات التى هى الزم من هذا التمثيل للبلاد » •

ويرى « الرائد المصرى » أن مساعدة الحكومة المصرية للاجواق الاجنبية ضرورة اقتصادية تمليها المصلحة العامة ، نظرا لأن هذه الاجواق تجتذب السياح الى البلاد :

« أما مساعدة الحكومة للتمثيل الافرنجى فى مصر فنرى أنها لازمة من الوجهة الاقتصادية كل اللزوم وان كانت المساعدة تبذل لممثلين أفرنج ويندر أن يتمتع بتمثيلهم بعض من الاهالى •

وذلك لأن غرض الحكومة من الاوبرا والتمثيل الافرنجي فيها ليس فائدة الاهالى أو الافرنج ، ولا تمتع أحد الفريقين بالتمثيل . وانما جل غرضها ان تكون الاوبرا من جملة جواذب السياح الى البلاد لكي تنتفع البلاد منهم ولا يخفى ان السياح صاروا يأتون الى مصر أكثر من قبل . وصارت البلاد تكتسب منهم كسبا وفيرا حتى صار قدومهم الى البلاد يسمى (موسما) والموسم في عرف البلاد وقت الاستغلال . وليس من ينكر أن أكثر الفضل في اقبال السياح الى البلاد عائد الى تسهيلات الحكومة لهم وتوفير معدات الراحة والسرور التى منها التمثيل الافرنجي فى الاوبرا . فالجنيهات التى تنفقها الحكومة على التمثيل الافرنجي تستعيض البلاد اضعاف اضعافها من السياح بالرغم من أن ربح أصحاب الفنادق - وكلهم أجانب - غير عائد على البلاد .

« ولذلك لا نأبى على الحكومة أن تبذل تلك المساعدة لجوق افرنجي ونقدم له الاوبرا مجانا . بل لا نستنكر ان تستبدل الحكومة هذا الاوبرا بأوبرا أكبر منها اذا كانت الحاجة الاقتصادية المذكورة تدعو اليها » .

ويلوم « الرائد المصرى » الحكومة لنكوصها عن مساعدة المسرح المصرى ، ويرى فى ذلك سبب تأخر هذا المسرح ، ولكن مساعدة الحكومة له لا تعفيه من بذل الجهد حتى يرتفع بمستواه الفنى :

« أما مساعدة الحكومة للاجواق العربية فمسألة فيها نظر . وقد اتصل حديث هذه المسألة الى كبار نظارة الداخلية فى هذا العام فقالوا : (لا نرى فى البلاد تمثيلا عربيا فنساعده (. أى أن التمثيل العربى الجارى الآن فى مصر عدم . على أن هذا العذر الذى تعتذر به الداخلية هو نفسه الذنب الذى تلام عليه لأنه اذا

لم تسعف الحكومة فلا يكون تمثيل عربى الى الأبد . كما أنه لولا مساعدة الحكومة لما كان فيمصر تمثيل افرنجى على الاطلاق .
واذا كانت الحكومة تروم من كل قلبها أن يرتقى التمثيل العربى فلتساعده مساعدة معتبرة فاذا لم نجد أنه ترقى بقدر مساعدتها تقطع المساعدة عنه . وثمت تعتذر وتقول قول كبار نظارة الداخلية .

« على أننا لا ننكر أن الاجواق العربية الحاضرة ابطأ ارتقاء من المنتظر لأنه كان يمكن أن تكون أفضل منها للآن وان لم تساعدها الحكومة . ولكن داءها داء كل الشرقيين فى المشروعات الكبرى والصغرى أى (الشح على التحسين خوفا من عدم الاستعاضة عن المبذول فى سبيله) .

« وعذر أصحاب التمثيل العربى فى قلة التحسين عدم اقبال الناس وعذر الناس فى عدم الاقبال قلة التحسين . والصواب أن عذر الناس أحق من عذر أصحاب التمثيل لأن الناموس الطبيعى الاقتصادى يقضى على صاحب العمل أن يحسن عمله أولا لكى يجذب الناس اليه ويحببهم فيه الى درجة أن يشعروا بحاجتهم اليه فيقبلوا عليه مضطرين . واذا لم يتحسن التمثيل العربى تحسنا ظاهرا لا يقبل الناس عليه لأنهم فى غنى عنه . ولكن متى دهشوا من جماله شعروا بحاجة شديدة اليه .

« ويعتذر أصحاب التمثيل العربى أن الذين يحضرون تمثيلهم ليسوا أرقى منه . ولذلك لا يفهمون التمثيل اذا كان أرقى مما يشاهدون وبالتالى لا يستلذونه . وهذا العذر أقبح من عذر الحكومة فى عدم مساعدتها التمثيل العربى لأن الذين يترددون الى التمثيل مهما كانوا جهلة يفهمون التمثيل المرتقى ويفضلونه عليه ما هو أرقى منه . وزد على ذلك أن كثيرين من الناطقين بالضاد

المرتقين الذين يفهمون بعض اللغات الاجنبية يحضرون التمثيل الأفرنجي دون العربى لأنهم يستلذون ذاك ويستكرهون هذا . فلو ترقى التمثيل العربى ترقيا ظاهرا لانقلبوا عن التمثيل الافرنجي الى العربى لأن التمثيل بلغتهم أشد وقعا على نفوسهم وأفعل فى قلوبهم » ..

ونشر « الرائد المصرى » بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٠٣ (ص ٧٧٣ ـ ٧٧٥) مقالا آخر بعنوان « نقد دقيق على التمثيل العربى : ما هو التمثيل » يشرح فيه كاتبه مفهومه للتمثيل المتقن والسر فيما يتركه من أثر في النفوس . يقول كاتب « الرائد المصرى » فى هذا الصدد :

« للتمثيل هذه الفاعلية لأنه ضرب من (المجاز) . ومعلوم أن (المجاز) أفعل من (الحقيقة) . على أن القارىء الكريم لا يقنع بهذه المعلومة ولا يسكت عن مطالبتنا بتحليل أن (المجاز أفضل من الحقيقة وأوقع منها فى النفس) . ونحن نلبى هذا الطلب بحسب ما يتراءى الأمر لنا عقليا .

« المجاز تقليد الحقيقة . وهو عمل صناعى وهى شىء طبيعى . والطبيعى مهما جمع من المحاسن يندر أن يستوفيها كلها أو يستوفى معظمها . وهيهات أن يخلو من عيب أو نقص . ولكن الصناعى الذى يقلد به الطبيعى انما هو تحت يد الصانع يصنعه كما يشاء . فهو اذا قابل للتحسين الى حد النهاية بحسب ارتقاء ذوق الصانعين . خذ المصور أو صانع التماثيل مثلا . فانه يرسم صورة امرأة موهومة أو يصنع تمثالا لها ويجمع فى تلك الصورة أو ذلك التمثال كل محاسن الافراد فى واحدة حتى ترى ذلك

المصنوع أجمل من أى حقيقة وحلوا من العيوب بقطع النظر عن (الحياة) التى يستحيل على الصناعة أن تقلدها ٠

« كذا التمثيل » فانه تقليـــد لحادث حقيقى أو موهوم أنه حقيقى ٠ وبما أنه شىء صناعى ٠ فللقائمين به ان يجمعوا فيه كل ما يمكن أن يحيط بالحادث من الظروف المؤثرة بحيث تحتوى الرواية من المؤثرات أكثر مما تحتوى حادثة حقيقية ٠ فمؤلف الرواية يبلغ الوقائع ويجمع كل جزئياتها ويقوى لهجة المخاطبات ويبـــدع فى المعانى بحيث يكون مجرى الرواية وأحاديثها فى منتهى طبيعتها ان تأثيرا محزنا أو مفرحا أو مدهشا الى غير ذلك ٠ وممثـــلو الرواية يقدرون أن يبلغوا الحادثة واجزائها بأن يظهروا فى كل موقف فى منتهى طبيعته ٠ فالحزين يظهر فى منتهى الحزن والفرح فى منتهى الفرح حسب مقتضى الحكاية ٠٠ هذا هو السر فى فاعلية التمثيل »٠

ويعدد لنا الكاتب العيوب التى تشوب التمثيل العربى ٠ ومن بين هذه العيوب أن التمثيل العربى ليس تقليدا للحقيقـــة بل تقليدا للتقليد ٠ ويتضح لنا ذلك فى اختيار الروايات الأجنبية المعربة التى قد لا تتفق مع روح المجتمع المصرى وطبيعته ٠ فضلا عن أن اخلال المؤلف المسرحى بوحدة الزمن عيب يشوه العمل المسرحى وينقص من قيمته ٠ يقول الكاتب فى هذا الصدد :

« ومن هذا الاعتبار المتقدم تدرك السر فى قلة فاعلية التمثيل العربى فانه لا ينظر فيه الى تقليد الحقيقة ٠ وانما هو تقليد التقليد أو هو تمثيل التمثيل ٠ ولكنه بصورة أبهت ونور اضعف ٠

« فأول عيب فى التمثيل العربى انما هو فى رواياته ٠ فان القليل منها صالح بعض الصـــلاح للتمثيل ٠ واكثره منقـــول عن الافرنج ٠ ومع ذلك ، فانه فاقد قسما كبيرا من محاسنه بقدر ما يفقد

التعريب الاصل . واما الروايات الموضوعة فليس فيها ما يستحق الذكر لأن عيوبها كثقوب الغربال ..

« **المؤلفون** : ومن جملة العيوب التى وقع فيهـا مؤلفو هـذه الروايات أولا عدم مراعاة الزمان . فان كثيرا ما يكون فصل من الرواية يستغرق أياما وشهورا وربما اعواما فيمثل فى برهة عشر دقائق تقريبا . ولا يخفى ما فى هذا من العيب الفاضح . وقد تحاشاه كل روائى الافرنج بتقسيم الرواية الى فصول بين كل فصل وآخر فترة قليلة ينزل فيها الستار دلالة على فترة من الوقت تطول أو تقصر حسب مقتضى الرواية قد تكون ساعة أو يوما أو شهرا أو أعواما .

« وأما فصل التمثيل فلا يجوز أن تستغرق حوادثه من الوقت أكثر مما يستغرق تمثيله . والا فلا يكون تقليدا لحادث طبيعى . فلا يجوز أن يمثل فى فصل يستغرق تمثيله ساعة واحدة وقائع جرت فى بحر سنة أو أسبوع أو يوم بل يجب أن تكون قد جرت فى ساعة فقط . والا ظهر للحضور استحالة الأمر ووضح لهم أن المقام مقام سرد حادثة تاريخية لا مقام تمثيل يضاهى الحقيقة » .

ومن أهم ما يذهب اليه الكاتب فى معرض حديثه عن عيوب التأليف المسرحى فى مصر ضرورة استحداث لغة خاصة بالمسرح تحتل مركزا وسيطا بين العامية والفصحى تأخذ عن الأولى بساطتها وتستمد من الثانية سلامتها :

« لغة الروايات .. لا تصلح للكتابة ولا للخطابة . فكيف تصلح للتمثيل لانها غير لغة العامة لما فيها من الالفاظ الغريبة ومن الاساليب القديمة . ناهيك عن أن اكثرها مسجع . ولا يخفى ما فى السجع من التكلف . وكل ذلك يناقض طبيعة التمثيل كما أوضحنا فيما تقدم . فاذا كان التمثيل تقليدا للحقيقة الطبيعية وجب أن تكون

لغة الروايات مهما سمت معانيها بسيطة جدا لا تفوق عن لغة العامة الا بكونها معربة فقط • وعندنا ان هذا النمط أسهل لايضـــاح المعاني واظهارها ولا سيما لأن الروايات مجموع مخاطبات والمخاطبات بلغة العامة أوقع جدا منها بلغة أهل الجاهلية » •

ويتناول الكاتب الاخطاء التى يرتكبها الممثلون عندنا • ومن بينها مخاطبة النظارة فى مواقف تستلزم مناجاة النفس • ومن بينها كذلك أن يردد الممثل ما حفظه ترديدا آليا بحيث لا يتفق نوع كلامه مع ملامح وجهه • ويعدد هذا الكاتب اخطاء الممثلين وكيفية التغلب عليها فيما يلى :

« **الممثلون** : أما العيب الاكبر نهو فى الممثلين فانهم لا يدركون معنى التمثيل • وأول دليل على أنهم يجهلون حقيقة ما يفعلون عيب فاضح يعابون به كلهم وهذا أن كثيرا ما يستلزم الأمر ان يكون الممثل وحده فى المراسح يخاطب نفسه بغية أن يعرف المشاهدون امرا لا يرد فى خلال التمثيل • فعوضا ان يخاطب الممثل نفسه يوجه الخطاب الى المشاهدين كانهم زملاء وشركاء معه فى التمثيل • مع ان الممثل يجب ان يعتبر الملعب خلوا من المشاهدين وان دكة المرسح منفصلة عن صحن الملعب • بل يجب أن يعتبر نفسه فى حقيقة لا فى تمثيل • والذى يشاء ان يفهمه للحضور من اخبار وأقوال يجب ان يخاطب به نفسه أو احد زملائه • ومنشأ هذا العيب المؤلف ايضا لأنه هو يضع اسلوب المخاطبة وله أن يتلافاه بسهولة •

« ومن اغلاط الممثلين أيضا أن الواحد منهم وهو يسمع خطابا من مخاطبه لا يعيره اذنا صاغية لكى يكيف ملامحه بحسبما تؤثر أقوال مخاطبة فيه • والظاهر انه يردد حينذاك فى باله الخطاب المزمع أن يلفظه جوابا لمخاطبه كأن دوره امثلولة حفظها عن ظهر قلب فيرددها فى ضميره •

« ومنهـــا أن الحال تقتضى بعض الاحيان أن يكون الممثلون سكوتا لا يتخاطبون اذ يكون الخطاب جاريا بين اثنين آخرين أو أكثر • فغلط الساكتين انهم يقفون احيانا فى المشهد كأنهم ينتظرون الوقت الذى ينبغى ان يتكلموا فيه أدوارهم • مع ان الواجب عليهم أن يظهروا فى مظهر يقتضبه المقام كأن يتخاطبون باصوات خافية أو يسمعون خطاب المتخاطبين • ويبدو من الملامح والاشـارات مـا يقتضيه المقام •

« ومنها أن الممثلين لا يراعون أوقات الجلوس والوقوف فى التمثيل • فان أكثر الأدوار يكون الممثلون فيه وقوفا وهم يتحاوزون•

« ومنها اعتبار أن السكوت بعض هنيهات أثناء التمثيل محرم• فانه من الواجب أن يكون الالقاء متتابعا الخطاب أثر الخطاب • مع أنه كثيرا ما يقتضى الأمر أن يـكون المرء يفكر غير متكلم • فيجب أن يمثل التفكير كالمتكلم » •

ويشتم القارىء من خاتمة المقال انه يتضمن نوعا من التبرير لامتناع الحكومة من مساعدة المسرح المصرى :

« وهنـــاك اغلاط كثيرة لا يسعنا ايرادها فاكتفينا بأهمها للدلالة على ابطاء التمثيل العـــربى فى الارتقـــاء وعدم اكتراث الحكومة به • والذى نرجحه أن الحكومة لا تضن بمســـاعدة لملعب عربى اذا رآته يبارى ملاعب الأفرنج البسـيطة التى تمثل فى هذه العاصمة بعض الأحيان ورأت ان الناس من كل طبقة يقبلون عليه كما يقبلون على تلك الملاعب الأفرنجية » •

يجد الدارس نفسه نهبا للحيرة حين يعن له ان يستجلى الدافع الذى حدا ب « الرائد المصرى » أن ينشر المقالين السابقين • ويزيد

فى صعوبة الحكم على هذا الدافع أن هذين المقالين ينمان عن مقدار ما يتمتع به كاتبها من علم وفير وذكاء واضح ووعى لا ينكر بمشاكل المسرح المصرى » ٠

ولكن صعوبة الحكم تختفى أو تكاد ان تختفى حين نطالع ما نشرته صحيفة « المؤيد » بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٠٣ (ص ٢ ، ٣) فنحن نصطدم بتشكيك واضح وصريح فى قيمة المسرح المصرى ٠ ويذهب المؤيد دون مواربة الى أن المسرح المصرى متخلف تخلفا مزريا لا يؤهله لطلب اعانة من الحكومة ٠

يبدأ كاتب « المؤيد » مقاله بذكر الأهمية التى يعلقها الأجانب على التمثيل ويرى فى تقليد المصريين للتمثيل الأجنبى سببا قويا من أسباب انحطاط هذا الفن فى بلادهم ٠ يقول« المؤيد » :

« لا يظن الشعب المصرى أن مهنة التمثيل كالمهن العمومية الساقطة كخيال الظل ولعب السيمياء وخفة اليد لأنه يرى فى المهرجانات الكبرى والأعياد الفائقة تنوع هذه الألعاب من بينها تمثيل الرواية العربية تمثيلا يوافق أذواق المقبلين عليها فى مثل هذه الحفلات المختلطة ٠ فان التمثيل من مصاف الفنون الراقية المرغوبة لما يقصد فيه من درس الحوادث ذات العبر والاخلاق المعاينة فى الانسان ما يقصده كل طامع من المقاصد باجراء وسائل الحصول عليها الى غير ذلك من ضروب الأدب والنهى عن الدنايا والشرور بقالب أفعل فى النفس وأكثر تأثيرا على الأخلاق والمبادىء المعوجة ٠ ولما كان لكل واقعة أطراف وأسباب وللنساء فى أدوار الناس والحوادث دخل كبير صرنا نجد فى كل رواية تمثيلية أو قصيدة مسداة أو ملحومة بامور نسائية لتكتسب رونقها المقبول ووقعها المعقول وأكثر الروايات التى تشخص على المراسح مختزلة من روايات ووقائع أكثرها حقائق جرت أو ما يمكن أن يجرى فى حوادث الانسان الكثيرة ٠

« ولذلك أكبر الأجانب شأن التمثيل وعده من متممات الحضارة والتهذيب كما كان شأن غيرهم من الأمم القديمة كاليونان والرومان ٠ نعم انه ترقى فى عصرنا الى حد مشكور ٠ ولكن هذا الرقى ليس فى بلادنا وا أسفاه لأننا أردنا التقليد فلم نقلد ٠ وربما لو سرنا فى التمثيل مخترعين مبتكرين لكنا أحسن حالا وأكثر نظاما لأننا فى هذه الحالة نحتاج الى تمثيل حقائق وتقليد وقائع ٠ فكنا بذلك أقرب الى الحقيقة ٠ فما نحن عليه الان سخرية للأجنبى ٠٠٠ لبعدنا القصى عن المعقول والمألوف ٠ »

يعيب كاتب « المؤيد » على المسرح العربى الذى أدخله السوريون فى مصر انه يلجأ الى ترغيب جمهور المشاهدين فيه عن طريق ادخال الجنس والغناء فيما يقدم من مسرحيات ٠ كما أنه يعيب على هذا المسرح خروج ممثليه عن مقتضيات الواقع المعقول والتجائهم فى اجتذاب النظارة الى اطلاق النكات العامية الرخيصة ٠

« مضى نحو الثلاثين عاما والأجواق العربية (السورية) تشتغل فى هذا الفن ورواياتها التمثيلية لا تزيد عن الخمسة عشرة رواية ٠ ولا ترتقى الأجواق ذرة الا بادخال هذه الممثله الحسناء وتلك المغنية البلهاء وذلك الضارب بالسيف واللاعب كالقردة وأكثر المشخصين والمشخصات أميون لا يعرفون طول الألف من المأذنة ، كما أنهم لا يفهمون ما هم فاعلون أهم مشخصون أم متمسخرون بدليل ادخال النكات العامية فى أجمل واهيب مقال ٠

« وكيف نسمى هذا التمثيل العربى تمثيلا حقيقيا والمشخص يرفع عقيرته امام الملك بالانشاد الغرامى فى موقف ينافى ذلك ويدعو الى الاحترام ويده وهو يطلب شيئا تشير الى الجمع المتفرج تارة وترتفع فوق رأسه وصدره كأنه تمثال متحرك لا يعى ما يقول

ويشـــير • وان اخذ فى حديث غرامى مع فتاة كان بطـل الرواية بالسماجة وتلك الحركات المحركة للحضور والعيون كأنه هو المحبوبة وهى تنظر اليه بفروغ صـــبر ليأتى دورها مثله بما يقطـع الفؤاد اشمئزازا • »

ويسخر الكاتب من جوقى القرداحى واســكندر فرح اللذين يستبيحان مسرحيات شكسبير ويشوهانها على نحو لا يليق • يقول هذا الكاتب :

« أعلن من أيام جوق القرداحى بثغرنا أن ســيمثل رواية (هملت) وهى غير هملت التى يمثلها جوق فرح • ونحن نقول أنها غير (هملت) التى تمثلها الأجواق الاوروبية الصحيحة على مراسحها المحترمة • ولقد دعوت مرة صديقا لى زوجته انكليزية لمشــاهدة تمثيل رواية هملت فى جوق القرداحى عام ١٨٩٥ • فلما شاهدت ذلك التمثيل الذى لم يتغير للآن ضحكت ضحكا طويلا قائلة مسكين انت يا شكسبير العظيم الذى تفتخر بك امة انكلترا • فلو كنت حيا وشاهدت مثلى للآن روايتك تلعب بها جهلة هؤلاء القوم لفضلت لغوها وحرق كل مؤلفاتك السامية كى لا تقع بأيدى من يعبث بها• ثم التفتت الى قائله لو كان شكسبير بيننا الآن لظنها رواية عربية موضوع روايته • فهيا بنا لأننى لا أطيق مشاهدة وسماع ما ينكره ذوقى • أقسم بالله وملائكته هذا هو الذى جرى بمرسح القرداحى • وهو يقول أن هملت قرداحى غير هملت فرح » •

ويختم الكاتب مقاله بقوله أن تخلف المسرح المصرى لا يجعله جديرا بطلب اعانة من الحكومة :

« نطلب مالا من الحكومة لأجواقنا قائلين نحن أولى من الأجواق الأجنبية التي لا يسمعها ولا يشاهد تمثيلها الا الأجانب . نقول ذلك ولا نستحي . والقرداحي بيننا يعلن أنه سيمثل روايته فى مرسح زيزينيا الشهير بثغرنا لتنفذ التذاكر علما منه أن نصف المقبلين يكونون من محبي الاجتماع فى ذلك التياترو الجميل . (ثم) يعلن أن المسرح مؤجر لغيره فهو يدعو زبائنه لسماع روايته الشائقة فى مرسح البيراميد الخشبي الزرى . وهي اشارة من مهارة كتبى فى النهار وبواب للمراسح فى الليل . والكل تضافروا على هذه الصورة وأمثالها . ولا نخجل نحن معهم فى القول بأن لنا أجواق تمثيل . وهي تستحق التمثيل مادامت هكذا فى اخلال وتأخر .

« قلنا مضى الثلاثون عاما وأجواقنا بدلا من التقدم فى تأخر وكل ما يمثل لا يتجاوز الخمس عشرة رواية يعى الممثلون منها نحو السبعة أو العشرة . وهي الكل بالكل . وعندنا الآن جوقة بهائم واسود تلعب بالحمراء وعلموها من أدوار اللعب نحو الخمسين ونحن فى ألعابنا لا نزال على الأبواب . فلو كانت الصحف كالروايات الممثلة الآن أو كرسالتى هذه التى كتبت مثلها كثير واعيد موضوعها أكثر لما قامت صحافة ولا التفت انسان لما يكتب ويقال . »

وبالرغم من أن الاتجاه العام لصحيفة « الأهرام » كان يتميز بتشجيع المسرح المصرى ويلح على الحكومة بالمطالبة بأن تمد له يد المساعدة . فاننا نجدها تنشر بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٠٣ (ص ٢) كلمة تحت عنوان « البلدية ومساعدة المسارح » يحث فيها كاتبها بلدية الاسكندرية الا تستجيب لطلب الأجواق للمساعدة بحجة أن هناك من المرافق العامة ما يستحق انفاق العام عليها أكثر من المسارح . وأغلب الظن أن هذا الموقف يرجع الى أن المسارح الأجنبية كانت هي المقصودة بطلب الاعانة . تقول « الأهرام » فى هذا الشأن :

« لست بين الذين تقهقر بهم الفكر الى الازمان العريقة فى القدم حتي انكر على البلدية مساعدة أجواق التمثيل الذىَ اعده فى مقدمة الكماليات ان لم أقل فى عداد الحاجيات . ولكن العاقل يقدم الأحسن على الحسن والأهم على المهم ... فالثغر عندنا يحتاج الى امور عديدة أهم من تعيين الاعانات للأجواق وان لم يكن تعضيدها حسنا مستحبا فنحن نطلب الى البلدية أن تنظر بعين البصيرة الى المبدأ المتقدم عند فحصها الطلب الجديد الذى أرسله بعض أصحاب المراسح راجيا فيه تعيين مساعدة من البلدية . فاذا كنا نتمنى لجوقة كل تقدم وفلاح . فنحن نتمنى قبل كل شيء حفظ المصلحة العـامة أى مصلحة المدينة التى انشئت البلدية لصون مرافقها . فقد كفى هذا العام أن البلدية زادت مائة جنيه على اعانة (جمعية الفنون) وانها تدفع فى كل عام ٦٠٠ جنيه لمرسح زيزينيا . »

ونشرت مجلة « الطرائف » بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩٠٢(ص٥٧) مقالا بعنوان « غايات الممثلين » يتضـــمن هجوما عنيفا على الأجواق المصرية كما يتضمن أمثلة على مدى جهل الممثلين واميتهم . بدأت « الطرائف » مقالها بقولها :

« سألنا أحدهم أن نكتب رسالة فى غايات الممثلين من التمثيل فنجيب طلبه قائلين أن لكل ممثل غاية من تمثيله . فمن الممثلين من يمثل ليطرب الناس بشجى صـوته . ومنهم من يمثل ليعجب الحاضرين ويفيد بتمثيله . أما الغرض الأول فليس له حظه الا حضرة المطرب الشهير الشيخ سلامة حجازى الذى أنما ميزته جمال صوته .... وأما الغرض الآخر فهو مفقود عندنا لأنه ... ليس فى كل ممثلى جوق اسكندر فرح من بامكانه أن يفيد فضـــلا عن أن يعجب .... لأن جل الممثلين عنده ان لم نقل كلهم مجلوبون من وراء مهن لا ترشح ممثلين ... وقال لنا (أحد السراة) ليتك جئتنى ....

لأروى لك هذا الخبر ... قال حضرت التشخيص ذات ليلة فسمعت بعض المشخصين يقول (قلدوه بالصراصر) يعنى قيدوه بالسلاسل. فاستهجنت هذا الكلام وتبت . فبربكم قولوا لنا ماذا يفيد شخص مثل هذا بل أحرى به أن يضر ولا يفيد . وقد انتقد أحد الأدباء على متون الجرائد امراء الأسرة الخديوية الشريفة ووجوه البلاد وعيونها على عدم غشيانهم لملعب اسكندر فرح وأخذ عليهم ايثارهم الملاعب الأجنبية عليها ، أفيود حضرته أن يذهب هؤلاء الغطاريف الاعلام ليسمعوا مثل هذا المستهجن من الكلام (قلدوه بالصراصر) . »

وتختتم « الطرائف » مقالهـا بالمقارنة بين جلال التمثيل فى الاوبرا الخديوية وعظمته ، وهزال التمثيل فى الملاعب المصرية مثل ملعب اسكندر فرح وهوان شأنه : ـ

« أما الملعب الخديوى فيليق به أن يشهده ذوو الامارة والجلال ويستحق أن تبذل فى حضوره الأموال . ومع أن أجرة الدخول فيه تبلغ أضعاف أجرة الدخول عند اسكندر فرح يؤديها الواحد غـير آسف على بذلها بل يحسب نفسه لم يزل رابحا . وأما أجرة الدخول التى يدفعها لملعب اسكندر فرح فيأسف عليها ويجدها ضائعة فنه لأنه لم (يخرج) من ملعبه بطائل .

وفى مقال منشور فى صحيفة « الاخلاص » بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٠٥ (ص ٢) تحت عنوان « فن التمثيل وهل أفاد الفائدة المطلوبة: » يستعرض اسكندر فرح جهود فرقته فى ميدان التمثيل . ويخلص عرضـــه الى الاعتراف بأن المسرح المصرى لم يحقق الآمال المعقودة عليه . صحيح أنه تقدم . ولكن تقدمه كان بطيئا . ويرى اسكندر فرح انه بالرغم من بطء تقدمه فان مساعدة الحكومة له قمينة بأن تدفعه الى الأمام . وفيما يلى ما كتبه اسكندر فرح فى هذا الشأن : ـ

« وجهت احدى المجلات العربية هـــذا السؤال للاجابة عليه فرأينا أن نرسل لحضرتكم نتيجة ما أملاه على اجتياز عشرين عاما فى هذا الشأن لأن الموضوع هام يضطرنا الى اطلاع العموم عليه » :

« نشا فن التمثيل العربى فى هذه الديار منذ ربع قرن أو يزيد أيام كان الشعب يجهل مزاياه وفوائده · لذلك لم يكن الاقبال عليه كثيرا · ومنذ ثمانية عشر عاما دعتنا الظروف الى تأليف جوق مصر العربى الذى جعلنا غايته الأولية اتخاذ السبيل التى تشوق العامة الى حضور التمثيل سالكين فى ذلك نفس الطريق التى سار فيها الغربيون من قبلنا ، لأن ذلك يعد أول خطوة من خطوات ثلاث وضعناها نصب أعيننا · ولذلك أخذنا فى تقديم الروايات التى تكثر فيها الخرافات والمجون والأحوال التى تشوق اليها العامة ·

« ولما نلنا الغاية الأولى ووثقنا من مداومة الشعب « بطريقة متوسطة) خطونا الخطوة الثانية · وهى تقديم الروايات البسيطة التى لا يمل منها الشعب ويرى فيها عظات بالغات · وفى مقدمة هذه الروايات ما عربه وألفه فقيد الأدب المرحوم الشيخ نجيب الحداد وخلافه من النابغين الأفاضل » ·

« وأما اعتراض البعض عـلى أن تلك الروايات كلها غرامية تلحينية وبعضها مجونية خالية من الفائدة المطلوبة فلا محل له لأن أكثرها معربة عن الغربيين ، ولا يزال غالبها يمثل حتى الآن · وفضلا عن أن أجلها منطو تحته حكم ومواعظ بالغة ، فانها هى الروايات التى مهد بها الغربيون للشعب سبل الوصول الى الدرجة الثالثة · وهى الروايات العصرية الأخلاقية العائلية » ·

« وبناء على ما تقدم علم القراء أنا نلنا ما رمينا اليه من بلوغ الغايتين الأولى والثانية · لذلك لم نجـــد بدا بعد ذلك من تخطى

الدرجة الثالثة فشرعنا منذ بدأ فى اعداد روايات أخلاقية عصرية اجتماعية من الطراز الجديد الذى سار عليه الافرنج فى العهد الجديد كما علم العموم من نشرة نشرناها فى الصحف منذ أيام · وسنبدأ بتقديمها قريبا مع علمنا بما سنصادفه من بعض المصاعب والمتاعب · وانما ما اعتدناه من الصبر والثبات تذليل كل عقبة يكفل لنا باذن الله الوصول الى نقطتنا المقصودة التى هى ارشاد الشعب الى الطريق الأقوم وانتهاج مناهج السداد والفلاح » ·

« وبناء على ما تقدم لا يمكننا القول بأن التمثيل العربى افاد الفائدة المقصودة ولا أنه لم يفد البتة بل تقدم · وكان تقدمه بطيئا · ويحق لنا أن نقول أنه قد أفاد · انما كان يجب أن يكون أكثر ارتقاء من ذلك بالنسبة لمدة ظهوره فى هذه الديار · ولكن وصوله لهذه الدرجة جعل أملنا وطيدا بأننا سنصل الى الفائدة المطلوبة قريبا · ولقد حان للحكومة أن تنظر اليه نظرة حنان واشفاق · وكفاها ما عاملته به الى الآن من عدم الاكتراث توهما منها بأنه مشروع لم يصل بعد للدرجة التى توجب الاهتمام به والالتفات اليه · ولـكن متى انتخبت من تعتمد عليه وأرسلته لحضـور الروايات العصرية التى ستمثل قريبا ويرى التأثير الذى يستولى على الحضور من ذلك وما اتصلت اليه حالة التمثيل من التقدم والترقى ، لا نشك عند ذلك فى أنها تمد اليه يد المساعدة والتعضيد شأن الحكومة الراقية · فان بتعضيدها هذا الفن تهذب الأخلاق وترقى المدارك وتبث العواطف الشريفة فى النفوس وهو اسمى ما تسعى اليه حكومتنا السنية فى هذه الايام » ·

مصر تحريرا فى ٢٢ أكتوبر ١٩٠٥

مدير جوق مصر العربى

اسكندر فرح

تلاحظ من المقالات السابقة أنها فى مجموعها تميل الى تأييد قضية المسرح المصرى ، فى حين أن الأقلام التى عبرت عن تشكيكها فى قيمة هذا المسرح محدودة العدد • ونلاحظ أيضا فى شتى الحالات أن هجوم الصحافة المصرية على الأوبرا الخديوية وامتيازات الفرق الأجنبية كان يستلهم الأمانى الوطنية أساسا دون اعتبار للجنس أو الدين • وهو اعتبار - بفرض وجوده - كان من حسن طالع الحركة الوطنية أنه ظل مغمورا تحت السطح • ولكن هذا الخط الوطنى كان ينحرف أحيانا عن مساره السليم والطبيعى ويتخذ مسارا طائفيا مغلق الأفق • ولعل الذى يطمئنا الى سلامة الحركة الوطنية المتمثلة فى تمرد المسرح المصرى على امتيازات الأجواق الأجنبية خلال العقدين الأول والثانى أن انحرافها الدينى كان فى القليل النادر • وسواء كان لهذا الانحراف الدينى ما يبرره أو لم يكن فان مجرد ظهوره ابتعاد عن الخط الوطنى السليم • ونحن نسجل فى هذا الصدد « الاتهام » الذى وجهته جريدة « المؤيد » بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩٠٥ (ص ٥) الى ادارة الأوبرا لتقديمها مسرحية اعتبرت أنها تتضمن اهانة للمسلمين بعنوان « بنت رولاند » وسواء كان لهذا الاتهام أسبابه الحقيقية أو المزعومة ، فنحن نسجله كما أوردته صحيفة « المؤيد » بعنوان « رواية بنت رولاند - اهانة المسلمين علنا فى الأوبرا الخديوية » • والمدهش حقا أن ما يظهره كاتب « المؤيد » من ولاء دينى لا يمنعه من تحميص الأمور بدقة وموضوعية وهو يشير بأصبع الاتهام الى المسئول عن هذه الحادثة • يقول « المؤيد » فى هذا الشأن :

« جاءنا من أحد أفاضل المسلمين المشتركين فى ليالى الأوبرا الخديوية ما يلى » :

« استغرب الذين شاهدوا ليلة الجمعة الماضية تشخيص رواية « بنت رولاند » فى تياترو الأوبرة الخديوية من تساهل لجنة التياترات

وقبولها تشخيص هذه الرواية فى بلد اسلامية ، وفى الملهى التابع للحكومة الخديوية ، وفيه غرف خاصة بأمير البلاد وبكثير من أعضاء عائلته الكريمة » ٠

« نعم تكدرنا ودهشنا مع فريق عظيم من الذين حضروا تمثيل هذه الرواية من الألفاظ السمجة والخالية من الأدب التى تكررت مرات عديدة عند الكلام على مسلمى اسبانيا وقت أغارتهم مدة شارلمان على بعض الأقاليم الفرنساوية حيث كانوا ينعتون بالكفرة والمشركين على السنة الممثلين وغير ذلك من الألفاظ التى شعر كثير من الخطباء الدينيين فى المساجد والكنائس بعدم لياقتها لمخالفته لروح الأدب والدين ٠ فكيف يجوز هذا فى مجمع عام يشمل كثيرا من الطبقات العليا فى البلاد بقطع النظر عن الجنس والدين وفى حفلة أدب وسهرة سمر وفى دار تخص الحكومة الاسلامية ومساعدة بمبلغ عظيم من مال الأمة ٠ كيف يسمح فيها لجماعة من المشخصين بعرض روايات فيها مثل هذه الألفاظ الشائنة السافلة الوقحة مما يجرح عواطف أعظم عنصر فى البلاد تجب مراعاة احساساته ٠ وانى بهذا الانتقاد لا اوجه مسئولية على أحد من المشخصين فهم انما يرددون ما حفظوه عن ظهر قلبهم من عبارات المؤلف ٠٠٠ ولا لمدير جوقة التمثيل لأنه لأجنبيته قد لا يدرك ما فى تشخيص مثل هذه الرواية من عدم اللياقة٠ وانما المسئولية واقعة على لجنة التياترات لأنها هى التى من أول وظائفها ملاحظة الروايات لمنع تشخيص كل ما يضر بالآداب وما يستنفر العواطف منها ٠

« وان قيل أن جميع أعضاء لجنة التياترات أو أكثرها هم من الأجانب أيضا وقد لا يكونون أكثر خبرة بعواطف المسلمين من أولئك المشخصين أنفسهم ، فذلك ما يدعونا أن نطلب من نظارة الاشغال تعديل تشكيل هذه اللجنة حتى تكون كفؤا لمنع هذا الاهمال الموجب للنفرة أو بالأقل للقيل والقال » ٠

« ولكن قبل كل شيء يجب رفع رواية « بنت رولاند » من بين الروايات التي تشخص الآن في الأوبرة الخديوية تلافيا لما يمكن أن ينشأ من اعادة تشخيصها » ٠

لعلنا نذكر المقال المنشور في صحيفة « الرائد المصرى » بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٠٣ الذى يذهب فيه كاتبه الى أن انفاق المال على الأوبرا يهدف الى اجتذاب السياح الى مصر ٠ ومن ثم وجب النظر اليه باعتباره مشروعا للاستثمار الوطنى ٠ ورفضت بعض الصحف أن تقتنع بهذا المنطق ٠ وكتبت صحيفة « الوطن » بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٠٥ (ص ١) مقالا شديد الوطأة هاجمت فيه اقتراحا ببناء أوبرا جديدة لأن الأوبرا القديمة لم تعد تصلح للاستعمال ٠ وبرزت هذه الصحيفة هجومها بأن الأوبرا مسرح لا يرتاده سوى الأجانب من القناصل والتجار وأصحاب النفوذ وأن الحكومة تخصص لها اعانة كبيرة تقتطعها من لحم الفلاح المصرى ودمه حتى ينعم هؤلاء الأجانب أصحاب الامتيازات بالحفلات التى تقام فيها تقول جريدة « الوطن » :

« الأوبرا الخديوية — علم القراء أنه لم يبق بد من بناء موضع جديد للأوبرا الخديوية لأن البناء الحالى تقادم عهده وفات زمان نفعه ٠ وقد ضـــاق فما يفى اليوم بحاجة الطالبين وأن طلاب الأوبرا هم النزلاء من هؤلاء القناصل والتجار الأجانب وأصحاب النفوذ الذين يتلذذون بالأنغام والروايات فى كل شـــتاء وتعينهم الحكومة على التمتع بهذه اللذة فتدفع الى الأجواق التى يستخدمونها ستة آلاف جنيه كل سنه من مال الفلاح ٠ كل هذا والفلاح المسكين لا يعرف الأوبرا ولا فوقها ولا تحتها ولا يدخلها افراده الا مرة فى العام بعد الاستئذان من الأجانب الذين حلوا محل الحكومة المصرية فى ادارتها »

ويرى الكاتب أن النظر الى الأوبرا الخديوية كمشروع للاستثمار أكذوبة لا أساس لها من الصحة ويعطينا فكرة عن ظروف انشائها

ارتكبتها ادارة الأوبرا فى حق المواطنين المصريين · ويقترح هـذا الكاتب على الحكومة أن تبيع أرض الأوبرا القديمة بسعر مرتفع ثم تشترى بدلا منها فى منطقة أخرى أقل فى تكاليفها وبذلك يتجمع لديها مال وفير · يقول لنا كاتب « الوطن » : —

وأما تلك الحجة القديمة التى كررتها الحكومة فى الزمان السابق وهى أن اعانة الأوبرا ترغب السياح فى تطويل زمن الاقامة هنا فيكثر الربح منهم للمصريين ، فانها خرافة فات زمانها وانقضى · وقد عرف الناس كلهم أن الأوبرا بناء كثير النفقات بناه المصريون · وهم ينفقون عليه من مالهم حتى المصريين الممتازين ظلما وعدوانا على الذى يتلذذ به الأوربيون المعتدون على حقوق من يدفعون عنهم الأموال ·

« قلنا أنهم عزموا على هدم هذه الأوبرا الحالية · وهى بناها اسماعيل بسرعة أذهلت العقول من نحو ٣٠ سنة · وهم لو قبلوا رأينا لوفروا على المصريين جملة مال وأعادوا البناء على ما يريدون · ذلك أن الأوبرا بنيت فى أغلى بقاع العاصمة وثمن المتر من أرضها لا يقل الآن عن ٣٠ جنيه وقد يبلغ الأربعين · فان بناء بيطار الى جنبها اشتراه أصحابه من الدومين بستة وثلاثين ألف جنيه من عشرين سنة · وهم الآن لا يبيعونه بمئتى ألف جنيه · وعندك الأراضى يباع المتر منهـــا فى الاســـمعيلية بثلاثين جنيـــه · فاذا بيعت أرض الأوبرا الحالية بمثل هذا الثمن اجتمع لدى الحكومة مبلغ يفى بحاجة البناء الجديد وأعفى الفلاح المسكين من تقديم الأموال الأخرى ترضية للأجانب الممتازين · وعند الحكومة مواضع كثيرة تصلح لبناء أوبرا جديدة لو أنها تعمل بهذا الرأى · ثم أنه اذا لم يكن بد من هدم الأوبرا الحالية فمن واجب الاصلاح هدم اللجنة التى تدير

أمورها الآن وهى لجنة أفراد من الغرباء والأجانب عسفوا وجاروا وجروا على خطة منكرة فى توزيع التذاكر لم نتنازل للاعتراض عليها لأننا نحتقر مثل هــذه الادارة • ولو خيرنا لما اخترنا تلك الأوبرا ما دامت أمورها موكلة لمثل هذه اللجنة التى كثرت لها الغلطات والسيئات • وقد اشتهر أن هذه اللجنة الأجنبية مثلت رواية بالأمس فيها قذف وتعريض بالدين الاسلامى • فلم يبق موجب للكلام بعد هذا الدليل الواضح على سوء الادارة ، وبلادة الذوق والجهل القتال والاستخفاف الذى لا يجــوز بشعائر المصريين وهم الذين تدفــع حكومتهم الأموال قضاء لأغراض هذه اللجنة وأصحابها الأوروبيين »

ونشرت صحيفة « الأهرام » بتاريخ ٤ يونيه ١٩٠٨ (ص١ ، ٢) مقالا بعنوان « تياترو الأوبرا والتمثيل العربى المهمل » يشكو فيه كاتبه من اغداق الحكومة أموال المصريين على الفرق الأجنبية وأحجامها عن مساعدة الأجواق المصرية ، يقول هذا الكاتب : ــ

« وضعت الحكومة التمثيل فى الأوبرا الخديوية فى فصل الشتاء المقبل موضـــع المباراة فنال التعهد بذلك أحد مديرى الملاعب فى (سان اتيان) من أعمال فرنسا • فذكرنا ذلك بخلو القطر المصرى من التمثيل العربى الصحيح الذى يمثل أخلاقنا ويبسط صـــفحة أعمالنا ويقوم من أميالنا وأهوائنا ويعلمنا كل ما نود أن نتعلمه من الوطنية والشهامة والفضيلة والآداب حتى آداب لغتنا » •

« تذكرنا ذلك فعز علينا • وتذكرنا كيف تدفع حكومتنا كل عام ٦ آلاف جنيه لمساعدة الأجواق الأفرنجية ، وكيف تخص بهم ملعبها الكبير • فقلنا فى نفوسنا اما كان الأجدر أن نرى هذا المال متسربا الى جيوب أبناء الوطن ؟ يتعلمون به فنا نهض باثينا وأعز

روما وبث الحكمة والآداب فى أوروبا وحفظ آثار السالفين وهذب أخلاق الحاضرين منهم » •

« هذا الفن الذى برع فيه الأتراك وبرع فيه البلغاريون والغرب والرومان لا يوجد فى مصر أم اللغة العربية والامارة الكبيرة العظيمة الغنية » •

ويلفت النظر فى هذا المقال أن كاتبه ينوه بالدور الحضارى والثورى الذى يلعبه المسرح فى حياة الأمم :

« أما لفت أحد من أدبائنا نظره الى هذه الحال ؟ » أما ذكرت الصحافة اليوم أنه قد آن لها التآزر والاتحاد على تنشيط هذا الفن؟؟ ألا يدرك الكتاب أن التمثيل أقوى من الخطابة والصحافة فى بث روح المدنية فى الأمة ؟ عودوا الى التاريخ واستنطقوه تجدوا أن ثورة فرنسا عملت فى الملاعب وسلطنة الرومان أسست فى الملاعب وحكمة اليونان حفظت فى الملاعب » •

« وهذا فن الخطابة الذى أخذ منه بعض شبابنا فى الزمن الأخير بطرف يعد فى علم البلاغة جزءا من التمثيل لأن الممثل خطيب بلا جدال » •

« ونحن فى بلاد عربية تنفق فى ملاعبها على التمثيل الأفرنجى آلاف الالوف من الأموال ولا تنفق على التمثيل العربى شىء أو أن هذا التمثيل غير موجود مع أن جميع معداته موجودة كالمال والشبان المتعلمين وميل الجمهور ولذته بالتمثيل والحوادث التاريخية العربية التى ، اذا مثلت كانت أعظم درس وأعظم حكمة » •

ويقترح الكاتب فى ختام مقاله شيئا شبيها بتأميم المسارح ويطالب الدولة بأن تعامل الممثلين معاملة الموظفين • فيقول فى هذا الشأن : ـ

« يقولون لنا أن اسكندر أفندى فرح والشيخ سلامة حجازى اجتهدا كثيرا فى ترقية التمثيل فلم يصل الى الغرض المقصود • ونحن نجيب هؤلاء القائلين أن ترقية التمثيل يجب أن تكون بواسطة شركة كثيرة المال لا بواسطة أفراد قد يعجزون عن العمل • ففى أوروبا تتولى الحكومات مراقبة التمثيل وتعليمه • فالملاعب ملك لها والموظفون يعدون من موظفيها وكبار الممثلين يعدون كالمستخدمين فى الدولة • فاذا أردنا أن نكون كتلك الأمم الراقية فى جميع شئونها فلماذا لا يكون هذا الفن راقيا عندنا مثل عندهم » •

ونشرت صحيفة « الأهرام » بتاريخ ٣١ أكتوبر ١٩٠٨ (ص٢) مقالا بعنوان « التمثيل العربى فى نادى المدارس العليا ، ينحى فيه كاتبه باللوم على الحكومة التى تهمل التمثيل العربى ، ويشيد فيه بالفضلاء من أهل البلاد الذين يهبون لمساعدة المسرح المصرى عن طريق رصد جوائز مالية للنابهين فى مباراة التأليف المسرحى وارسال أحد الشبان الموهوبين (أغلب الظن انه جورج أبيض) • ولكنه يقترح التوسع فى التشجيع المسرحى حتى يأتى اطيب الثمار • يقول كاتب « الاهرام » فى هذا الشأن :

« جرى حديث التمثيل فى نادى المدارس العليا وتبرع فاضلان من أعضاء النادى بمبلغ ٢٠ جنيها لمن يؤلف أحسن رواية عربيـة للتمثيل • فقرأت هذا الخبر بين السرور والانكماش • أما سرورى فلأن رجال العلم والأدب فكروا فى فن من الفنون التى ترمى لأمام • وهو لا أثر له ولا عين فى مصر العربية المتمدينة التى تدفع حكومتها كل عام للأجواق الأفرنجية آلاف الجنيهات وأما انكماشى فلأن ٢٠ جنيها لا يدفع عارفا فى التأليف ولا يعد جائزة للمؤلف الذى يجد ويجتهد فكان الأفضل أن يفتح أعضاء النادى اكتتابا وأن يعد مبلغ العشرين جنيها من الاكتتاب للجائزة لا الجائزة كلها »

« بل الأفضل أيضا أن يكون مبلغ كبير يكون أكثره للأول وأقله لمن يليه باجازة التأليف . وأن يقرروا جوائز لمن يجيدون التمثيل . أما جعل العمل أبتر فانه لا يأتى بالفائدة . وأزيد على هـذا أن التأليف والاجـازة عليه جعلا فى الاقتراح احتكارا لنادى المدارس العليا . وأنا لا شك أن الكثيرين يتناولون الآن أقلامهم ليؤلفوا. وكان الجدير بالمقترحين أن يتحاشوا هذا الاحتكار لأن تأليف الروايات فن قائم بذاته لا يجيده من أجاد التعبير أو عرف تزويق الكلام . فاذا وجد فى القطر المصرى اثنان يستطيعان التأليف فى هذا الفن فانه لا يوجد ثالث . وأنا أقدر أنه لا يوجد اثنان بـين جميع الأدباء وأن وجد ألف ألف مدع . أما التمثيل القاء وايماء فانه في البلاد لا يوجد من يعرف أصله وفصله . فهو نوع من أنواع الخطابة له اناس يجيدون فى بعض ضروبه فقط ويساعدهم على ذلك تكوينهم الطبيعى والأدبى » .

وتسر صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٢٠ أبريل ١٩١١ (ص ٢) « كلمة فى أذن المستشار المالى » ـ غورست ـ تشكو فيها من احجامه عن تشجيع التمثيل العربى لنفس الحجة القديمة وهى أنه ليس فيه شىء يستحق التشجيع أو الاهتمام .

وتظهر هذه الصحيفة تحمسا واضحا للوعـــد الذى قطعتــه الحكومة لرصد مبلغ من المال لتكوين جوق عربى جديد يديره جورج أبيض . وهو وعد له أهميته نظرا لأن هذا ـ فيما أعلم ـ أول مرة يصرح فيها المسئولون بعزمهم على تعضيد جوق مصرى معين وتقديم المعونة المالية له . تقول صحيفة « الاهرام » .

« كلنا يعرف أن التمثيل العربى غير موجود لسبب واحـــد فقط وهو قلة المال فكل جوق تألف وكل مؤلف ألف فى هـذا الفن لم يوقن بأنه . يعمل عملا يعود عليه بالنفع ليصرف فى سبيل

عمله أيامه ولياليه ويكدر فكره وذهنه على أمل الجزاء والمكافأة فظل هذا الفن بيننا ميتا ٠

وقد طالما طلب الرأى العام من الحكومة مساعدة التمثيل فكان جوابها كما قال السير ألدن غورست سنة ١٩٠٨ ـ هاتوا لنا جوقا صالحا ونحن نعطيه الأموال بدلا من قولها هـذه الأقوال فالفوا بها جوقا صالحا ٠ فلم يقبل المتعلمون على هذا الفن الذى يعد من مقدمات الأخلاق أدبيا والألسن لغويا ٠ وقد بشرونا اليـوم بأن الماليـة انصاعت لاشارة سمو الخديوى وعزمت على اعطاء مبلغ لا يقل عن ٥٠٠ جنيه ولا يزيد على ألف جنيه لتأليف جوق عربى يتولى جورج أفندى الأبيض الذى تلقى فن التمثيل على نفقة سـمو الامير فى فرنسا فنحن يسرنا هذا النبأ ولكننا لا نجد المال الموعود به كافيا ٠ فاذا لم ينتج غدا النتيجة المطلوبة يكون الذنب على الحكومة لأنهـا لم تجزل العطاء ٠ فبودنا أن تعين نظـارة المعارف جوائز للمؤلفين وأن يكون تنظيم الجوق تحت رقابتها وأن يعتمد على عنايتها ورعايتها ومساعدتها ٠ وعندنا الآن من الشبان المتعلمين ومن الكتاب القادرين على التأليف جيش عظيم قد يظهر منه النوابغ اذا تحولت عنايـة الحكومة الى خدمة الى هذا الفن الجليل ٠ وعندنا فى تاريخ العـرب والفرس والمصريين على نوع أخص كنوز للروايات الأدبية لا يفنى مهما استنزف منه ٠ بل أن هذا التاريخ ذاته اذا مثـل قطعا كان روايات لا تماثلها روايات المتأخرين ٠

ويلقى الاعلان الذى نشرته صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٤ يناير ١٩١٢ ـ (ص ٣) ضوءا على سوء المعاملة التى كانت الاجـواق المصرية تلقاها فى العقدين الاول والثانى من القرن العشرين ٠

« جوق التمثيل العصرى ـ أعلن هذا الجوق الذى يديره حضرة الاديب سليم أفندى عطا الله أنه ترك المراسح الاوروبية فى الثغـر نظرا لاستبداد أصحابها ومعاملتهم الجائرة ٠ وانتقـل الى تياترو

صالة الاعياد الوطنية ليقوم بتمثيل رواياته العصرية المفيدة • وسيمثل في مساء الغد رواية (ضحايا باريس) الشهيرة ويستمر على التمثيل أربع مرات في الاسبوع في هذا الشتاء » ••

وبالنظر لان الاجواق المصرية كانت تعيش على فتات الفرق الأجنبية فقد استبشرت صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٣ ابريل ١٩١٢ (ص٢) خيرا بفرقة جورج أبيض يحدوها الامل أن تحل هذه الفرقة في يوم من الايام محل الاجواق الاجنبية التي تستنزف أموال المصريين • كتبت صحيفة « الاهرام » في هذا الشأن تقول :

« جوق أبيض — يوالى جوق أبيض تمثيل رواياته في الأوبرا الخديوية • ويوالى الجمهور العظيم الراقي الوفود لحضور هذا التمثيل • ويعود الجميع مسرورين فرحين يبشرون ويستبشرون بمستقبل زاهر تراه يغني البلاد في المستقبل عن دفع ستة آلاف جنيه كل سنة لاعانة الجوق الافرنجي الذي يمثل في الأوبرا الخديوية •

« ولا نبلغ هذا القصد ولا يكون لنا تمثيل عربي أو شخصية فنية مستقلة الا بمساعدة الجمهور لهذا الفن حتى يستطيع القائمون به مواصلة الجد والجهد والتحسين • وحتى يستطيع الكتاب ابراز مكنونات صدورهم وأقلامهم • وحتى يكون التمثيل مدرسة عليا للأخلاق وآداب اللغة وتهذيب النفوس وغرس المبادىء الشريفة وحتى ينتقل الفن من التقليد الأفرنجي الى تمثيل الحياة العربية الشرقية الشريفة » •

كانت الأوبرا الخديوية حكرا على الفرق الأجنبية • وكان ظهور جوق مصرى على مسرح الأوبرا اجراء استثنائيا يخرج بمجرى الأحداث عن مسارها الطبيعي • ومعنى هذا أن الأجواق المصرية كانت تعيش غريبة في أوطانها فهي لا تستطيع أن تمثل على خشبة الأوبرا الخديوية الا باذن خاص من الحكومة • ويتضح لنا من الخبر التالى

المنشور بجريدة « الأهرام » بتاريخ ١٧ ابريل ١٩١٢ (ص ٢) أن الاذن الممنوح لجوق جورج أبيض بالتمثيل فى الأوبرا كان اجـــراء استثنائيا :

« جوق أبيض ـ ليلتان أخريان بالأوبرا : لم يستطع الجمهور كله رؤية تمثيل جوق أبيض فى الأوبرا الخديوية • فطلب الأكثرون منه تمثيل ليال آخر حتى يتمكن الجميع من رؤية التمثيل العربى فى طوره الجديد • فطلب أبيض من نظارة الأشـغال أن تمنحه الأوبرا ليلتين أخريين ارضاء للجمهور ، فلبيت طلبه • وصرحت له بالتمثيل ليلة الخميس ١٨ جارى وليلة السبت المقبل ففى ليلة الخميس يمثل رواية (أوديب الملك) • وفى ليلة السبت يمثل رواية (عطيل) فيكون تمثيلها ختام فصل التمثيل العربى » •

وتطلب جريدة « الأهرام » بتاريخ ١ مايو ١٩١٢ (ص ٢) من الحكومة والجمهور • ان يتضافروا معا فى مد يد العون لفرقة جورج أبيض مكافأة لها على اتقان التمثيل • تقول هذه الصحيفة فى هذا الشأن :

« جوق جورج أبيض فى الاسكندرية والأقاليم • بعد أن عرفت القاهرة جوق جورج أبيض وتمتعت بالتمثيل العربى الراقى عزم هذا الجوق على أن يزور العواصم الأخـرى ليمثل فيها رواياته •• ولا شك عندنا بأن الحكام والجمهور يمدون يد المساعدة لهذا الجوق لأنهم بمساعدته يساعدون الآداب واللغة وتعليم الشعب وتزكيـة النفوس • نقول هذا لأن نهوض الأمم الغربية كان بوسائط عديدة منها أو فى مقدمتها التمثيل •

« وسيبدأ جوق أبيض بالتمثيل فى الاسكندرية يوم الخميس ٩ مايو بتياترو الحمراء فيحيى ثلاث ليـال كما جاء فى بروغرامه •

والاسكندريون أحرص من أن يدعوا القاهرة والمدن الأخرى تسبقهم الى معاونة هذا الجوق بالاقبال عليه . ولا ندرى ما يكون شأن البلدية فى مساعدته وكلنا موقنون بأنها فاعلة » .

ومن ثم فقد استقبلت صحيفة « الأهرام » بتاريخ ١٩ نوفمبر ١٩١٢ - (ص ٢) مساعدة الحكومة لجوق جورج أبيض بتحمس ظاهر ، كما يتجلى لنا مما يلى :

« يمثل جوق أبيض فى تياترو الأزبكية فى ليالى العيد الأربع . ففى يوم الأربعاء يمثل رواية لويس الحادى عشر وفى يوم الخميس يمثل رواية الشيخ متلوف وفى يوم الجمعة يمثل رواية الساحرة . وفى يوم السبت يمثل رواية النساء العالمات وجرنجوار .

« ويسرنا أن الحكومة قد التفتت الى هذا الجوق وبالتفاتها اليه وجهت نظرها الى ترقية التمثيل العربى فدفعت له بلدية الاسكندرية مائتى جنيه اعانة والمنتظر أن تضاعف هذه الاعانة .

« وقررت الحكومة على ما بلغنا ونود أن يكون صحيحا - أن تدفع له اعانة سنوية كبيرة وأن تعطيه أحد ملاعبها وأن الجمهور يقابل عناية الحكومة بملء المسرة والارتياح » .

وكتبت صحيفة « المحروسة » بتاريخ ٢٧ فبراير ١٩١٤ (ص٤) تحت عنوان « ٧٢٥١ جنيها للتمثيل الأفرنكى ولا شىء للتمثيل العربى » تشكو من ضخامة المساعدات التى تقدمها الحكومة للفرق

الأجنبية ومن ضـآلة الاعانة التى تقدمها للفرق المصرية ٠ تقول المحروسة :

« فى الميزانية الجديدة للأوبرا الخديوية ٧٢٥١ جنيها منها أربعة آلاف جنيه للاجواق الأفرنكيـة و ٣٢٥١ مرتبـات لموظفى الأوبرا ومسـتخدميها ٠ ولما كانت المنفعة الكبرى من الأوبرا هى التمثيل الأفرنكى ، فكان ذلك المبلغ مخصص كله لهذا الأمر ولا نصيب منه للتمثيل العربى ٠ وفى مأمولنا أن يعير ولاة الأمور هـذه المسـألة التفاتا ويقسموا قسـمة عادلة بين التمثيلين ٠ وليس ذلك عـلى انصافهم بعزيز ان شاء الله » ٠

وتناولت صحيفة « المحروسة » كذلك موضوع الامتيازات التى تمنحها الحكومة للفرق الأجنبية دون الفرق المصرية فى عددها الصادر بتاريخ ١٢ مارس ١٩١٤ (ص ٤) ٠ تقول هذه الصحيفة بعنوان « الأوبرا الخديوية : التمثيل الأفرنجى أصل والتمتيل العربى فرع »:

« فرغ جوق الأوبرا الأوروبى من التمثيل فى الأوبرا وسافر رجاله الى الاسكندرية ليعودوا الى بلادهم ٠ وبعد فراغهم يجوز الآن للاجواق العربية أن تمثل فى الأوبرا لتحصل على شىء من فضلات الاجواق الأفرنجية بعد أن مر فصل التمثيل وانقضى الشـتاء ٠ وسيحيى جوق حضرة جورج أفندى أبيض ١٢ ليلة فى الأوبرا ابتدا من أواخر الشهر الجارى وجوق حضرة عبد الله أفندى عكاشة ثلاث ليال فى هذا الشهر أيضا » ٠

ونشرت صحيفة « الأهرام » بتاريخ ١٦ مارس ١٩١١ (ص١) مقالا على جانب من الأهمية بعنوان « الآداب واهمالهـا : ينفق على

الأوبرا ثمانية آلاف جنيه ويضن على التمثيل العربى بقرش واحد » .
ووجه أهمية المقال ان كاتبه يهاجم حكومة الاحتلال البريطانى فى مصر هجوما سافرا ومباشرا لأنها تعمدت فى سوء نية أن تهمل شئون المسرح المصرى فى حين أن هجوم المقالات السابقة على الاستعمار الانجليزى كان مقنعا . يقول هذا الكاتب :

« تريد منا الحكومة المصرية والاحتلال على رأسها ان تقول أنها مصلحة ، ترقى الأمة ولا تهمل شأنا من شئونها ، وتعمل لصالحها فلا تغفل أمرا من أمورها . وتود منا أن نرتل بحمدها وننشد مدحها اناء الليل وأطراف النهار ، فان رأت منا ترددا أو نقدا أو رميا بتقصير أو اهمال قال النافخون بابواق الحمد والتسبيح والشكر والثناء والمديح أنا قوم ننكر الجميل ونغمط النعمة ونعمى عن الفضل . وأن المادحين الحامدين الشاكرين هم القوم العاقلون المنصفون لأنهم يكيلون هذا المدح جزافا ويطففون كيل الثناء جودا وسخاء . فنحن قبل النقد بل قبل الرد نلقى على العالم المصرى كله هذا السؤال : أيجوز أن تنفق خزانة مصر ٨ آلاف جنيه على جوق أفرنجى يمثل بالأوبرا الخديوية ستين ليلة فلا يحضر التمثيل سوى فريق معروف مسجل اشتراكه من سنة الى أخرى ويحرم التمثيل العربى أن يعاون بقرش واحد والبلاد مصرية عربية والذين يدفعون المال هم المصريون العرب ؟! فاذا قيل لنا أن ذلك جائز وأن آداب هذه الأمة ولغتها وموسيقاها يجب أن تحرم كل مساعدة لأن ذلك هو الاصلاح الواجب ان يمدح عليه المصلحون سكتنا فقط وحسبنا أن السكون خير من الكلام . وقلنا للمادحين الهازين المطبلين المزمرين طبلوا وزمروا ما شاء التطبيل والتزمير فلا يعمى الناس عن الحقائق . ولا يمكن أن يكون الليل نهارا والنهار ليلا والحق باطلا والباطل حقا والاهمال اصلاحا والاصلاح اهمالا والخير شرا والشر خيرا » .

ثم يروى لنا كاتب « الأهرام » كيف واجهت الصحافة المصرية حكومة الاحتلال وألحت فى مطالبتها منذ عام ١٨٩٢ باعانة التمثيل العربى حتى اضطرتها فى نهاية الأمر أن تقطع على نفسها وعدا بمساعدته عندما ألف جورج أبيض جوقا على نفقته · ويذكر هذا الكاتب الحكومة بالوعد الذى أعطته للمسرح المصرى ثم شاءت الا تفى به – يقول :

« منذ أربع وعشرين سنة والصحافة العربية والرأى العام المصرى يطلب امداد فن التمثيل بقليل من المال حتى يقوى ويعيش وينمو ويصير فنا لتهذب به أخلاق الأمة وتزكى نفوسها · والمحتلون يضنون بهذا المال على هذا الفن اذ هم يعدون ولا يفون فهل من مفسر لهذا العمى · ! وهل من حال اللغز ؟ وهل من مبين لسبب هذا ؟ ·

« فى سنة ١٨٩٢ كانت لصندوق الدين السيطرة على الأموال فطلبوا منه اعانة للتمثيل العربى فاجاب الصندوق بأنه يوافق على الطلب اذا عينت له الحكومة جوقا يستحق الاعانة · فسكتت الحكومة الى سنة ٩٦ · وقال السير الدن غورست وهو ماسك يومئذ رباط كيس النقود : « ان التمثيل العربى اذا اتقن انتفع منه الافرنج كما ينتفع الوطنيون لأنهم يتعلمون بواسطته اللغة العربية من أقرب الطرق » فوافق صندوق الدين على هذا القول ، ولكن السير الدن غورست لم يجد وقتئذ جوقا يستحق الاعانة ·

« ومرت السنون وتوالت الأيام والمالية لا نجد هذا الجوق الذى يستحق الاعانة · والرأى العام المصرى يطلب المال حتى يؤلف به الجوق الراقى · وبين هذين الطلبين وقفنا لا نخطو خطوة ولا نتقدم باعا ولا ذراعا · الا أن أمير البلاد وسيدها المعظم وحفيد اسمعيل محيى آداب العربية فى الشرق ومحيى الصحافة والتأليف

والتمثيل على نوع أخص راى فى احدى ليالى التمثيل شابا متطوعا فى هذا الفن يجيـده ويتقنه • فأوفده الى أوربا على نفقته ليتلقى الفن على أربابه • فتلقى جورج أبيض هذا الفن وعاد الى مصر وألف على نفقته جوقا أعجب به الافرنج المنصفون واحتوى هـذا الجوق نفرا من المتعلمين أبناء البلاد وكلف بعض الكتاب بترجمة وتأليف الروايات ففعلوا • وجدد طلب الاعانة من الحكومة فجددت الوعد • وكتب السير هرفى مذكرة فى ذلك لاتزال حتى اليوم نائمة ضاجعة فى أضابير المالية • فلماذا ؟!

« ندفع أربعة آلاف جنيه لجوق أفرنجى يأتى من أوروبا وننفق على الأوبرا أربعة آلاف جنيـه لخدمة ذلك الجوق • ثم تأتى أجواق أخرى أوروبية تمثل فى بعض الملاعب على نفقتها فيمتدحها الناس ويقبلون عليها أكثر من امتداحهـم جوق الأوبرا الذى قال فيـه رصفاؤنا الافرنج ويقولون فيـه كل عام ما يدل على أنه لا يستحق تلك الاعانة • اما تمثيلنا العربى وممثلونا اخواننا فانهم يحرمون من نظرة ومن قطرة • وكل ما منوا عليهـم به فى العهد الأخير انه يسمح لهم بالتمثيل فى الأوبرا وقد سمحوا فى هذا العام لجوق عكاشة بثلاث ليال ولجوق أبيض باثنتى عشرة ليلة تكون فى أول الصيف وآخر الشتاء •

ويختتم كاتب « الأهرام » مقاله بمناشـدة الدولة أن تتولى رعاية مشروع اقامة معهد للموسيقى ، لأن الفنون الجميلة تحتاج فى ابرازها الى تضافر الجماعة ، ولا تجدى معها كثيرا الجهود الفردية . فيقول هذا الكاتب :

« تلك حالنا • نريد النهوض ولا نلقى سندا ونشكو ونتألم فلا نجـد راحما • واذا رفعنـا الصوت بالشكوى لا تقابـل بغير الصمم •

« ولقد كان جماعة من الكرام يؤلفون معهدا للموسيقى الأهلية فى هذه الديار واذاعوا قانونهم • ونشروا مشروعهم فوقفنا نسأل : لماذا لا تأخذ الحكومة هذا المشروع تحت رعايتها • ولماذا لا تنشطه ولا تشجعه ولا تتولى ادارته • أفليس ذلك من الاصلاح ؟!

« وفى أى بلد وفى أية حكومة متمدنة لا تتولى نظارة المعارف والعلوم ادارة التمثيل وادارة الموسيقى • فاذا عابونا بتقصيرنا كلمة ، دلونا على أمة واحدة لا تعاون حكومتها الموسيقى والتمثيل ، ولا تعينها بالأموال حتى نقول أن حكومتنا سارت فى ذلك على أثر حكومة متمدنة •

« لقد قالوا فى فن الاقتصاد أن عمل الفرد لا يتولاه الجماعة ولا الحكومات • ولكن من الأعمال ما يتطلب التكاتف والتساند والتآزر فان لم تقم به الجماعة وجب على الحكومة أن تقوم به • وهذا فن التمثيل وفن الموسيقى وفن التصوير مما يعجز الأفراد عن القيام بها وتقوم بها الحكومات • فنحن باسم هذه الأمة نكرر الطلب على الحكومة بأن تعين فن التمثيل اعانة تحييه وتحفظه وتنقيه • والأمة فى ذلك على رأينا فهى تطلب أن يعطى بنوها من مالها فلماذا هذا الضن عليها ؟! »

وتبين لنا صحيفة « المحروسة » بتاريخ ٢١ مارس ١٩١٤ (ص ١) ما تلحقه الحكومة بالاجواق العربية من ظلم واجحاف وما تعامل به الفرق الأجنبية من تدليل وتكريم • تقول «المحروسة» فى مقال منشور بعنوان « موسم التمثيل العربى » :

« ان الحكومة تظلم الاجواق العربية بأنها لا تأذن لها بالتمثيل فى الأوبرا الخديوية الا بعد انتهاء الجوق الأوربى من تمثيله •

والحجة في ذلك أن الجوق الافرنجي يجب أن يمثل فى فصل الشتاء وهو الزمن الذى يحلو فيه السهر وينفق فيـــه المال · وبعـد أن ينقضى فصل الشتاء وينفق أعيان القاهرة ما ينفقونه فى حضور التمثيل الأوروبى تأذن للتمثيل العـربى أن يتنـاول ما بقى من فضلات الوقت والمال · وقد سمعنا أيضا حجة أخرى وهى ان الجوق الأوروبى يحب أن يستلم الأوبرا فى أول فصل الشتاء لكى يراها فى منتهى الترتيب والحسن لخروجها يومئـذ من أيدى المصـلحين والدهانين والمبيضين فكان الجمهور المصرى غير جدير بعناية مثل هذه العناية · ولكن نرجو أن الحكومة تغير معاملتها للتمثيل العربى لا سيما وقد كثر مستلفتوها اليه وفى جملتنا رصفاؤنا فى الصحف الأوروبية · ولا نظن أنهـــا ستستمر فى الأعراض عن مسـاعدته مساعدة فعلية دهرا طويلا ·

« طالما سمعنا ان الحكومة ستخصص للتمثيل العـربى اعانة سـنوية (هى ربع اعانة التمثيل الأوروبى عـلى الأقل) · وطالما سمعنا ان هذه الاعانة قد قيدت فى الميزانيـة · وطالما سـمعنا أن حكامنا حفظهم الله باحياء عزائم الأخذين بهذا الفن الجميـل لاسيما أن الجناب العالى قد التفت اليه التفاتا خاصا وضحى جزءا من ماله وعنايته الخاصـــة فى هذا السـبيل · طالما سمعنا ذلك وما زلنا ننتظره · واذا كنا لا نطالب الحكومة بأن تخصص للتمثيل شـيئا الآن بسبب الشراقى (حجتها الكبرى فى هذا العام) فنرجو ان تعير التمثيل التفاتها العالى فى العام المقبل · نرجو ذلك منها باسم جميع أدباء مصر ومحبى هذا الفن الجميل ·

ويوضح لنا هذا المقال أيضـــا مقدار ما أحرزه جوق جورج أبيض وجوق عبد الله عكاشه من تقـــدم يجعلهما أهلا للمساندة والمساعدة :

« وقد علمنا عن ثقة ان الجنـــاب العـــالى الخديوى سيشرف التمثيل العربى فى هذا العام بحضوره بضع ليال من الليالى التى يمثلها جوق جورج أبيض فى الأوبرا الخديوية · فهذه فرصة ندعو فيها ولاة الأمور الى تشريف الليالى التى سيحييها جوق جورج أبيض وجوق عبد الله عكاشة فى الأوبرا لكى يروا هل أصبح التمثيل العربى جديرا بتشريفهـم أم لا · ولا شك فى أنهـم اذا حضروا شاهدوا فرح الشعب خاصتهم وعامتهم بموسم التمثيل العربى المقبل واقبالهم عليه بشوق وعناية ، ينصرفون وهم يلومون أنفسهم لأنهم أهملوا مساعدة هذا الفن الجميل الى اليوم ·

وتفيد صحيفة « المحروسة » بتاريخ ٢٦ مارس ١٩١٤ (ص٥) تحت عنوان « شــكر الأدب والأدباء للجنة الماليـــة » بأن اللجنة المالية بدأت تناقش الحكومة فى مســألة تخصيص مبلغ من المـال لاعانة الاجواق المصرية · وبالرغم من مماطلة الحكومة وتسويفهـا فى تنفيذ وعودها ، فيمكننا أن نعتبر مجرد مناقشة هذه المسألة نصرا حققه المسرح المصرى· وفيما يلى ما نشرته صحيفة «المحروسة» فى هذا الشأن :

جاء فى خاتمة التقرير الذى رفعته لجنــة المالية الى الجمعية التشريعية بعد بحثها فى الميزانية ما يلى :

« ٥٣ ــ وجـدنا فى ميزانية نظارة المالية فى بند ٨ فصل ١ مبالغ مختلفة للاعانات منها بصحيفة ٣٧ مبلغ ١٠٠ جنيه مصرى لنادى الغناء باسكندرية · ووجدنا فى ميزانيــة نظارة الأشغال فى فرع ١٢ الخاص بتياترو الأوبرا الخديوية بصحيفة ٢٧٢ مبلغ ٤٠٠ جنيه مصرى برسم اعانات · وقد سررنا بمثل هذه النفقات

التى تقوم بها الحكومة لتشجيع الفنون الجميلة غير انه يحسن مع تفكير الحكومة فى مساعدة الجوقات الافرنجية ، أن تفكر أيضا فى مساعدة التمثيل العربى مساعدة تشجع أربابه على اتقانه لما فى ذلك لأهل البلاد من الفوائد الأدبية التى لا تخفى ·

« وقد استحقت لجنة المالية ثناء الأدب والأدباء وكل عامل فى هذا الفن الجميل أو محب له لعنايتها هذه العناية العالية بالتمثيل العربى وتذكيرها الحكومة به · ووجه الأهمية فى كلام اللجنة أن هذا الموضوع أصبح بعد كلامها من المواضيع التى عرضت على الجمعية التشريعية وتباحثت الجمعية فيها ووافقت عليها » ·

ويتضح لنا من الخبر التالى الذى نشرته « المحروسة » بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩١٤ (ص ٤) بعنوان : « التمثيل العربى واعانة التمثيل » أن الحكومة أقرت من حيث المبدأ طلب لجنة المالية تخصيص اعانة فى الميزانية للمسرح العربى :

« ردت الحكومة على ما طلبته الجمعية التشريعية بلسان لجنتها المالية من اعانة التمثيل العربى بأن الحكومة مستعدة لبذل الاعانة لفن التمثيل باللغة العربية حتى تقتصد المال اللازم لهذه الاعانة بما تدفعه الآن لما يماثل هذا الفن · وفى الجواب غموض · ولكن الذى يهم فيه وعد الحكومة فنسجله بالشكر ونرجو أن نرى فى الميزانية المقبلة اعانة للتمثيل العربى سواء أخذتها الحكومة من اعانة التمثيل الأفرنجى أو من نفقات أخرى · وما أكثر النفقات التى فى وسع الحكومة الاقتصاد منها لتحويل ما تقتصده الى التمثيل العربى اذا عنيت حكومتنا بهذا الفن · ورجاؤنا ان تحقق فى العام

المقبل أمام الأدباء وأهل الفكر ومحبى هـذا الفن الجميـل لتغنم شكرهم وحمدهم » .

وتطالعنا صحيفة « الأهرام » بتاريخ ١ مايو ١٩١٤ (ص ٢) بمقال بدأه كاتبه بالثنـــاء على نشاط جوق عكاشة المسرحى فى الأسكندرية وعلى اتقانه تمثيـل رواية عربية بعنوان « نعيم بن حازم » : ـ

« مثل جوق عكاشة ثلاث روايات عصرية جديدة فى مدينة الأسكندرية فى هذه المدة ـ آخرها رواية « نعيم بن حازم * » يوم السبت الماضى ، فرأينا من تمثيله ما يدعو الى الثناء عليه . واذا كان نجاح الأجواق التمثيلية يقاس بمقدار اقبال الناس على تمثيلها قلنا أنه ينظر لهذا الجوق مستقبل كبير فى مصر اذا ظل مثابرا على العمل بالهمة التى نراها فيه الآن »

« ومن أهم مزايا جوق عكاشة أنه شديد الاهتمام باكتساب ثقة الجمهور واعجابه . ومن أمانيه أن يقال أنه جوق راق مفيد يهذب تمثيله الأخلاق ويشرح الصدور . وبذلك تراه ينفق النفقات الباهظة ليتمكن من القيام بهذه المهمة فعلا لا قولا » .

---

* الروايتان الأخريان هما (طارق بن زياد) و (القضاء والقدر) كما يتضح لنا من الاعلان التالى الذى نشرته « المحروسة » بتاريخ ٢١ مارس ١٩١٤ (ص ٥) : ـ

فى الاوبرا ـ جاء من جوق حضرة عبد الله أفندى عكاشة واخوته أنه سيمثل فى الأوبرا الخديوية ثلاث روايات جديدة الاولى (طارق بن زياد) لأحد الكتاب والثانية رواية (القضاء والقدر) لحضره خليل أفندى مطران والثالثة (نعيم بن حازم) لحضرة عبد الحليم أفندى دولاور . وابتداء التمثيل فى مساء يوم الاثنين ٢٢ جارى ـ التذاكر تطلب من ادارة الجوق عمارة دار التمثيل العربى .

« وأعضاؤه مختارون من خيرة الممثلين الوطنيين المعروفين فى القطر المصرى ومن من محبى التمثيل العربى لا يعرف أحمد فهيم وعزيز عيد ومحمد يوسف ومريم سماط وصلحة قاصين وفكتوريا موسى ؟

« حضرنا تمثيـــل رواية (نعيم بن حازم) فرأينا للقائمين بتمثيل الأدوار المهمة فيها براعة كبيرة فى تمثيل أدائهم وتحويل الأذهان بسهولة الى عصر الأمين والمأمون فى بغداد والقاء العبرة التاريخية المقصودة من الرواية مندمجة فى حادثة غرامية تلذ للناس مشاهدة أدوارها · والملابس العربية المختارة للممثلين فى الرواية مما يستلفت النظر بوجه خاص » ·

ويرى كاتب « الأهرام » أنه بالرغم مما يشوب فرقة عكاشــة من قصور فانها جديرة بالحصول على المساعدة التى طلبتها من بلدية الاسكندرية :

« ولا اقول أن تمثيل ادوارها بلغ حد الكمال والاتقان فان بين ممثلينا من لا يزال ينقصهم الدرس والممارسة لكى يكــونوا قادرين على تمثيل جميع أنواع الادوار فى الروايات المختلفة · ثم أن أسلوب الرواية عليه معول كبير فى التمثيل كما لا يخفى ·

« وانما نريد أن نقول أن حسنات جوق عكاشة كثيرة تستحق المدح والثناء وتســتوجب التعضــيد والتشــجيع وقد أعجبتنى كلمة قالتها جريدة الاجبشين غازت فى الاسبوع الماضى فى عرض الـكلام عن تمثيل الجوقة الانكليزية رواية (هندل وليكس) فى القاهرة اذ قالت ما معناه) ان هذه الجوقة الصغيرة كبير عليها تمثيل هذه الرواية · ولكنها بذلت جهدها لاتقان تمثيلها فاصابت مـن النجاح ما يدعو الى التجارز عن هفواتها ولنهنئها بعملها) ·

« ولهذه المناسبة نذكر أن جوقة عكاشة كان طلب من بلدية الاسكندرية اعانة مالية تساعده على القيام بمهمته فى هذه المدينة اسوة بالاجواق الاوروبية التى طالما اغدقت عليها البلدية نعمها . ودعا بعض رؤسائها لحضور تمثيله فاجاب الدعوة سعادة محافظ المدينة وعبد الله بك الغرياني . وقد سرا بما شاهدا وصار منتظرا أن يقرر القومسيون البلدى منح هـذا الجوق الوطنى الاعانة التى تستحقها » .

نشرت صحيفة « الأهرام » بتاريخ ١٢ يونيه ١٩١٤ « ص ١ ، ٢) بعنوان « ميزانية الحكومة المصرية » رد لجنة المالية على تصريح الحكومة الخاص باعانة المسرح المصرى والذى يستشف من بين سطوره رغبة الحكومة فى التسويف والمماطلة . وفيما يلى نص الرد الذى زجهته لجنة المالية الى الحكومة :

« التمثيل العربى ـ طلبنـا من الحكومة مسـاعدة التمثيل العربى كما تساعد الجوقات الافرنكية . والحكومة لا تريـد اجابة هذا الطلب الا اذا توفقت لاقتصاد شىء من المبالغ المدرجة الآن فى ميزانيتها لمثل هذا الخصوص .

« بهذا ترد محيطة ردها بشىء من المجاملة ورقة العبـارة مما نشكرها عليه ولكن ماذا تعنى حـلاوة المجاملة مع تأجيـل اجابة الطلب ؟

« ان الحكومة ليست بواجب عليهـا أن تمنـح ما تمنحه من الاعانات بالصفة الواردة فى ميزانيتها . بل هى بالبداهه حـرة فى ذلك إن شاءت اعطت وان شـاءت منعت . وما على المحسنين

من سبيل ولو انصفتنا لقبلت طلبنا واشركت أرباب التمثيل العربي فيما قررته لارباب التمثيل الافرنجي خصوصا ان الاولين هم أهل البلاد وهم الأولى بين الحكومة ورعايتها • فضلا عما عليه البلاد من الحاجة الى تشجيع التمثيل العربى • هـذا هو واجب الانصاف والحق احق أن يتبع » •

واخيرا استطاع المسرح المصرى بمساندة الصحافة المصرية أن يرغم المسئولين على الاستجابة لطلب اعانته بعد كفاح مرير • ولكن هذه الاعانة كانت محدودة • ومن ثم فقد كان توزيعها سببا فيما نشب بين الاجواق المختلفة من تناحر • وتتناول صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٢٦ يونية ١٩١٤ (ص٤) تحت عنوان « البلدية والتمثيـل العربى : كيف قسمت الاعانة » النزاع الذى نشـب بين جوقى عكاشة وابيض حول توزيع الاعانة بينهما • يقول « الاهرام » : ـ

« منذ عدة أيام نشرنا فى الاهرام جملة تحت العنوان المتقدم ذكرنا فيها أن بلدية الاسكندرية قررت اعطاء مبلغ ٣٠٠ جنيه اعانة للتمثيل العربى فى الثغر ارتأت صرف ثلثى المبلـغ لجوق عكاشة وثلث لجوق ابيض • وأن الثانى احتج على هذه القسمة بعريضـة قدمتها لسعادة زيور باشا محافظ المدينة ، وقـد علمنا أن سعادته حادث المأمورية البلدية فى الأمر فلم تر سبيلا للعدول عن العمـل برأى اللجنة التى ارتأت منح الاعانة بالكيفية المذكورة •

« واتفق امس ان قابلنا عزتلو عبد الله بك الغريانى أحـد عضـوى اللجنة المذكورة وفهمنا من حضرته ما يأتى فيما يختص بهذه المسألة :

« لما بحثت اللجنة فى مســألة الاعانة النقدية المخصصة للتمثيل العربى اعتبرت أن جوق جورج أفنــدى أبيض استقل فى العام الأسبق باحراز كل اعانة البلدية للتياترو العربى وقدرها ٢٠٠ جنيه ٠ وفى هذه السنة أحيا جوق عكاشة افندى تسع ليال تمثيلية فى الاسكندرية وجعل الثلاثة منها تحت رعاية البلدية ومراقبتها ٠ فلما تقرر اعطاء مبلغ ٣٠٠ جنيه لأجل التمثيل العربى من صندوق المجلس البلدى رأت اللجنة ان هــذا الجوق يستحق التشجيع والمساعدة المادية ٠ ولكنها لم تر اعطاءه كل المبلغ المخصص للتمثيل العربى كما فعلت فى العام الأسبق اذ أعطت كل المبلغ لجوق أبيض دون غيره ٠ بل قررت اعطاء مئتى جنيه وكلفته بتمثيل عشر روايات ـ أى احياء عشر ليال تمثيلية فى الاسكندرية بهذه السنة وقدمت لجوق أبيض مائة جنيه لاحياء خمس ليال بحساب ٢٠ جنيها لكل ليلة لكلا الجوقين ٠ فتكون البلدية قد ابتاعت تمثيل ١٥ ليلة بمبلغ ٣٠٠ جنيه ٠ ولم تجعل سعر ليلة أحد الجوقين أغلى من ليلة الاخر حتى لا تتهم بتحيز ٠ ولولا ان جوق أبيض أخذ كل الاعانة فى سـنة ١٩١٢ لكانت اللجنــة قررت غير ما قررته ٠ وستسحب الليالى الثلاثة التى أحياها جوق عكاشة تحت رعاية البلدية واشرافها من الليالى العشر المحسوبة عليه ٠ فيكون عليه أن يمثل لنا سبع روايات أخرى تستحق المائتى جنيه ٠ ولعل جوق أبيض متى عرف هذا البيان ـ ولابد أن يكون قد عرفه ـ يحيى لنا خمس ليــالى بالمائة جنيه المقدمة له » ٠

يتجلى لنا من المقالات التى عرضنا لها ان الصحافة المصرية فى عام ١٩١٤ أكثر من أى عام آخر شددت نكيرها على الحكومة وألحت فى مطالبتها بأن تمد يد المعونة للمسرح المصرى والرأى عندى

ان السبب فى ذلك يرجع الى أمرين رئيسين أولهما أن سحب الثورة المصرية التى كانت متفرقة فى العقد الأول من القرن العشرين اخذت تتجمع فى العقد الثانى من هذا القرن وتهدد بأن تمطر حكومة الاحتلال بوابل من هجماتها . فضلا عن ان انشـــغال بريطانيا بالاشتراك فى الحرب العالمية الأولى أو بالاستعداد لها لابد قد أعطى الصحافة المصرية فرصـــة أوســـع لتكدير صفو حكومة مصر الموالية للاستعمار .

وعلى أية حال يبدو ان ظروف الحرب العالمية الأولى قد حالت دون وصول جوق أجنبى للتمثيل فى الأوبرا . فقد اقترحت صحيفة « المحروسة » بتاريخ ٢٣ أغسطس ١٩١٤ (ص ٣) تحت عنوان « اعانة الحكومة للأجواق العربية » أن تنفق الحكومة المبالغ المتوفرة بسبب عدم مجيء جوق الأوبرا وهى ثلاثة آلاف جنيه لمساعدة الأجواق العربية . تقول « المحروسة » فى هذا الشأن : ـ

« معلوم ان الحكومة أجابت على اقتراح اقترحته لجنة المالية فى الجمعية التشريعية بشأن اعانة التمثيل العربى ، انها أى الحكومة ستغتنم أول فرصة تقتصد بها شيئا من الأموال المخصصة لمثل هذه المساعدة لصرفه الى التمثيل العربى . فهى فى هذا العام اقتصدت أربعة آلاف جنيه فهل تبر بوعدها وتخصص نصفها على الأقل باعانة التمثيل » .

وتستطرد الصحيفة باسطة الأسباب التى ينبغى أن تدفع الحكومة أن تفكر تفكيرا جادا فى مساعدة الأجواق المصرية : ـ

« قد تقول الحكومة انها فى هذا العام فى وقت ضيق وعليها الاحتياط لأمور أخرى أهم من التمثيل . وهذا صحيح . ولكن لا تنسى ان هذا الضيق قد تناول أيضا الأجواق الثلاثة الحاضرة

وهى مؤلفة من نحو ١٢٠ شخصا أو أكثر • وعلى هؤلاء الأشخاص اعالة نحو ٥٠ شــخصا من أهلهم وعيلاتهم فتفريج كربة الأجواق فى الوقت الحاضر جزء من تفريج الكربة العمومية •

« واننا برغم الضيق الحاضر نرى الأجواق العربية الثلاثة تجاهد بكل قوتها للقيام بوظيفتها وهى ستحيى ليالى العيد فى تياترو كازينو باريز وبرنتانيا وحديقة الأزبكية الجديد تفريحا لأهل العاصمة فى هذا الوقت العسير • فعسى أن تنظر اليها الحكومة فى هذا العام نظرة عطف ورعاية •

(٢) الرأى العام يطالب بانشاء معهد للتمثيل

رأينا فى الصفحات السابقة كيف طالبت الصحافة الحكومة باعانة الاجواق المصرية • وسوف نتتبع هنا الضغوط الثقيلة التى مارستها هذه الصحافة فى سبيل حمل الحكومة على انشاء معهد للتمثيل •

ترجع أول مطالبة من جانب الرأى العام المصرى بانشاء معهد للتمثيل الى عام ١٩٠١ كما يتضح لنا من المقال الذى سبق لنا ان عرضنا له فى ثنايا الحديث عن الاعانة المسرحية والذى نشرته صحيفة « المؤيد » بتاريخ ٧ أغسطس ١٩٠١ (ص ١ ، ٢) •

وبعد ذلك نشرت صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٦ أكتوبر ١٩٠٤ (ص ١ ، ٢) مقالا يدعو فيه كاتبه الى انشاء مدرسة للتمثيل • يبدأ الكاتب مقاله بالحديث عن السبات العميق الذى تغط فيه الحكومات الشرقية ونكوصها المشين عن الاقتداء بحكومات أوربا فى كل ما هو نافع وجميل مثل فن التمثيل • ثم يتناول هذا الكاتب فوائد هذا الفن الذى أصبح ضرورة من الضروريات وليس ضربا من الكماليات، فيقول : —

« ولا ينتظرن القراء منى أن اوسع لكم ههنا مجال الوصف لجمال فن التمثيل وفوائده وأنه صحيفة التاريخ وسوق الشعر ومعرض الموسيقى ومرآة الاحوال والدليل على اخلاق الأمة وكل آدابها ومشحذ كتابها وباب رزق للشاعر والناثر والطابع والممثل وغيرهم من كل ذى علاقة بهم ووسيلة لهو للناس عن نوادى اللعب

والمقامرة والسكر والتدخين والنميمة والدسيسة الى غير ذلك مما تقطع به السهرات وتقضي عليه الليالي في بلاد الشرق كلها . كلا انني .. اكتفي بالاشارة الى أن التمثيل أصبح في هذه الأيام من الحاجيات لا من الكماليات وأن أمرا صار من حاجات البلاد وضروريات الحياة لحليق بأن تتجه نحوه أقلام الكتاب وتنطلق فيه السنة الخطباء ! » .

ثم يقترح كاتب المقال انشاء معهد للتمثيل حتى لا يستأثر الطرب بخشبة المسرح ، فيقول :

« والذى أراه في هذه الحالة أن تنشىء قبل كل شيء في القطر مدرسة ولو صغيرة ليلية لتعليم فن الالقاء واللفظ والتمثيل . لأنه لم يعد يكفي أن يكون الممثل ذا صوت حسن فقط . ثم أن تتشكل جوقة قوية تستمد قوتها من ثروة شركة تنفق عليها من غير ضن ولا شح فتوجد الملابس والمناظر لكل رواية على حسب تاريخها ويعطي المؤلف أو المترجم ما يفي بتعبه ويشجعه على كتابة رواية جديدة تجيىء أبعد من الاولى اتقانا . واذا قيل أنه ليس عندنا الى الآن من المؤلفين والممثلين من يقومون بهذه المهمة الخطيرة قلت انه متى وجد المال ووجد بعد ذلك كل شيء فغني عن البيان ان الظهور على مرسح التمثيل ليس فيه عار . فاذا اتقن العمل واعطي العامل أجرة لائقة به وافية بحاجاته فان كثيرين من الادباء لا يأنفون من الاخذ بهذه الحرفة الجميلة » .

وكتب إبراهيم نجيب حمدى مقالا في صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٦ يونيو ١٩٠٨ (ص ١ ٢) يبين ما يعانيه المسرح المصرى من تخلف ويقترح انشاء مدرسة للتمثيل لاقالته من عثاره . وبالرغم من غرابة مفهومه لدور معهد التمثيل الذى يقترح أن يدرس فيه علوما مثل السياسة والرياضات ، فقد بلغ به التحمس مبلغا جعله يذهب

الى أن أنشاء معهد للتمثيل كفيل وحده بتحرر أية أمة من اسار الجهل. يقول لنا ابراهيم نجيب حمدى فى هذا الصدد :

« طلب الاهرام فى عدده (٩١٨٤) الصادر أمس تاريخه أن يبعث اليه أولو النظر فى التمثيل ما يرونه فى حالة تنشيط الممثلين وترقى التمثيل بعد ما قال رأيه فيه . وكأنه يريد أن تنهض الأمة المصرية النهضـــة التامة حيث رأى أن الجامعة قد تكفلت بالعلوم والأحزاب أخذت على عهدتهـا الشئون السياسية . وها هو دولة الأمير الاوحد يوسف بك كمال انشأ مدرسة الفنون الجميلة . وها هى مدارس الفنون الصناعية والزراعية فيها ما تم تأسيسه ومنهـا ما كاد يظهر الى عالم الوجود . ولم ينقص الأمة المصرية الآن الا فن التمثيل . نعم . ان فوائد فن التمثيل فوق ما نعدده منها . والممثل أجل انسان يجب أن نحترمه ونوقرة لأنه استاذ الاخلاق والآداب والحكمة والطبيعيات والرياضـــات وغير ذلك ولو فرضنا وكانت الحكومة مشددة كل التشديد على قتل العرفان واراد الشعب أن يصادر قوتها بصفة غير محسوسة وينشر العلوم العالية فما عليه الا أن ينشىء مدرسة للتمثيل وفيها تدرس فلســفة الأدب والتاريخ والسياسة والرياضيات . وغير ذلك مما يدخل هذا الفن الحاوى لكل العلوم والفنون » .

ويذهب هذا الكاتب الى ضرورة التزام جميع المشتغلين بالمسرح الصدق واتقان كل منهم عمله وتضافرهم جميعا لانجاح العرض المسرحى ، فيقول :

« التمثيل دنيـا أوجدها الروائى والمصور والترزى والممثل كى تكون صحيفة تاريخية ومدرســة للاخلاق وأهم أسباب الرقى التهذيبى . ولا يكون تمثيلا الا اذا كان الروائى والممثل عالمين بكل الفنون الداخلة فيه المقام عليها والمصور والترزى ماهرين جدا فى صناعتهما . ولا يكون تأثيره شديدا فى نفوس المتفرجين الا اذا كانوا

ذوى عواطف شريفة واحساس حساس • وهذا وتلك لا يوجدان الا فى تام التصور الناتج عن العرفان • فاذا انقصــت حســاسة الاحساس وكل شرف العاطفة انحطت درجة التأثير التهذيبى الى مـا للمتفرج من العاطفة والاحساس فى مشهد الحادثة الممثلة أمامه » •

ويلوم الكاتب الحكومة على سياستها الاستعمارية التى تستهدف تصفية الطابع المصرى عن طريق تشجيع التمثيل الأجنبى فيسهل عليها الترويج للمبادىء التى يعتقد أنها فاسدة مثل الاشتراكية (!!) بين المصريين :

« أما ما يدعو الناس لهجر ملاعب التمثيل العربى فهو انطباع المصريين على المدنية الحديثة وقد صاروا مجبرين على تقليد الأوروبى الناشىء من أهمال الاعتناء باللغة والحوادث العربية وتوجيه الأميال الى الحوادث واللغــات الأجنبية • وكلا هذين السببين مهم فى حد ذاته باعث الى صبغة المتفرج صبغة أوروبية • ولهذا وجه القابضون على زمام الحكومة المصرية التفــاتهم الى التمثيل الافرنكى لينطبع المصرى باقوال الممثل وحركاته على العوائد الافرنكية وفيه ما فيه من فساد المحامد العربية ونسيان شرف اجدادنا فلا يصعب عليهم أن يقودونا للاشتراكية وغيرها من المذاهبالمفسدة لاخلاقنا ويسهل عليهم وضعنا فى قيود أسرهم ولا مناص من استعبادنا • ولقد أثر ذلك فى نفوس الطبقة المتعلمة • ويدلنا على ذلك ما نقرأه الآن فى الجرائد من استشهاد المحررين والكتاب بأقوال فلاسفة الأوروبيين فى اضرار الخمر ولحم الخنزير ومشاركة المرأة للرجل وحجابها والربا وفائدة الطلاق وتعــدد الزوجات وغيره لأنهم يعتبرون أن ما يكتبــون من الاستشهاد بقول الحكماء العرب لا يقبله القراء لعدم حسن وقعه من نفوسهم •

« هذا يا سيدى هو السبب فى استجلاب الممثلين الأوروبيين وأما السبب فى عدم قبول الشيخ سلامة حجازى وأمثاله من مديرى

الاجواق المعتبرة الروايات العربية الحادثة فهو لعدم اقبال المتفرجين عليها • وعلى ذلك تضطر الاجواق لرفض كل رواية عربية • ولأن هؤلاء المديرين لم يفهموا اهمية التمثيل فى الشعب ولا يعرفون حتى منشأ الحركة الممثلة فلا يقبلون الروايات غير المترجمـــة ولو كان الروائى شكسبير عربى أو مصرى •

ويقارن ابراهيم نجيب حمدى بين جمهور المسرح الذى لا يرتاد المسارح الا بهدف الاستمتاع بالطرب ومفاتن الممثلات وبين جمهور المسارح الأجنبية الذى يتأثر بما يشاهد ويقتدى به :

« أما المترددون على التمثيل العربى فغايتهم فى وجودهم هناك لغير الموعظة فنرى هذا ميله لسماع الطرب والثانى غرضه تمتيع نظره اما فى محاسن الممثلات والمنفرجات • وأما أن يكون مرافقـا لأحد اصدقائه الموجودين هناك لغرض من الاغراض فيخرج الكل من دار التمثيل ولا فائدة أخلاقية ولا موعظة أدبية ولا ولا •• الخ •

« ولكن المتردد على ملاعب التمثيل الافرنكى وان كان من غايته ما تقدم ينتهى به التمثيل وقد اكتسب لهجته من اللغة الممثلة بها الرواية وعادة أوروبية وغير ذلك لأنه ميال الى تقليد من عرف لغتهم فى الحركات والمعاملات والعوائد وغيرها • » •

ويختتم كاتب « الاهرام » مقاله بالدعوة الى انشاء معهد للتمثيل واقتراحاته بشأن الطلبة الذين يدرسون فيه :

« هذا وانى أعضد ابتكار « الاهرام » على الأمة المصرية وأقول بوجوب توجيه الاميال فى هذه النهضة الى تأسيس مدرسة تمثيل من النابغة المصرية سواء كان ذلك باكتتاب أو يقوم بنفقتها غنى من الامراء أو الاعيان كما فعل دولة الامير يوسف بك كمال • وبفكرى أن لا يقبل في هذه المدرسة الا من كان عمره لا يتجاوز العشرين

عاما شرطا ان يكون حاملا للشهادة الثانوية لاهمية هذا الفن · وان لم يوجد منهم من يرغب في الالتحاق بها فليكن ممن بيدهم شهادة الاهلية · وان تعذر لحاملي الشهادة الابتدائية فما دون ذلك · ولا يقبل الا اذا كان للمدرسة قسم تحضيرى ينتهى بالشهادة الابتدائية »

وكتب لويس أسمر المحامى مقالا بعنوان « التمثيل العربى » فى صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٠٨ (ص ٢) يتناول فيه المهانة الاجتماعية التى يعامل بها الممثل المصرى · وهى مهانة تذكرنا باحتقار الرومان للممثلين فى حين أنها تتنافى مع تكريم الاغريق لهم · يقول لويس اسمر فى هذا الصدد :

« يقول البعض التمثيل عار ـ ويقول الآخرون هو شيء متخطى الاخلاق · ان هذه الافكار لا تزال سائدة فى بلادنا الشرقية · فنحن نزدرى الممثل ولا نعرف له مقاما لاننا لا نرى احيانا من الممثلين الا سفلة القوم الذين هم أحق بلقب المهرجين منهم بلقب الممثلين ·· ولعمرى لا عجب من ذلك · فكل الشعوب القديمة ما عدا اليونان كانت تنظر الى الممثل فى أول نشأتها كالى رجل ساقط الشرف خسيس النفس · واذا تصفحنا التاريخ نرى أن الرومان توصلوا الى درجة قصوى من احتقار الممثلين فكان الممثل يخسر حقوقه المدنية ويصبح بمصاف العبيد بل كان يطرد من قومه ويحرم حق الانتخاب فى الاجتماعات العمومية ولا يتجاسر رجل من الاشراف أن يزوره أو أن يتخذه صاحبا · اما اليونان فانهم بالعكس كانوا يحترمونه كل الاحترام ويتفاخرون به ويؤهلونه للمناصب العالية حتى ان الاثينيين لم يترددوا ثانية فى انتداب اريستدوم الممثل الشهير سفيرا لهم لدى فيلبوس ملك مقدونيا · وأسباب ذلك هى ان التمثيل فى بلاد اليونان قام به رجال احرار من اشراف القوم فرفعوا مقامه وبينوا

للشعب فوائده الجمة في روايات ادبية تهذب الاخلاق وتبث في النفوس روح الوطنية والشهامة • أما في رومية فأبتدأ أصاغر القوم بتمثيل روايات عارية من كل المعاني السامية والآداب الطاهرة • فمن هنا يظهر لكل عين بصيرة أن هذا الاحتقار كان لشخص الممثل لا لفنه الذي هو ممثل بقية الفنون الشريفة • فكما أقول لله در فريد من محام بارع ولله در عمرو من مصور حاذق يصح لي أن أقول أيضا لله در بكر من ممثل يفتخر به الزمان • هذه هي اسباب الاحتقار التي نراها متسلطة على عقول الناس عندنا • فالتمثيل في بلادنا ابتدأ به أناس أحطوا من مقامه واتخذوه واسطة لربح بعض دريهمات يسلبونها من الحاضرين • اما في المرسح أو في خارج المرسح • مضت السنون وهذه الافكار لم تزل متأصلة في نفوس الاكثرين منا ولا من يبين خطأنا أو يهدينا الى منافع التمثيل الحقيقية » •

ويشير اسمر الى التناقض بين قدرة الشيخ سلامة حجازي الفائقة على الطرب وبين عدم اتقانه فن التمثيل ذاته ، بقوله :

« قام الشيخ سلامة حجازي وقعد عندما رأى هذا التقهقر فله منا ألف شـكر على الهمة التي أظهرها في تشـييد مرسـح عربي تسارعنا كلنا لسماع صوته الرائق الشجي ونغمته الساحرة وتفننه الغريب • ولكن يا للأسف نرى بين تمثيله وغنائه بونا عظيما ولا نزال كذلك حتى زهقت نفوسنا من هذه الحالة السيئة وعدم وجود ممثلين نعتمد عليهم ونفتخر بهم ويلذنا سماعهم •• » •

وبعد أن يقارن أسمر بين انفضاض الشباب المثقف في مصر عن التمثيل بسبب احتقار المجتمع له وبين تكريم ملوك أوروبا للبارزين في هذا الفن الجميل ، يقترح هذا الكاتب ارسال بعثات من الشباب المصري المتعلم الى أوروبا لدراسة أصول هذا الفن حتى يتمكن بعد عودته الى أرض الوطن من انشاء معهد مسرحي لا يكون التدريس فيه الا باللغة العربية • يقول الكاتب في هذا الشأن :

« ذكرت كيف أن فينا الكفاءة لبلوغ أمانينا • وكيف أن الوصول اليها لا يتطلب مدة طويلة • فما علينا سوى أن نطلب من أولى الامر ان يحققوا رغبتنا ويرسلوا الى أوربا من الشبان الأدباء من فيهم الاستعداد اللازم الذى نوهنا عنه على نفقة الحكومة ليتلقنوا قواعد التمثيل ونطلب خصوصا انشاء مجمع تمثيلى فى مصر يترأسه اساتذة أجانب فى بادىء الأمر يهدون من يدعون التمثيل ويمارسونه الى الطريقة الحقيقية ويحكمون باهلية من يحق له الدخول اليه كما هو جار الآن فى أوربا • فقواعد التمثيل أن كانت بالافرنسية أو بالعربية أو بالتركية هى نفسها • ولا حاجة لبيان ذلك •• وهكذا لا تمضى بضع سنوات حتى نرى من نبغ ممن دخلوا الى هذا المجمع أو من الذين رجعوا من أوربا فيتولون رئاسته ويصبح مجمعا عربيا لا تعطى فيه دروس الا باللغة العربية • هذا هو أهم أمر يجب اجراؤه فى بادىء الأمر اذا كنا نود تقدما عاجلا • نعم ان ذلك يقتضى مصاريف جمة ربما تخيف من يريد الاقدام على هذا العمل • لكن اين ذلك من الفوائد الجمة التى تكتسبها البلاد • أين هى من تهذيب أخلاق أبناء مصر ورفع أعينهم الى نـور • فمن يرى منهـم روح التقدم والتمدن فكفاهم ما يقال عن تأخرهم فى العلوم والترقى واتهامهم بانهم ليسوا أهلا بأن يعاملوا نظير غيرهم من الشعوب المتمدنة • وفيهم من الكتبة والشعراء والنوابغ لهؤلاء لا يتأخرون قط عندما تأتى الساعة المناسبة عن تاليف روايات يكون موضوعها عوائد اخوتهم ومغزاها نزع كل هذه الأفكار القـديمة المتسلطة على عقولهم • فكلما تقـدم شعب فى الحضـارة والمدنية كلما أصبح أهلا لطلب كل جوق من الذين حجزوا عليها وارغامهم على ارجاعها مثال الشعب العثمانى الذى نال حريته وأظهر أنه أصبح قادرا أن يقوم بعبء ما تتطلبه منه هذه الكلمات المقدسة (الحرية ـ الاخاء ـ المساواة) •

ويعرض لويس أسمر لمشكلة من أعقد المشاكل التى واجهت الفكر

المصرى وهى مشكلة عدم السماح للمرأة المسلمة بالظهور على خشبة المسرح يرى أن هذه المشكلة فى سبيلها الى الحل لأن التحرر الذى أصابته الدولة العثمانية سـوف تنتقل عدواه الى بقية الشعوب • ومن مظـاهر تحرر العثمانيين أنهم بدأوا يســمحون للمرأة المسلمة بالظهور على خشبة المسرح • يقول اسمر فى هذا الشأن :

« كل العقبات الناشئة عن ظهور المرأة المسلمة على مراسحنا ستهون رويدا رويدا • وخصوصا فى هذه الأيام نرى حركة قوية بين اخواننا العثمانيين الاحرار قائمة لتحرير المرأة وجعلها فى مصـاف غيرها من بقية الشعوب والأمل وطيد فان الدفاع عن حقوقها يؤول الى ما به تقـدمها فى المدنية وتقـدم البلاد • أما الآن فان اخوتها المسيحيات والاسرائيليات يقدرن أن يقمن مقامها حتى يأتى وقت يتعانقن على مراسحنا العربية » •

ونشرت صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٧ ديسمبر ١٩٠٨ (ص ٣) بيانا بتوقيع عبد الحميد فريد عن انشاء جمعية التمثيل الوطنى يكون بين أهدافها أقامة مدرسة للفقراء واليتامى يتعلمون فيها اصـــول الفن المسرحى • وفيما يلى نص هذا البيان :

« جمعية التمثيل الوطنى ـ رأينا من الضروريات تشكيل جمعية من الشبان المتعلمين ومن الطبقة الراقية لترقى فن التمثيل الروايات الوطنية المحضة وتخصيص جزء من الايراد لانشاء مدرسة لتعليم اليتامى والفقراء وخصوصا هذا الفن • ولقد اتخذنا محلا للجمعية بعابدين ش المذبح نمرة ٣١ • فالشبان الذين يرون فى أنفسهم مقدرة وحرية وميلا لهذا العمل الجليل فليوافونا باسمائهم • ونرجو حضرات الادباء وذوى الاقلام السيالة أن يعضدونا برواياتهم التمثيلية العصرية ولهم الفضل » •

ولم تكد الحكومة العثمانية تعلن عزمها على انشاء معهد للتمثيل حتى طالعتنا صحيفة « المحروسة » بمقال تحت عنوان « التمثيل والمراسح ما فعلته الحكومة العثمانية بينما الحكومة المصرية مازالت تستشير نفسها » بتاريخ ١٨ يونية ١٩١٤ (ص ٤) يقارن فيه كاتبه بين همة الحكومة العثمانية فى الاخذ بيد فن التمثيل وتقاعس الحكومة المصرية فى مؤازرة هذا الفن · تقول « المحروسة » :

« رضيت ولاية الآستانة ومجلسها البلدى بالشروط التى اشترطها المسيو انتوان الممثل المشهور الذى كان مديرا لمرسح الاوديون فى باريز ليفد على الاستانة وينشيء فيها مدرسة التمثيل التى تريد الحكومة العثمانية انشاءها (كونسرفتوار) وستكون هذه المدرسة التمثيلية جامعة لتعليم التمثيل والموسيقى معا · وقد بعث محافظ الآستانة بواسطة سفارة فرنسا الى المسيو انتوان صورة الاتفاق عليها ويحضر بنفسه للشروع فى العمل · وهو سيقيم فى الآستانة من ٢٥ يونية الى ٢٥ سبتمبر فيؤسس الكونسرفتوار فى اثناء هذه المدة · ويعطى مكافأة قدرها ١٢٠٠ فرنك فى كل شهر فضلا عن نفقات أقامته فى الآستانة ·

« وقد وعد المسيو انتوان بأن يفد على الآستانة فى كل عام لافتقاد المدرسة التى سيؤسسها · هذا ما تفعله الحكومة العثمانية للتمثيل والمراسح · وأما حكومتنا فانها مازالت حتى الآن تستشير نفسها ، هل تدفع اعانة للتمثيل أم لا تدفع سامحها الله » ·

وبعد أن وجهت صحيفة « المحروسة » اللوم للحكومة المصرية لتقصيرها فى حق المسرح المصرى وعايرتها بالحكومة العثمانية التى قررت استقدام الخبير الفرنسى المسيو انتوان لاعلاء شأن المسرح والموسيقى التركية ، نراها تعود فى اليوم التالى بتاريخ ١٩ يونيو ١٩١٤ (ص ١) الى نفس الموضوع على نحو مفصل فى مقال بتوقيع ف·أ· يحمل عنوان : « اعانة التمثيل والمراسح والموسيقى : ما

فعلته الحكومة العثمانية بينما الحكومة المصريه ما زالت تستشير نفسها • « وتشير هذه الصحيفة في مقالها التاني الى تدوين اربع لجان بهدف ترقية التمثيل العثماني قائلة :

« هل تغار الحكومة المصرية من الحكومة العثمانية بعد الاخبار التي ترويها هنا عن عناية الحكومة العثمانية باحياء الآداب التركية وانشاء المراسح ومساعدة التمثيل ؟ لا ندرى الجواب عن هذا السؤال• ومع ذلك فعلى كل امرىء أن يقضى الغرض الذى عليه • ونحن نروى للحكومة اخبار تلك النهضة الأدبية الاجتماعية الجديدة التي أبتدأت في الاستانة • ونقلتها الينا صحفها الواردة أمس وأول أمس •

« اللجان الاربع للتأسيس برئاسة المسيو انتوان المشهور قررت الحكومة العثمانية انشاء كونسرفتوار رسمى (مدرسة للتمثيل والموسيقى) وتأليف جوق للتمثيل ادارته في قبضة الحكومة وهى تنفق عليه وعلى الكونسرفتوار من ميزانية خصوصية جعلتها له •

« وقد اتفقت مع المسيو انتوان وهو من أشهر مديرى المراسح في باريز • وكان منذ حين مدير مرسح الاوديون • وهو ثالث مرسح في باريز بعد الاوبرا والكوميدى فرانسيز • وسيشرع المسيو انتوان في تأسيس الكونسرفتوار العثماني في ١٥ الجارى وينتهى من التاسيس في ٢٥ سبتمبر • وسيكون الكونسرفتوار والجوق بادارة محافظ الآستانة ومجلسها البلدى • وقد الفت الآن اربع لجان للشروع في العمل :

١ ـ اللجنة الأولى موكلة بانشاء مدرسة التمثيل واختيار من لهم استعداد خاص لهذا الفن من الطلبة والطالبات الذين يريدون دخول التمثيل •

٢ ـ اللجنة الثانية للعناية بالشئون الموسيقية الشرقية وتدوينها وتهذيبها وتعليم الموسيقى الاوروبية للحاجة اليها في الروايات التلحينية التى يجب وضعها (الاوبرا) •

٣ ـ اللجنة الثالثة تكون وظيفتها تأليف جوق جديد · ويجب أن يختار الممثلون من طلبة المدارس الاكثر استعدادا للتمثيل ممن تتوفر لديهم شروط حسن الالقاء وعذوبة اللفظ ومرونة الصوت ورشاقة الحركات · فضلا عن معارفهم الادبية التى تساعدهم على النبوغ فى هذا الفن ·

(٤) اللجنة الرابعة موكلة باختيار الروايات التى يجب تمثيلها (وهذا هو الاعتراض الوحيد الذى يتوجه على هذا المشروع · فان جعل اختيار الروايات التمثيلية فى يد لجنة موظفة من قبل الحكومة أمر قد يؤدى الى خمول المراسح وقتل الفن لأن الفن لا يحيى وينمو ويؤدى الى الغرض المقصود الا بالحرية) · هذا وقد تقرر ان رؤساء اللجان الاربع يجتمعون برئاسة المسيو انتوان المدير العام · ويكون مجلسهم مجلس ادارة للمشروع كله ·

ويتناول كاتب « المحروسة » تحت عنوان فرعى هو « مسألة الممثلات » موضوع ظهور المرأة المسلمة على المسرح فيقول :

« ولا يخفى أن من أكبر العقبات فى سبيل التمثيل فى الشرق عقبة الممثلات لعدم بروز النساء المسلمات على المراسح · ولذلك كان جميع الممثلات التركيات من النساء الأرمنيات · الا أن لهجة أهل الاستانة فى الكلام لهجة خاصة · واللفظ باللغة التركية لا يستقيم الا لأهل اللغة نفسها · ولذلك عزمت محافظة الآستانة على أن ترسل الى قبائل نازلة قرب سريس وحلب وتجلب بعض بناتها وتعلمهن فن التمثيل : فانه من المشهور أن نطق هذه القبائل باللغة التركية نطق صحيح · وهم يأذنون لبناتهم بالسفور · ولكن لما كان ينمو فى التمثيل أمر مرتبط كل الارتباط بالرقى الاجتماعى فربما أمكن الوصول الى حل مسألة الممثلات من غير السفر الى سريس أو حلب » ·

ويعرض هذا الكاتب لنشأة المسرح التركى وتطوره قائلا :

« ولما ذكرته تلك الرصيفة أيضا (أن أول مرسح تركى انما نشىء فى كديك باشا فى ستمبول فى عهد السلطان عبد العزيز . وكانت الآستانة قبل ذلك لا تعرف الا مراسح اركوز وما أشبهها . وكانت الروايات الاولى التى مثلت فى هذا المرسح مترجمة من اللغة الفرنسية أو مؤلفة بأقلام أدباء ذلك العصر نامق وسامى بك وفراشرى وغيرهم . وكان الأرمن هم الذين يمثلون فن التمثيل فى تركيا ثم تلاهم الاتراك تدريجيا . واشهر ممثلى الارمن اليوم مانوك أفندى الذى مثل دور العلمدار مصطفى باشا تمثيلا أخذ بالالباب .

« ثم قالت ان وقوف نمو التمثيل التركى كان ناشئا عن اعتماد المراسح التركية أخيرا على الروايات المترجمة التى لا تنطبق على روح الجمهور وهواه . ولا يحيى هذا الفن ويحمس الجمهور له الا الروايات التى توضع عن تاريخه وعاداته واخلاقه وهذا أمر بديهى فى كل مكان » .

ويختتم ف.أ. مقاله بالمقارنة بين اهتمام الحكومة العثمانية الشديد بفن التمثيل واهمال الحكومة المصرية الشائن لهذا الفن . فضلا عن أنه يسخر من الحكومة المصرية التى أدرجت فى ميزانيتها كل عام أربعة آلاف جنيه تنفقها على الفرق الأجنبية فى حين أنها تحرم الفرق المصرية من أية مساعدة .

ونشرت صحيفة « الشعب » بتاريخ ٢٢ يونيه ١٩١٤ (ص ٢) مقالا بتوقيع كسرى تحت عنوان « مدرسة التمثيل العثمانى » ينحى فيه كاتبه باللوم على الحكومة لترددها فى تقديم العون لجوقى

عكاشة وابيض • فضلا عن أنه يطالب الحكومة بأن تأخذ بيد هذا الفن الجميل على مستوى الأمة بأسرها وأن تنشىء مدرسة يتلقى الطالب فيها أصول هذا الفن اسوة بالمدرسة التي أزمع العثمانيون أن يقيموها في بلادهم •

يقارن كاتب المقال بين عناية الحكومة التركية بالمسرح واهمال الحكومة المصرية له ، فيقول :

« ونحن لا نعجب من تقدير الحكومة العثمانية انشاء معهد للتمثيل كالمعهد المعروف في فرنسا والكونسرفتوار الذي يقضي على طالب التمثيل بأن يقضي خمس سنوات على الاقل حتى ينال دبلوم التمثيل ويجوز له أن يمتل بعد ذلك • وانما نعجب لحكومتنا المصرية اذ هي لا تزال مترددة في منح اعانة للجوقين الوحيدين في مصر تساعدهما بها على الابقاء على حياة التمثيل وهي مجمع الفنون » •

وبعد أن يشيد الكاتب باريحية الأمير المحسن كمال باشا يوسف الذي طوق المسرح المصري بأفضاله ، نراه يطالب الحكومة المصرية بأن تمد يد المساعدة للتمثيل العربي بوجه عام دون أن تقصر مساعدتها على جوقي أبيض وعكاشة ويقترح عليها أن تقوم بانشاء معهد للتمثيل • يقول هذا الكاتب :

« اني لا أرى الحكومة اذا جادت بشيء من المال ولو بفرط سخاء فقد فعلت كل ما ينتظر من حكومة شعب يريد أن يستفيد مدنيته او يبنيها من جديد • فان قصور الامر على مساعدة مديري الجوقين وحدهما ليس كافيا للأخذ بيد التمثيل • انا نريد أن تكو ن المساعدة عامة لا خاصة • نريد ان تكون للأمة لا للأفراد • نريد أن يرى الشعب من ابنائه من الممثلين من يكونون قد أعدوا أنفسهم للفن كما يعد

الطالب نفسه للمحاماة أو للطب · نريد أن يكون للموسيقى والنقش والتصوير وفنون الادب وهى بعض اركان التمثيل معهدا يتلقى فيه الطالبون ما يفضى للنبوغ فى هذاالفن الجميل » ·

وتعطينا صحيفة المؤيد « بتاريخ ٨ يولية ١٩١٤ (ص ٦) تحت عنوان « الغاية بالتمثيل العربى » دليلا على مدى الاهمـــال الذى يتعرض له رواد المسرح المصرى الاوائل أمثال الشيخ سلامة حجازى· يقول « المؤيد » :

« الظاهر أن العناية بالتمثيل العربى فى جميع البلاد الشرقيــة أفضل منها فى مصر · فبالأمس قررت الحكومة العثمانية انشاء معهد علمى للتمثيل (كونسرفتوار) · واليم جاءنا من تونس أن سمو الباى انعم على حضرة الشيخ سلامه حجازى الممثل المصرى الشهير بالوسام الثانى من درجة اوفيسيه · وهو الذى قضى حياته فى مصر فلم ينل من الحكومة أدنى مساعدة مادية أو أقل وسام » ·

ويجدر بنا فى هذه المناسبة أن نذكر أن صحيفة « المحروسة » نشرت بتاريخ ٨ يوليو ١٩١٤ (ص ١) تحت عنوان « الشيخ سلامة حجازى واكرام باى تونس له ولجوقه » رسالة بعث بها ذلك المطرب والممثل المصرى المعروف اثناء وجوده فى تونس الى احد اصدقائه فى مصر · وفيما يلى نص هذه الرسالة بعد تقديم الصحيفة لها :

« بعث الينا حضرة صاحب الفاضل جورجى آفندى غرزوزى صاحب مطبعة ومكتبة غرزوزى فى الاسكندرية بالكتاب التالى الذى

ورد على حضرته من الاستاذ الشيخ سلامة حجازى الذى سافر بجوقه الى تونس ولقى من رعاية سمو الباى والاقبال العظيم على جوقه ما يوجب الارتياح لتنشيط فن التمثيل من أمراء الشرق وملوكه ٠ وهذا نص الكتاب :

« عزيزى الفاضل : أهدى اليك أشواقي وتحياتي وبعد فقد كنت اود ان اكتب اليك من مدة ٠ ولكن حال دون ذلك انشغالنا المتواصل ٠ أما الآن فقد أتاحت لى الفرص أن أخط هذه السطور لاعلمك بما لقيته من اعيان وافاضل وأدباء تونس حفظهم الله ٠ ففضلا عن اقبالهم المتواصل لحضور ليالى التمثيل كانوا يترددون لزيارتى فى محل اقامتى فى مرسح التمثيل ٠ وهم على جانب عظيم من العلم والأدب وكرم الاخلاق ٠ ولهم ميل شديد لفن التمثيل ٠ وكل الليالى التى احييناها فى تونس كانت زاهية زاهرة والاعجاب بها آخذ حده ٠ ومع كثرة الازدحام كان الاصغاء تاما ٠ وبالاجمال فان ما شاهدته من كرم أخلاق التونسيين وآدابهم وحسن مجاملتهم وما اتصفوا به من حميد الخصال يضيق عن ذكره المجال ويعجز عن وصفه اللسان ٠

« اما عن سيدى ومولاى باى تونس المفخم فحدث ولا حرج فهذا الملك العظيم أظهر عطفه وحنوه نحوى كأنه الأب الحنون الشفوق وذلك عند تشرفى بزيارته الزيارة الاولى فى قصره الملوكى ٠ وكيفية المقابلة أنه عندما دخلت عليه ابتدرنى قبل أن أفوه بكلمة قائلا (شفاك الله ايها الشيخ وان شاء الله يكون رجوعك من عندنا وأنت فى صحتك الكاملة وترجع مثلما كنت) ٠ وبعد ذلك جاوبت أنا بكلام يليق بمقامه ودعيت لمقامه السامى ولانجاله الكرام ٠ أما هذه الزيارة فكانت شبه رسمية تقريبا حيث كان فى حضرته جميع الوزراء وحاشيته بأكملها ٠ وبعد تناول المرطبات انصرفنا من لدنه شاكرين ممنونين داعين له بطول العمر والبقاء » ٠

« وفي مساء يوم الأحد ٢١ الجاري قدمنا في قصره وفي مرسحه الخاص روايه صلاح الدين حيث دعى لحضور الرواية المذكورة عموم الحكام والوزراء والاعيان وفي مقدمتهم الحاكم الفرنسوي وقرينته. وقد أظهروا اعجابهم مما رآوه من حسن التمثيل . والحق يقال ان التمثيل في ذلك المساء كان حسنا للغاية . والذي زاده رونقا الوقار الذي كان شاملا ذلك الاحتفال . وفي نهاية الرواية دعاني جلالة الباي أنا وحسين أفندي حسني وعلي أفندي يوسف الى صيوانه الخاص الذي كان منصوبا في ردهة المرسح وقلدني النيشان الثاني من درجة أوفيسيه . والى حسين افندي وعلى افندي يوسف النيشان الرابع ثم صعد الى قصره . وانصرف الجمع . ونحن جميعا دخلنا بعد ذلك الى قاعة الطعام التي أعدت لنا خصيصا في ذلك المساء والذي كان فيها ما لذ وطـاب . وبعـد نهـاية الطعام أمر باعداد أتوبيسه الخاص كي ينقلني الى تونس . أما باقي الجوق فقد نام في السراى الى الصـباح . وفي يـوم الاثنين ٢٢ الجاري سافرنا من تونس الى القيروان حيث موجودين الآن . وقد ابتدأنا بتقديم أول رواية وان شاء الله تعالى ستقوم منها يوم الجمعة أى بعد غد الى مدينة (سوسة) وبعدها الى (سفاكس) .

سلامه حجازي

القيروان ٢٤ يونيه ١٩١٤

ونشرت صحيفة « المحروسة » بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩١٤ (ص١) مقالا كتبه علي عنايت . وفيه يقترح إنشاء مدرسة للتمثيل تكون صـغيرة بادىء الأمر ثم تكبر وتتسـع بمضي الأيام . تقـول « المحروسة » :

وحان الوقت للاهتمام بالتمثيل اهتمامنا بغيره · لا ادرى ما الذى أخرجنا حتى اليوم عن النظرة فى انشاء مدرسة لتدريسه · لا أقصد أن ينشىء مدرسة عظيمة · بل اقترح انشاء مدرسة بسيطة توسع شيئا فشيئا · شاعت اشاعات كثيرة على اثر وصول الأستاذ أبيض أفندى الى القطر المصرى عن عزمه على انشاء مدرسة · غير أن الايام توالت دون أن ينفذ العزم · مرت أعوام دون أن يفعل · فلماذا لا تهتم الأمة بالأمر · اذا كان قد غاب عنه أن يعرض عليها عزمه ويطلب اليها أن تفتح اكتتابا يجمع فيه المال الكافىء : فلماذا لم يفعل افرادها الذين يعرفون قيمة الفن الجميل ويقدرونه حق قدره ؟ اليس ذلك أفضل من افتتاحها فى بعض الاحيان اكتتابات لمشاريع لا تعد شيئا بجانب هذا المشروع بل ولا تفيد ؟

هـذا ومتى جمـع المـال ولا ضرورة لبنـاء محـل خاص فى مبدأ الأمر بل يكفى اسـتئجار محل لتـدريس الفن الجميل به حتى اذا وجد المال الكافى لبناء محل أخذ فى بنائه ويناط بحضرة الأستاذ أبيض أفندى بادارة المدرسة بعد انتقاء من يصلح للتدريس بها من الممثلين الغربيين » ·

ولا يرى على عنايت فى قلة المال عائقا يحول دون انشاء مثـل هذه المدرسة البسيطة اذ أن حصيلة التبرعات تكفى لتغطية مصروفاتها فى الشهور الاولى · ولكن قلة اقبال الناس على هذه المدرسة يشكل عائقا حقيقيا يعترض سبيلها · ومن ثم فانه يقترح تحبيب المصريين فى التمثيل كما يقترح ضرورة تخصيص قسم بهذه المدرسة لتخريج الممثلات المتعلمات · يقول على عنايت :

« ولهذا أرى أن يشرع فى تحبيب المصريين فيه بعد أظهار فوائده تفصيلا بطرق النشر والخطابة فى كل زمان ومكان · وذلك فى نفس الوقت الذى يبدأ فيه بالنظر فى جمع التبرعات ·

« ولهذا يوجد عندنا أبرع الممثلين والممثلات الذين درسوا الفن وفروعه • اذ يجب أن يكون بالمدرسة قسم للنساء ومع الأيام لا يبقى أدنى احتياج لجهلاء الممثلين والممثلات •

ويرى على عنايت ضرورة انصراف المترجمين والمؤلفين المسرحيين الى تعريب وتأليف الروايات ذات الطابع الاخلاقي التى تبشر بالفضيلة وتنهى عن الرذيلة :

« ثم يجب على المعـــربين والمؤلفين اذا عربوا الا يعـــربوا الا الروايات التى تمثل البشر كمـــا هم أعنى بنقائصـــهم ومعائبهم ومخازيهم • الروايات المحللة فيها اخلاق بنى الانســـان وقلوبهم تحليلا •• التى تنزل بالناس الى ملعب الحياة الواسع الذى يمثلون فيه ادوارهم بدون خوف • الروايات التى تظهر عواقب الرذائل الوخيمة ونتائج الفضائل الحسنة فتكون كالمرائى يرى فيهـــا المشاهد عيوبه فتشمئز منها نفسه • ويميل الى الاصلاح ويبصر فعلا السبل الواجب عليه طرقها ليدرك المبتغى •واذا ما وضعوا لا يضعون الا الروايات العصرية التى تمثل المحاسن والقبائح وتظهر نتيجـــة الانغماس فى تلك وعاقبة التحلى بهذه •• الروايات التى تعرض بكل قابل للانتقاد فى أحوالنا وعوائدنا التى لا ينطبق أكثرها على المدنية الحديثة لتصلح تلك الأحوال والعوائد •

ومما يثير الدهشة والاستغراب أن الحكومة التى كانت تتهرب من تقديم اعانة للمسرح المصرى ومن انشاء معهد للتمثيل بادرت برعاية الموسيقى والغناء الشرقى • فقد استجابت الحكومة للرأى العـــام وانشأت معهد لدراسة الغنـــاء والموسيقى الشرقية رغم انه

الحاح المصريين على انشاء معهد التمثيل كان يفوق حرصهم على انشاء المعهد الآخر • ولست أجد تفسيرا لهذا سوى أن السلطة الحاكمة الاستعمارية رأت فى انشاء معهد للتمثيل تهديدا مباشرا يزعزع اركانها ، فى حين أن انشاء معهد للموسيقى والغناء أمر لا ينذر بالشر •

ويتناول صادق رستم موضوع انشاء معهد الموسيقى فى صحيفة « المحروسة » بتاريخ ٨ ابريل ١٩١٤ (ص ٥) مشيرا الى انحطاط الغناء والموسيقى الشرقية وضرورة العمل على انتشالها من وهدتها يقول هذا الكاتب :

« جاء انشاء المعهد الموسيقى الوطنى فى وقته فمن يراقب الآن حال المغنيين الحاليين وضعف لحون الادوار الحالية والتفاهة فى معانيها ويقارنها بعهد سالم وعثمان وعبده يدرك مقدار الانحطاط الذى وصلنا اليه فى الموسيقى ولا بدع • ففن يقوم على التجديد فيه شيخ يسرع فى وضع (لدور) من تافه الالفاظ والمعانى المتصيدة من هنا ومن هناك ليأكل ومغن يسرع فى (تلحينه) ليبيعه لزملائه أو ينتفع به هو لا يقال ان فى الجديد منه خيرا أبدا • وكأن بالأمة وقد شعرت بهذا الانحطاط المعيب وادركت غثاثة الغناء الحالى فأصبحت الاسرة منها اذا اعرست وجاءت بالمغنى سامته الخسف فى (المقاولة) واقنعته ولو مرغما بعشرة جنيهات أو عشرين على الاكثر بعد ان كان أمثال سالم وعثمان وعبده يأخذ فى زمانه مائة ومائة وخمسين جنيها فى الليلة ويده مقبلة وماء وجهه مصون •

« أقول هذا وأظن أنه لا يوجد واحد يطالبنى على هذا القول بدليل أو شبهة • فجميع اخواننا الوطنيين يعلمون تمام العلم بصحة ما قلته • ولكن لم يبحث احد على ما اظن فى تلافى انحطاط مغنينا بواسطة المعهد الموسيقى الذى أنشىء حديثا ولم يفكر المعهد فى

الاشتغال بشأن المغنين الحاليين والعمل على اقنـــاعهم بالتعليم فيه .

« رأيت في برنامج المعهد أنه انشيء لترقية الموسيقى بواسطة تعليم اعضائه وكل مشترك فيه . ولكن قيمة الاشتراك التي قررها في السنة عسيرة على بعض المغنين ومنهم من يذهب به الكبر أو قل شيء من الغرور فيصده عن غشيان المعهد ليتعلم فما هي الوسيلة في اقناع امثال هؤلاء بضرورة التنقي والتحصيل ومعاونتهم .

« سيخرج لنا المعهد بعد قليل شـــبانا من الطبقتين العليا والوسطى اساتذة في فن الغناء . ولكنه لا يخرج لنا مغنيين يغنون على العامة بالاجر ويرفعون من مستوى الذوق الفني في الجماهير التي افسدتها الموسيقى الحالية . فالى هذه النقطة نلفت نظـــر حضرات مديري المعهد ونؤمل أن تحل محلها من العناية لأننا أحوج الى المغنيين منا الى (الغواة) الذين اذا أخطأوا فيما هو خاص بهم فلا حرج عليهم ولا على ذوق الامة ما داموا بمعـــزل عن الاحتكاك بها وخدمتها بفن الموسيقى » .

الفصل الخامس

الفودفيل وحرية المسرح

« الفودفيل وحرية المسرح »

في عام ١٩١٥ تعرض الفودفيل في المسرح المصري لهجوم شديد • وبلغ سخط المعارضين له حدا جعلهم يطالبون الحكومة بالتدخل لايقافه • فأثار طلبهم نقطة بالغة التعقيد تتصل بمدى حرية المسرح في تقديم العروض المبتذل منها والقيم • وبالرغم من تفاهة الفودفيل وغثاثته فقد وجد في بعض الاقلام انصارا وقفوا بجانبه ليس عن اقتناع بقيمته ولكن ايمانا منهم بحرية المسرح • وسوف نعرض في هذا المقام آراء النقاد الساخطين منهم على الفودفيل والمدافعين عن حريته على حد سواء •

نشرت صحيفة « الاهرام » بتوقيع سهيل بتاريخ ٨ يونيـة ١٩١٥ (ص ٤) مقالا يتنـاول فيه كاتبه أهم ثلاثة أجواق مصرية في العقد الثاني من القرن العشرين وهي جوق عكاشة ثم جوق ابيض وحجازي ثم جوق الكوميدى العربي •

يبدأ هذا الكاتب مقاله بقوله « ان التمثيل العربي يتقـدم بالاجمال تقدما يضطرب اضطراب الحياة المصرية في طور الانتقال الذى نعيش فيه » • لأن النهضة التى احياها سلامة حجازى وجورج أبيض في التمثيل يقابلها انحطاط في العروض التي يقدمها جوق الكوميدى العربي • ويشرح لنا الكاتب مميزات الفودفيل وحدوده

وطبيعة التكنيك الذى يستخدمه هذا الضرب من الانشاء المسرحى قائلا :

« أما (جوق الكوميدى العربى) فقد اختار أن يمثل الروايات من النوع المسمى (فودفيل) .. ويجمل بى أن أصف هذا النوع للمقتصرين على معرفة اللغة العربية قبل أن أشير الى منزلته النوعية فى عالم الأدب والتمثيل والى حظ جوقنا الحديث من حسن العمل فى سلوك سبيله . هب أن شابا خطب فتاة يحبها ثم دعا الناس الى حفلة زفافه فاذا به بعد أن أمضى عقد الزواج قد علم علما أكيدا أن التى أصبحت زوجته انما هى أخت له . فذلك حادث يجعل الشاب فى موقف يلفت الانظار ويشغل البال . وكل واحد يستطيع ان يصف موقفا ملائما لاسلوب التمثيل أو تمثيلية كهذا . ولكن الصعوبة الفنية كلها فى ايجاد اسبابه وجعل حصوله ممكنا مقبولا وخصوصا فى حل عقدة حوادثه . والكاتب التمثيلى هو الذى يقدر أن يستنبط من مثل هذا الموقف رواية جيدة .

« هذا وفى الحياة الانسانية ثلاث قوى توجهها وجهتها . الخلق والشهوات والحوادث . والأمر كذلك فى عالم التمثيل فكل موقف تمثيل يمكن استنباط الرواية منه وجعله مدارا لها بطرق ثلاث .

« اما بوصف الذين يقفون هذا الموقف أو يستفيدون منه وهذا سبيل الكوميدى (أى المضحكة أو المبهجة) التى تحكى الطباع والعادات .

« واما بوصف بعض الشهوات الملازمة وجميع الروايات الداخلة فى نوع الدرام (أى التى يمتزج فيها المبهج بالرائع) تكاد تكون على هذا النحو من الفن .

« واما باظهـــــار الحوادث المتسلسلة من الموقف التمثيـلي المحرجة له . وهذه هي طريقة الفودفيل . والفودفيل كل كوميديا (أى مبهجة) فى شيء من الخلاعة والمجون قد عقـدت عقدة حوادثها بمهارة وبراعـة تأليفها وانشائهـا وتمثيلهـا فى حسن تصريف حوادثها وسبك عباراتها من السهل الممتنع مع القليل مما صقلته بعض المحاورات العادية فى ما يداخلها ويزينها من خفة الروح والظرافة وبدائع سرعة الخاطر والالمعية واللوذعية . وكتاب هذا النوع الذى لا يقصد به سوى التفريح وليس الاصل فيه درس العادات والعيوب والصـفات ولا نقـد الشهوات وتهذيب النفوس والاخلاق - يتناولون فى مؤلفاتهم الحوادث الحالية ويصورون الاحوال الحاضرة والأشياء الوقتية مما تذهب به وبذكره الأيام فلا تدوم أمثال هذه المؤلفات التى تكتب للمعاصرين دوام التحف الخالدة فى آداب الخلف لما فيه من محكم تصوير النفس البشرية . فمنزلة هذا النوع فى الأدب الغربى والتمثيل الاوروبى دون منازل الانواع الاخرى وفضل كاتبه وممثليه عند الاجادة دون فضل الكتـــاب والممثلين الآخرين . فالنبوغ يختلف والعبقريات تتفاوت وكل شيء نسبى فى هذا الوجود زد على ذلك أن كاتب الفودفيل أو ممثله اذا استرسل فى الاستخفاف أو استهتر بالخلاعة ، ولم يجد من ذكائه وحذقه ما يسمح له بالوقوف عند الحد المقبول من المجون هوى فى درك الفحش الى حضيض الاباحة أمام الجمهـور . وهو الطامة الكبرى تتهـدد الأخلاق والعادات والآداب والاعراض عن طريق التمثيل المؤثر الملهم والتقليد التابع له » .

ويحمل كاتب « الاهرام » حملة شعواء على جوق الكوميدى العربى لما يقدمه من عروض مسرحية مبتذلة مثل رواية (خللى بالك من اميلى) التى عربها أمين صدقى ورواية (ضربة مقرعة) . ويلوم هذا الجوق على اختياره مثل هذه المسرحيات الخليعة وخاصة لأن الأدب الفرنسى

ملء بالروايات المضحكة الخالية من الخلاعة التى كان يمكن تعريبها وتمثيلها بدلا من الروايتين السابقتين :

« لقد افتتح جوق الكوميدى العربى تمثيله بروايتى (خلى بالك من اميلى) و (ضربة مقرعة) فرأت الصحف العربية فيهما وفى تمثيلهما ما حملها على نقد الجوق وكتابه · وحق للأديب أو الكاتب أن يظهر اعتقاده فى حسن نيتهم بتنبيههم على مواطن الزلل والضرر الذى يجب اتقاؤه · وقد رأى كاتب فاضـل أن هذا الجوق أسرع بالتمثيل العربى فى سـبيل تقدمه الطبيعى البطىء الى هاتـين الروايتين المختارتين من نوع الفودفيل حتى أن كتابه وممثليه (لم يعنوا بالاختيار من أحسن ما فى ادب اللغة الفرنسية بل وراق لهم التنقيب عن أشد الروايات احتواء للفسق عن تلك التى يظهر فيهـا الفساد بلا حياء) فأهاب بهم هذا المنحنى من الطريق وأراد تنبيههم على ما وراءه من المهاوى فجعل عنوان مقاله بشأنهم فى بعض الصحف الفرنسوية قوله (منعطف خطر) ولاحظ بحق أن مثل هذا الاختيار المضر قد يوهـم بعض المصريين الذين ينظرون الى حـال الجمعية الأوربية من خلال رواياته فيخطئون فى الحكم على مدنيتها ·

« ورد على هذا الناقد فى الصحيفة الفرنسـوية عينها كاتب فاضل آخر ··· فأثبت فى رده ان (خلى بالك من اميلى) من أمثال هذه الرواية مصنوعة لجمهور خاص من أهل اللهو السهارين وانها لا تمثل فى باريس الا فى ثلاثة مراسح من ستين · ولكن الروايات المضحكة الخالية من الخلاعة كثيرة في أدب اللغة الفرنسوية فحسبنا أن نقول لرجال الجوق الجديد (انهم ضلوا الطريق) · أما صعوبة تقريب نكات أهل اللغة الفرنسوية وظرف كتاباتهم واستعاراتهم فليست بعائق « وانما المعول على معـرفة اختيـار ما يعرب تمـاما وما يحسن التصرف فيه على ما يلائمنا ويلائم لغتنا · وهناك روايات هي أشد ابتهاجا بمواقفها المضحكة منها بنكات انشائها · »

ويتناول كاتب (الاهـــرام) موقف أمين صدقي (معرب الفودفيل فى جـوق الكوميدي العربى) من هــذا الهجوم عليه ، ويرد على زعمه بأن الفودفيل ينطوى على نقد اجتماعي له فوائده :

« لم ترق هذه الآراء للجوق فانبرى حضرة معرب (خلي بالك) للناقد الأول يحـاول دفـع كلامه فى مجون تلك المختارات وفى (كشفها عيوب المجتمع الفرنســـوى) بأن هذا نقد يمكن توجيهه أيضا الى روايات الأنواع الأخرى مثل رواية (صاحب معامل الحديد) وبأن المصريين مضطرين الى تعريب تحف (الفودفيل) والى التصرف فيها على ما يلائم التمثيل العربى ما دام الكتاب لم يكتبوا له خاصة شيئا من هذا النوع) . وما ادرى هل هذا تبرير لاقدامه على تعريب روايات لم يوفق فى اختيارها أو اعتراف بالقصور عن وضع رواية للمصريين تستنبط من بعض اخلاقهم وعاداتهم الحاليـــة وحالتهم الاجتماعية الوقتية وحوادثهم اليومية ليكون فيها مجـــال لمزاجهم وظرافتهم ونكاتهم الاهلية فيسهل عليهم فهمها ويبتهجون بها كما هو الغالب فى نوع (الفودفيل) عند الغربيين . أما ما ذكره من أمر التصرف فى التعريب على ما يلائم التمثيل العربى فحقيقة أنه اجترأ بنقل الكلام الفرنســوى الى العربية العامية وليس ذلك فى شيء من معني التصرف في القلب والقالب على ما يلائم التمثيـــل العربى الذى ليست العامية بشرط فيه . ومن المدهش أنه يشبه (خلي بالك) برواية (صاحب معامل الحديد) . والفرق عظيم بين الموضوعين والادبين وحسبه ما فى هذه من مدح فضائل (فيليب) وذم ونقائص (دوبليني) . ولئن عز حضرة الـــكاتب اجتمـــاع (فيليب) و (كلير) فى خلوة لفاته أنهما حليلان لا خليلان وأنهما لم يتجاوزا فى موقفهما التمثيلى حد اللياقة . وليس القصد تحريم كل رواية فيها نقد بعض عيوب المجتمعات الفرنسوية . بل هو منع ما يجـاوز حد الليـــاقة ويوهم خالى الذهن ان ما فيه من المجون

والفجـور مقبـول عند الفرنسيين عموما غير منتقد أو محارب في بلادهم · ولو كان هذا هو كل اعتراض حضرة المعرب لهان الأمر . ولكن الذي يؤسف له أن حضرته يغتر (باقبال الجمهور) ــ جمهور خاص لا يحكم بنظره وذوقه فيما يتعلق بمصلحة المصريين أجمعين · وأمر من ذلك أن المعرب يختم كلامه بقوله (نحن نشعر أننا نقوم بعمل صالح) ·

ويختتم كاتب « الاهرام » مقاله بنصيحة يزجيها الى الجـوق الكوميدى العربى بأن يحسن اختيار رواياته من ناحية وأن يستخدم في تعريبه لها لغة شـــبيهة بلغة محمد عثمان جـــلال في تعريب مسرحيات موليير · يقول هذا الكاتب :

« والحقيقة أن هـذا الجوق قد وصـــل بالتمثيل العربى الى (منعطف خطر) ونحن لا نزال نعـذره ونعتقد حسن نيته · فاذا عجز كتابه عن وضع الروايات للمصريين خاصـــة ، فلا أقل من أن يحسنوا الاختيـــار وأمامهم ما لا يحصى من الروايات مما يمـكن التصرف بموضوعه على ما يلائمنا مثل (ذر الرماد في العيون) وهى الرواية التى تهـكم بها (لابيش) على الزهو وحب الظهور وان لم تكن أجود ما اتقن تصريف حوادثه التمثيلية ·

« ثم أن تلك اللغة التى يستعملها الجوق فى رواية (ضربة مقرعة) وأشباهها ليست بالعربية كما يتوهم أصحابها بل الغالب فيها شيء من أساليب الاعاجم اذا تكلموا لغتنا العامية · فاذا كانوا مضطرين الى استعمال العامية فليقلدوا عثمان بك جلال فيما عربه من روايات موليير · ولابد لحضرات الممثلين ان يتحاشوا في تمثيلهم تلك الحركات والاشـارات المتناهية في الخلاعة · اما اذا كان ذلك كله فوق طاقتهم · فالأولى أن يعدلوا عن نوع (الفودفيل) » :

ونشرت صحيفه « الاهرام » بتاريخ ١٠ يونيه ١٩١٥ (ص ٤) تحت عنوان « التمثيل العربى » ردا كتبه أمين صدقى معرب رواية (خللى بالك من اميلى) يدافع فيه عن نفسه وعن الفودفيل ضد الهجوم الذى شنه سهيل عليه . وفيما يلى نص هذا الرد :

« حضرة المحترم رئيس تحرير الاهرام الغراء ..

اطلعت في عدد اليوم على مقالة بامضاء سهيل تحت عنوان (حركة التمثيل العربى : منعطف خطر) أراد كاتبها أن يقول شيئا عن رواية (خللى بالك من اميلى) التى عربتها اجابة لطلب جوق الكوميدى العربى . وانى وان لم آكن أجرأ على ادعائى القدرة على فهم كل ما قدم به حضرة الفاضل سهيل مقالته للقراء ولا استطيع أن أقول أنه لم يتكلم فى صلب الموضوع بشىء تصح مناقشته فيه بل هوش على الذهن بما لا يجد الانسان فى غضونه علاقة منطقية فرض أنه أراد أن يقول :

(أولا) أن هذا النوع من الروايات يؤدى بالتمثيل الى هوة سحيقة .

(ثانيا) أن أسلوب هذه الرواية لايوافق روح العصر الذى نعمل لاصلاحه .

« هذا ما تبين لى من مختلف جمله لانى قرأتها فى الجرائد الفرنسية التى تناولت مقاله المؤيد فى هذا الاسبوع بالبحث ورددت عليها فى صحيفة البروجريه .

« أما والكاتب لم يفهم ردى اذ ذاك حتى أعاد اليوم ما كتبته تلك الصحف على طريق الترجمة المبتورة فانى لا أبخل عليه باجمال ما فصلته فى تلك الجريدة . وعليه فالقول بأن نوع الفودفيل

مستهجن قبيح فمردود بأن هذا النوع من الروايات شائع فى البلاد الغربية . وقد نص الكتاب الأخلاقيون فى العالم المتمدن بأنه أبلغ فى اصـــابة الغرض من غـــيره اذ يعرض به نقائص المجتمع على المشاهدين فى الغالب للضحك الذى يبلغ الى قرارة النفس أكثر من سواه . أجل أن فى رواية (خلى بالك من اميلى) شيئا من المبالغة التى لا يبيحها المتشددون . ولكن القول بأن نوع الفودفيل بأكمله اثم وكفر بسبب هذه المبالغة انما هو اثم وكفر مقرران لان الحـكم على الكل بجزء عرضى ليس من صواب الرأى فى شىء اذ يمكن منع هذه المبالغة فيصلح الحال على ما يروم المتشددون مع بقاء الشىء فى جوهره وعروضه سليما .

« ليس الغرض من الاجواق مجرد الحث على الفضيلة بالطريق المباشر وانما يجوز لها أن تدعو اليها بالطريق غير المباشر تضرب الأمثال والاستعارة والكناية . وقد رأيت قومى مدفوعين الى تقليد الغربيين فى كل شىء حتى نقائصهم وعيوبهم بل انما هم أخذوا بها أكثر من أخذهم بالمحاسن . فلم أرد بأســـا من أن أعرض عليهم صورة مما لابد ان يقعوا فيه اذا هم ساروا وراء قواعد الغرب حرفا بحرف كما نرى الآن . على أنى انما اردت أن أرى الكتاب التمثيليين هذا الصنف الذى يجهله أكثرهم وهو لخدمة الآداب والأخـــلاق لو عرفوا كيف يستخدمونه حتى يبرزوا لنا فى مسائلنا ما يصح أن يكون موضوعا تهتم به المراسح فى الشرق . وقد كان شـــأن التمثيل فى السنوات العشرين الماضية أن تتقدم الترجمة والتأليف حتى يرى الكتاب مثل ما يجب أن ينسجوا على منواله ، فاذا عربت اليوم هذه الرواية اجابة لطلب الجوق الجديد ، فانما أنا أســـلك الدرب المشروع وأنتهج الخطة الطبيعية التى سنها لى المصريون الذين تقدمونى .

« أما القول بأن أسلوب الرواية لا يوافق هـذا العصر فانى لا أوافق عليه لأنى لست ممن يخدعون بالأقوال ٠ ان الجمهـــور المصرى وأخص منه ممن يبتغون من الرواية ضحكا أو قهقهة وأولئك الذين هم أشد الناس حاجة الى التربية لا يفهمون مثل هذه المقالة ٠ ولم يخلق التمثيل خاصـــا بحضرة الكاتب على حيرته فى ابلاغ مقصده ٠ انما خلق للغالبية ٠ والغالبية عوام أو يكادون ٠ لذلك لم أتردد فى موافقة المدير الفنى للجوق على ترجمة الرواية من جديد باللغة العامية ٠ واذا علم القارىء أن النكتة المضحكة لا تكون نكتة حتى يفهمها الانسان تمام الفهم وكان أكثر الناس كما وصفنا واللغة العربية التى فى يدنا الآن لا تساعد على أبراز النكتة للتقصير فى تعليمها علم عذرى فى الموافقة على الأسلوب العامى ٠ وقد قال أحد فلاسفة الانجليز (قيراط من الحقيقة خير من قنطار من المنطق) ٠ فلعل فى هذا كفاية والسلام ٠ »

أما الكاتب المسرحى عبد الحميد دولاور فقد بلغ به السخط على الفودفيل مبلغا جعله يطالب الحكومة بالتدخل لمصادرته ٠ فقد نشر مقالا بعنوان «واجب الحكومة ازاء الفودفيل : منعه ومصادرته» فى صحيفة « المنبر » بتاريخ ٣ مارس ١٩١٦ (ص ٢) شن فيه هذا الكاتب هجوما شديدا على الفودفيل واعتبره عملا منافيا للآداب يجب حمـــاية الناس منه ٠ يبدأ عبـــد الحميد دولاور هجومه على الفودفيل بقوله :

« بينا أن الفودفيل نوع من التمثيل الشائن لم يوضع الا للهو وأنه ليس من الأدب فى شىء وأنه خطر على الأخلاق وأثبتنا بالأدلة الواضحة والحجج الدامغة مضرة روايات الفودفيل المنقولة الى العربية فلم يبق الا أن ننشد معونة الحكومة وننبهها الى الخطر الداهم حتى تغل تلك الأيدى العاملة على تضليل العقول وافساد النفوس بنشر هذا النوع الساقط ٠٠٠٠ وتصادره بما لها من السيطرة على رقابة

الأمن العام وحق الاشراف على الآداب العمومية وما نعهده فيها من الغيرة على الشرف والفضائل » .

ويبدى هذا الكاتب أسفه على مطالبة الحكومة بتقييد الحريات. ولكنه يرى فى الحرية المطلقة شرا مطلقا . يقول :

« اننا لم نكن اباحيين نطلب الحرية المطلقة لكل شيء سواء أفاد أو أساء . فلسنا من أنصار المنع والحرمان وان كانت تؤلمنا مطالبة الحكومة بهما وفيهما ما فيهما من التضييق والغضاضة وحبس الحرية فيروح عنا أنه منع عاقبته طمأنينة للنفوس وحرمان نتيجته أمان من الفجور والدعارة وصدوف عن شر داهم .

« هام الناس بالحرية فى كل مصر وصقع ونزعوا اليها من كل فج وصوب وطالبوا بها فى كل زمان ومكان وتوسعوا شرحها ولم يدروا أن للحرية شرا لعله أكثر من خيرها وأضرارا ربما كانت أشد فتكا بالانسانية .

« فاذا قمنا اليوم نطالب الحكومة بمنع تمثيل الفودفيل غيرة على الآداب والأخلاق يقولون لنا ما لكم تضيقون على الناس . وقد كانوا أحرارا يضربون لنا الأمثال فيقولون هذه فرنسا الحرة وهذا شعبها الحر . هى موطن الفودفيل فيها ترعرع وزكى » .

ويستطرد هذا الكاتب فيرد على المطالبين بحرية الفودفيل قائلا أن بعض أدباء فرنسا اللامعين طالبوا حكومتهم بمصادرته وأن الذى حال دون ذلك رسوخ الحرية فى أذهان الفرنسيين والاضرار بأرزاق المشتغلين بهذا النوع من التأليف المسرحى . ويدلل عبد الحميد دولاور بهذا على ما تنطوى عليه الحريات من اضرار . فضلا عن أنه يدلل على ضرورة تقييدها بأن الرقيب الانجليزى فى عام ١٨٨٠ كاد أن يصادر تمثيل رواية (لادام أو كاميليا) بالرغم مما اشتهرت به

بلاد الانجليز من حرص على الحرية وذود عنها . واستند هذا الرقيب في موقفه من هذه التحفة الأدبية الى اعتقاده بان الرواية ترمى الى تبرير حياة المومسات والدفاع عنهم . ويعلق دولاور على موقف الرقيب الانجليزى بقوله :

« فاذا كان هذا صنع الرقيب الحر بتلك المأساة مع خلوها من المضرة فكيف يكون صنعه بروايات الفودفيل أمثال (خلى بالك من اميلى) و (ياستى ماتمشيش كده عريانة) وليس فيهما الا كل سوءة شنعاء ومعرة دهماء .

« واذا كان قد أحفظه أن يرى ايرمان ومرجريت في لادام أو كاميليا يستبيحان لنفسيهما غراما لا يشين لغيرهما وان كان لهما شائنا . فماذا عسى أن يكون أمره اذا شاهد الأسرة فى رواية (خلى بالك من اميلى)يتعاقب عليها الممثلون والممثلات . وبعد أن يقضوا سواد الليل يتساءلون بفلسفة قائلين : (حصل أو لم يحصل ؟) ... أو رأى فى رواية (ياستى ماتمشيش كده عريانه) امرأة نائب من نواب الأمة الفرنسية تكشف عن عورتها وتقول لكل وافد ... ليعذرنا القارىء اذا استعصى على اللسان النطق بهذه الكلمة الدنسة وأبى اليراع أن يجرى بها .

« وليسبت دهشتنا من ان مؤلف الرواية تجاسر فكتبها ومن أن معربها جاراه فيها فأثبتها ومن أن الممثلين اجترأوا على النطق بها بأقل من دهشتنا من أن الحكومة أباحت لهم ذلك . أليس من حق الحكومة مراقبة الروايات التمثيلية سياسية كانت أو أخلاقية . اننا ان استحسنا منها منعها تمثيل الروايات التى ترمى الى مرام سياسية لا مسوغ لذكرها على المسارح فلا نغتفر لها تباطؤها فى منع الفودفيل .

« واذا كان المنع من شأنه ابعاد مضرة عن الجمهور فأخلق

بالحكومة أن تباعد عنا شرا تسطره هذه الروايات العابثة بالآداب المفسدة للأخلاق المثيرة للشهوات. ان فعلت الحكومة ذلك ولا نخالها الا فاعلة فقد تطمئن نفوسنا التي باتت في غير أمن كرامتها وآدابها. وتستحق شكر الجمهور وتكون قد أدت فرضا من أقدس فروضها » .

ولم يعدم الفودفيل أن يجد له أنصارا بين النقاد . فلقد نشر ميخائيل ارمانيوس مقالا بعنوان « مصرع الفضيلة وأين يكون ؟ على ذكر الفودفيل » فى صحيفة «الوطن» بتاريخ ٨ مارس ١٩١٦ (ص٢) يدافع فيه عن الفودفيل وبنوه بعناية عزيز عيد به . يبدأ ارمانيوس مقاله بالاشارة الى ولع النقاد بتوجيه النقد الى التمثيل سواء كان هذا التمثيل جادا أو هازلا ، فيقول :

« يقدم لنا الأستاذ سلامة حجازى روايات حضرة اسماعيل بك عاصم فيسخر الأدباء من سجعها ... تمثل لنا روايات شكسبير وكورنيل مدبجة بيراع فقيد النظم والنثر الشيخ نجيب الحداد (فيعيب عليها) الناقدون قصرها على الغرام ولواعج العشق والهيام .

« فاذا انفرد البطل جورج أفندى أبيض بتمثيل رواياته الجدية انتقدوه وعيروه وحكموا بجمودها وخلوها من مقاطع الأناشيد ورنات المثانى والألحان .

« اعتمد النشيط عبد الله عكاشة على نفسه وأنشأ له جوقا خاصا فقالوا انما هو مقلد للشيخ سلامة حجازى وما هذا الأخير الا أستاذه فى الميدان .

« واذا جاء اليوم الممثل الخفيف الروح عزيز أفندى عيد

بروايات الفودفيل وهو من وضع أشهر رجال الاكاديمى الفرنساويه تصدت له جريدة مصر وأوقفت أعمدتها على تحريض الناس لمقاطعته والحكومة لمصادرته بلا شفقة ولا حنان ·

ويعترف ارمانيوس لصحيفة (مصر) بالفضل فى أنها أول من نبهت الأذهان الى روايات عزيز عيد · ويثنى على هذا الممثل لأنه ألف جوقا وأنفق عن سعة فى سبيل تعريب هذه الروايات وتجهيز الملابس · ويذهب هذا الكاتب فى مقاله الى أن مسئولية الفودفيل عن مصرع الفضيلة مسئولية ضئيلة وأن المسئولية الحقيقية تقع على أمكنة اللهو وبيوت الخلاعة والفجور · ومن ثم فانها أولى بالمصادرة من الفودفيل · ويضيف أن نجاح عزيز عيد هو الذى أوغر صدور الناس ضده فأرادوا محاربته ومحاربة العاملين معه فى أرزاقهم · ويقول أرمانيوس فى دفاعه عن الفودفيل أن العيب ليس عيب هذا النوع من الانشاء المسرحى ولكن عيب الممثلين الذين يحشون النصوص بالألفاظ غير اللائقة ·

« ان الكاتب المنصف اذا شاء أن ينتقد روايات (الفودفيل) فقد يجد ذلك فى افتقارها الى تهذيب عباراتها وخوف بعض سخافات تأتى فى عرض التمثيل بلا موجب لها · وقد لا تؤثر على النفس ذلك التأثير الذى يخافه المشفقون على الأخلاق · وانما النفس بفطرتها تشمئز منها وتمجها · ولربما كان مرجع ذلك الى ضعف المعرب وعدم قدرته على وضع النكات فى قالب يلائم الذوق العربى كما يلائمه فى الأصل الفرنساوى ·

« فليعر الأستاذ عزيز ملاحظتى جانب الالتفات حتى تجمع السيدة اللطيفة ممثلة أدوار الفودفيل بين رقة اللفظ ورشاقة التمثيل » ·

ونشر فرح أنطون بعنوان « حرية التمثيل على ذكر الفودفيل

فى صحيفة « الوطن » مقالا بتاريخ ١٠ مارس ١٩١٦ (ص ٢) يرد فيه على ما كتبه ميخائيل ارمانيوس · والذى يستلفت النظر فى مقال فرح أنطون أنه يتضمن دفاعا حادا عن حرية المسارح · فبالرغم من أنه يدين بعض أنواع الفودفيل ، فانه لا يقبل من الحكومة أن تتدخل فى شئون المسرح · وفيما يلى نص رد فرح أنطون على ميخائيل ارمانيوس :

« ذكر حضرة الأديب المجيد ميخائيل أفنـدى ارمانيوس فى مقاله عن روايات الفودفيل نشرت فى (الوطن) أول أمس أن جريدة مصر هى أول من كتب عن موضوع الفودفيل فلعل حضرته لم يطلع على ما نشره (الوطن) منذ سبعة أشهر (فى ١٩ أغسطس ١٩١٥) فى هذا الموضوع وها نصه :

« لا يخفى أن أنصـار الرأى الأول يعدون هذا الأمر خطرا على اللغة العربية وعلى فن التمثيل نفسه · ولابد أن الجدال الذى بدأ يفهم من الكلام سينقل الى صفحات الصحف بعد حين ولذلك كنا أول من يفتح له الطـريق · أما ما يتـوجه على تلك الروايات من الاعتراضات والملاحظـات من الوجهة الأدبيـة فليس هـذا موضع الكلام · ولكن لا يسعنا الا أن ننكر ما فى بعض هـذه الروايات من المغالاة فى المجـون مما لم يتعوده الشرقى بعـد ولا يحسن نقله الى المرسح العربى دفعة واحدة · وعسى أن يعنى أصحاب هذا الجوق والمؤلف والممثلين البارعين بهـذا الأمر ليكون نجاحه كاملا لا يعنوره نقص ·

« هذا وانى أوافق حضرة الكاتب ارمانيوس أفندى فى أشياء وأخالفه فى أشـياء · أما الذى أوافقه عليه فهو قوله أنه لا يصح الطلب من الحكومة أن تصادر الروايات والمراسح · وهذا صحيح لأن الحرية يجب أن تكون مطلقة للجميع · واذا كانت قهاوى الرقص

ومجلات الفساد تتمتع بالحرية والوجود فأحرى بهما الفودفيل وغيره من الروايات التي على شاكلته ·

« فالكتاب والأدباء الذين كتبوا في هذا الموضوع يخطئون في طلب مداخلة الحكومة لمنع هـذه الروايات ويجب الاكتفاء بمداخلة الرأى العام · وقد كان الرأى العام ذا تأثير فعال في هذه القضية لأن جوق حضرات عبد الله عكاشة واخوته اضطروا أن يوقفوا وقتيا تمثيل روايات الفودفيل بعد ما شهدوه من قيام الناس عليهم · ثم أن هنـاك خطـأ آخر ارتكبه بعض القائمين على الفودفيـل وهو تحريمهم نوعه كله وطلبهم مصادرته مطلقا · والحال أن الفودفيل قسمان قسم نظيف وقسم خليع · فالقسم النظيف لا شيء فيـه مما يمس الآداب · وأما القسم الآخر فأساسه غير ذلك · فلو كان جوق عبد الله أفندى عكاشة واخوته والممثل البارع عزيز أفندى عيد يأخذ القسم الأول ويترك القسم الثاني لما كان يتوجه على عملهم أقل اعتراض · وقد يقولون أنهم مثلوا الفودفيل النظيف في روايات (مباغتات الطلاق) و (الابن الطبيعي) فلم يقبل عليه الناس لان الناس لا يقبلون الا على الروايات التي تغالت في ضروب المجون · والجواب ان هذا أقبح ذم يوجـه الى الجمهور المصرى · وهـو ليس بصحيح ولا الجمهور يستحقه كما ظهر بالبرهان لان كل الروايات التي مثلت وهي الأخـيرة سقطت ايرادها في الليلة الثـانية الى ١٥ جنيها · ولو مثلت مرة ثالثة لما بلغ ايرادها نصف هذا المبلغ· وهذا يدل على أن الجمهور لا يحب المجون السخيف كما يقال ·

« ولنفرض جـدلا أن الروايات المتطرفة في المجون هي التي تصادف الاقبال فيربح الجوق منها ربحا عظيما ـ وهو عكس الواقـع كما ظهر للآن ـ فهل هذا عذر كاف لتمثيلها بقطع النظر عن الأثر السيىء الذى تحدثه في نفوس الشبيبة والطلبة والعائلات · ان كان الربـح هو المقصـــود فقط بقطع النظر عن الفن والأدب ورقى

الأخلاق التي هي أغراض المراسح فالأفضل اذن أن تجعل المراسح قهوات تمثيلية تسقي فيها النساء البيرة ويكون الربح أعظم بكثير . ان مجرد الربح وحده لا يكفي في تبرير الأعمال الشاذة في وسط شرقي كوسطنا .

« أما قول حضرة الأديب ان هذه الروايات هي من قلم أشهر أعضاء الاكاديمية الفرنسوية فهو قول يستحق من أجله العتاب اللطيف لان مؤلفي الفودفيل في باريس ومنهم (فيدو) مؤلف الروايات التي مثلت هم كتاب من الطبقة الثالثة أو الرابعة . ولو رشح أحدهم نفسه لدخول الأكاديمية الفرنسوية لقهقهت باريس كلها سخرية منه . وهم يعدون هناك واضع الفودفيل (الفودفليست) كاتبا هزليا على مثال ما كانت عليه حمارة منيتي هنا . وليس في باريس كلها مرسح واحد يحترم نفسه ويمثل الفودفيل اذ تمثيله من شئون التياترات الصغرى التي لا تصادف النجاح في الروايات الهامة فنضطر الى المتاجرة بأميال فريق من الجمهور يحب الهزل والمجون وهو فريق أهل اللهو وشبان مونمارتر وخلعاء القهوات والبارات .

« والخلاصة أن الفودفيل حسن ومفكه اذا كان خاليا مما يمس الأخلاق . ولا شك أن هذا النوع هو ما أراده حضرة الكاتب الفاضل ويخطىء من يريد منع هذا النوع .

« أما الفودفيل المتطرف فلا يخطىء الرأي العام في محاربته ومقاومته ورجاؤنا في حضرات عبد الله أفندي عكاشه واخوته وعزيز أفندي عيد الممثل الفني الذي انضم اليهم أن يطلبوا النجاح من باب الفودفيل النظيف . أما الحكومة فلا يخافون مداخلتها في حرية القول والتمثيل . وان قيل انها تداخلت ومنعت الصور الفونوغرافية التي تغري بالفساد وتحث على الدعارة فالجواب أن تلك

الصور هى (أفعال) أما الروايات فهى (أقوال) ولا تعد الحكومة القول جنحة الا اذا كان سياسيا • أو كان الفعل مقصودا بالذات • على اننا نرجو أيضا من الجوق ألا يتطرف كثيرا حتى يجعل للحكومة منفذا تدخل منه لمضايقة أهل هذا الفن الجميل •

« ان هذه الحرية عزيزة على المؤلفين والمعربين والممثلين فيجب علينا أن نحسن التصرف بها والا ذهبت فى جملة ما ذهب •

« ونحن أول من ينكر مداخلة الحكومة دفاعا عن حرية المراسح والتمثيـــل • ويجب أن تبقى هذه القضـــية بين الممثلين والأدباء والجمهور » •

الفصل السادس

حقوق التأليف

(١) مبحث تاريخي

تدل شواهد الأمـور أن الصحافة المصرية فى مطلع القـرن العشرين أخذت تلح فى المطالبة بحماية حقوق المؤلفين ووضع القوانين الكفيلة بصيانتها · ففى ٢٩ سبتمبر ١٩٠٦ نشرت مجلة «المصور» (ص ٢٤٩) مقالا بعنوان « حقوق الكتاب » تتحدث فيه عن السعى الى وضع نظام لحقوق الكتاب سواء كانوا مؤلفين أو معربين · ويتجلى لنا من مطالعـــة هذا المقال ان أجواق التمثيل ـ ومن بينهـا جوق الشيخ سـلامة حجازى ـ كانت تغمط المؤلفين والمعربين حقوقهم وتفتات على مصالحهم على نحو لا يليق · يقول لنا « المصـور » فى هذا الشأن : ـ

« سمعنا لغطا فى هذه المسـألة على أثر تمثيل جوق الشـيخ سلامة حجازى فى الثغر لرواية (الجرم الخفى) · ورأينا فؤاد أفندى سليم أحد شعراء (المصور) يحتج فى جريدة (الشرق) على الذين ينكرون على المعربين حقوقهم بين مادية وأدبية » ·

ويطالب « المصور » أن يقفو المصريون أثر الغربيين فى الحفاظ على حقوق الكتاب والمؤلفين ، لأن فى محاكاتهم الأخذ بأسباب الرقى والتقدم · » ومما لا مراء فيـه اننـا نحن الشرقيين ننهـج فى كل مسائلنا العمرانية على منوال الغربيين وننحو فيـه منحاهم لأنهم لم يصلوا الى المقام الذى هم فيه ولم يبلغوا تلك المدنية التى نحسدهم

عليها الا بعد طول التجربة والاختبار . فلا لوم اذن علينا ولا تثريب اذا نحن قلدناهم فى أسباب مدنيتهم وحضارتهم . واذا نظرت الى الغرب من كل جهاته ونواحيه لما وجدت فيه مكانا واحدا ينكر فيه شخص واحد حقوق التأليف والترجمة حتى أن الكاتب عندهم يضع المقالة وهو آمن عليها من لصوص الكتابة لأن القانون يضمن له ملكها . فاذا سطا عليها من لا حق فيها رفع (أمره) الى المحاكم وعاد بحقه فائزا . وذلك ان تلك الأسطر التى خطها قلمه قد ولدتها قريحته وهو قد أجهد لها فكره وعقله فهي ملكٍ حلال له وحده دون سواه (ولذلك) سنت الأمم الراقية في العمران والمدنية قانونا يكفل للكتاب حقوقهم ويصون لهم ثمرة عملهم من الوجهتين المادية والأدبية .

يوضح لنا « المصور » النظام الذى تتبعه الأمم الراقية من أجل صيانة حقوق المؤلفين والكتاب فيقول :

« ومما يقضي به ذلك النظام انه اذا نشر كاتب في جريدة أو مجلة قصيدة أو نكتة صغيرة ، فلا يحق لجريدة أو مجلة أخرى أن تنشرها ولو منسوبة اليه دون أن تستأذنه فى ذلك وتنقده أجرتها . واذا ألف أحدهم فى أى موضوع كان أو كتب قطعة فلا حق لأحد من الناس أن يمد يده الى ما كتب الا اذا وافق على ذلك وأذن له به . والا فالمحاكم أبوابها مفتوحة ولصوص التأليف محكوم عليهم بصرامة وشدة . أما عندنا فكثيرا ما نرى بعض الجرائد تنقل عن غيرها فصلا برمته دون أن تشير الى مصدره أو تعبأ بكاتبه كأنما ذلك ملك لها تتصرف فيه كما تشاء بل كثيرا ما نرى بعض أصحاب المطابع يمدون أيديهم الى مؤلفات الناس . فيختارون منها ما يروق لهم ويطبعونه ويتاجرون به دون أن يحاسبوا أنفسهم فى أمر من الأمور » .

ويرى « المصور » انه يجدر بالمؤلفين المصريين ألا يتقاعسوا فى المطالبة بحقوقهم والالتجاء الى القضاء لصون هذه الحقوق فى حين ان

القانون يكفل لهم حمايتها · يقول « المصور » : « ولقد كان الكتاب الى اليوم يظنون ان القانون لعدم اشتماله على مادة خاصـــة بهذا المعنى لا يضمن لهم حقوقهم ولا يصون ملكهم الأدبى · فكانوا يهملون المطالبة بحقوقهم ويتقاعدون عن (مقاضاة) المعتدين عليهم · ولكن الحقيقة غير ما يظنون ··· وقد تحققنا من كثيرين فى حملة القانون ان المحاكم تنظر اليوم فى الأمر على غير ما كانت تنظر فيه فيما سبق وتطبق على السرقة الأدبية أحكام السرقة المادية الفعلية » ·

ويختتم « المصور » مقال بالمقارنة بين صيانة حقوق المؤلفين والمترجمين المسرحيين فى الأمم الغربية المتحضرة وبين اهدار هذه الحقوق فى بلادنا يقول « المصور » ان صاحب الجوق فى هذه الأمم يعطى أصحاب المسرحيــات نسبة مئوية من الايراد ، الأمــر الذى يحفزهم على الاجادة والاتقان « أما عندنا فاننا نأخذ لذلك مثــلا طريقة أصــحاب الاجواق مع الكتاب وهى انهم يبتاعون الرواية من كاتبها صفقة واحدة بأى ثمن يبتاعونها · ثم يأخذون فى تمثيلها فيحتلبون ما استطاعوا دون أن يكون لكاتبها من وراء ذلك أدنى فائدة حتى ولا أدبيـــة لأنهم تعودوا أن يتناســوا عند الاعلان عن الرواية ذكر اسم كاتبها ·

ويتنــاول عبد الرحمن فضلى الخالدى فى صحيفة « اللواء » بتاريخ ١١ سبتمبر ٩١٠ (ص ٢) موضوع حقوق المؤلفين ، فيقول ان مصر بلد العجائب التى تضحك وتبكى فى آن واحد · فقد أعلن رجل يدعى عبد الكافى نامق انه سيضع كتابا يجمع فيه الى فصيح اللغة العلوم العقلية والنقلية والكونية والتاريخية ثم اتضح لكاتب المقال ان المؤلف المزعوم قد انتحل لنفسه ما كتبه الآخرون ونقــل بالحرف الواحــد دون تبديــل أو تغيير من كتاب آخر تحت عنوان « الكنز » · ويختتم الكاتب مقاله بقوله ان « غيرتنا على حقوق المؤلفين تضطرنا لمطالبة حضرة صاحب الكنز بكف يد هذا العادى عن ثمرات

كده وجهـاده ••• وليزدجر مثـــل هؤلاء المتحللين عن عقائـل المؤلفات •

نشرت مجلة « سركيس » عـدد ٩ ، ١٠ السـنة السابعة ١٥ سبتمبر و ١٥ أكتوبر ١٩١٣ ص ٦٤٤ - ٦٤٧ مقالا له أهميته بعنوان ، حقوق التأليف والترجمة ، كتبه سامى الجريدينى المحاسى مؤلف كتاب « خواطر فى الحقوق والأدب » يبـدأ الجريدينى مقـاله بالمقارنة بين النظام فى البلاد الأوربية والأمريكية والفوضى الضاربة أطنابها فى مصر فيقول :

« فى البـلاد الأوربية والأمريكية قانون محددة فيه حقوق المؤلفين وواجباتهم • أما فى مصر فلا قانون فى هذا الموضوع ، كأن الشارع لحظ انه لا يليق به بيع جلد الدب قبـل صيده • فكما ان القانون يضع نصوصا ولوائح لملكية العقار والأطيان والتجارة هكذا يجب أن يضع نصا لما يمتلكه الانسان من غير هذه الأشياء • فان من المقتنيات ما هو مادى ووجه اليه القانون كل نظره • ومنها ما هو أدبى نتيجة الفكرة والعقل لم يعره لهذه الساعة التفاتا كبيرا • ففى حال عدم وجود نص صريح فى قانوننا عن حقوق التأليف وجب الرجوع فيها الى النصوص القانونية العمومية والقواعد الحقوقية الأصلية » •

ويؤكد لنا الجريدينى ان ملكية المؤلف لبنات أفكاره لا تقل فى شرعيتها عن ملكيته للأراضى والعقارات ، فيقول : « لا شك ان المؤلف يملك ما يؤلفه ملكا صحيحا شرعيا كما يملك الانسـان بيتا بناه أو طينا اشتراه ولا يجوز لأحد أن ينازعه هذا الحق • فاذا وضع زيد من الناس كتابا فى الطب أو الشعر أصبح المؤلف ملكا له • ولكن يجب عليه أن يسجل فى المحكمة كتابه هذا حتى تكون حقوقه محفوظة •• فاذا قلد شخص مؤلف غيره أو نقله أو أعاد طبعه جاز

للمؤلف أن يقاضيه مدنيا وجنائيا . اما مدنيا فبأن يطلب منعه عن البيع وحجز الكتاب المطبوع والاعلان عن ذلك . واما جنائيا فلأن قانون العقوبات ينص على عقاب مثل هذه الأفعال » ..

ويجد كاتب المقال غرابة في أن يعنى القانون المصرى بحماية حقوق الموسيقيين والملحنين وأصحاب المؤلفات المسرحية . في حين انه يتجاهل التأليف العلمي والأدبى . يقول الكاتب عن هذا الصدد:

« ومن غرائب قانوننا الأهلي انه سرد وعدد الأشياء التي يعاقب على تقليدها .. وخص بالذكر أكثر من مرة (من قلد ألحانا موسيقية مختصة بمؤلفيها) ، (وكذلك من غني علنا بنفسه بألحان موسيقية أو حمل غيره على التغنى بها أو لعب ألعابا تياترية أو حمل غيره على اللعب بها اضرارا بمخترعيها) وياليته توسع قليلا ووضع تقليد التآليف العلمية والأدبية .

ويعرض الجريديني بعد ذلك لحقوق الترجمة التي تلعب دورا خطيرا في حياة مصر الثقافية والفكرية ، فيقول ان حقوق الترجمة ليست بمثل وضوح حقوق التأليف . ولكنه يرى « انه لا يجوز لأحد أن يترجم كتابا بدون اذن صاحبه . فاذا فعل كان عرضة لدفع التعويض وحجز الترجمة . اذ لا شك في ان ترجمة الكتاب ملحق ضررا ماديا وأدبيا بالمؤلف اذا لم يتفق مع المترجم على الترجمة . ومن القواعد الأولية في القانون ان كل من يلحق ضررا بغيره مسئول عن عوضه . ولا يطعن في ذلك عدم وجود قانون خاص للمطبوعات في هذا القطر . فالقانون العام يكفي . وكل هذا بشرط أن يكون حق الملك لا يزال للمؤلف ، فان هذه الحقوق تصبح ملكا عاما لجميع الناس بعد مضى عشر سنوات في بعض القوانين أو عشرين أو أربعين في بعضها ومنها ما يؤول الى الورثة ومنها ما لا يؤول .

ويمكننا أن نشاهد بعض مظاهر الفوضى التى استشرت فى الحياة الفنية والأدبية على صفحات « الأخبار » التى نشرت بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩١٥ (ص ٣) بعنوان « حقوق الملحنين والمغنيين لا قانون لها في مصر : عدم النص لا يمنع الحكم ٠ تقول « الأخبار » ان شركة الجراموفون رفعت دعوى على شركة بيضافون أمام المحكمه المختلطة بمصر تطالب بتعويض عن تعدى الثانية على مائة واثنين وستين دورا اشترت الأولى حقوقها تأليفا وتلحينا من داوود حسنى وابراهيم القباني وورثة عبده الحامولى ومحمد عثمان والحضراوى ٠ وطعنت الشركة المدعى عليها فى ملكية الشركة المدعية ٠ وقالت ان الأغاني لا تشترى ولا تباع وليس لأحد فيها حق الاحتكار ٠ فردت عليها الشركة المدعية بأن الملكية الأدبية لا تنقص قدرا عن الملكية العقارية ٠ واستشهدت الشركة على ذلك بنصوص القانون المدنى المختلط والأهلى القاضية بأن للمؤلفين والمخترعين والملحنين حقوقا فى ملكية تأليفهم ومخترعاتهم وألحانهم ٠ فضلا عن ان المسئولين عن القانون وعدوا باصدار لائحة تبين أحكام هذه الملكية ٠ واحتج المدعى عليهم بأن هذا الوعد لم ينجز الى الآن ٠ ومن ثم فليس من حق أحد أن يمتلك شيئا من هذا القبيل ما دامت اللائحة لم توضع موضع التنفيذ ٠ واعترضت الشركة المدعية بأن فى حالة غياب النصوص أو غموضها ، يقضى القانون أن تحكم المحكمة فيما يعرض لها من مشاكل بوعى احساسها بالعدل والانصاف وعند نظر القضية رأت المحكمة ان عدم النص لا يمنع الحكم ٠ ثم طعن المدعى عليهم فى ان الملحنين الذين باعوا حقوقهم للشركة المدعية لم يسجلوا أغانيهم ٠ فأجابت الشركة المدعية بأن التسجيل لا يثبت الحق فى ذاته وانما يثبت الأسبقية لاحتمال توارد الخواطر على شىء واحد ٠ وعاد المدعى عليهم وقالوا انه على فرض ثبوت الملكية الأدبية ان التسجيل ليس شرطا منها ٠ فان الملحنين المذكورين أباحوا أغانيهم لعموم الناس ٠

وانقضت أعوام طويلة على أهمال هـذا الحق حتى سـقطت ملكية المالكين ٠

ولكن الشركة المدعيـة أصرت على الاسـتمساك بلوائح الممالك الأوربيه التي يحدد بعضها المدة القانونيه بتلاثين عاما وبعضها الاخر بخمسين عاما ٠ وقضت المحكمة في حكمها التمهيدى بتعيين صاحب العزة حفني بك ناصف المفتش الأول للغة العربية في نظارة المعارف ومحمود الجمركشي الموسيقى المشهور وقسطندى منسى ليقرروا اذا كانت الأدوار المدعي بسرقتها مملوكة أصلا للملحنين البائعين للشركه المدعية من جهة الشعر والتلحين وطلبت المحكمة من هؤلاء الخبراء أن يبينوا في تقريرهم اذا كان الملحنون المذكورون لهم أعمـال فنيـة مبتكرة أو مجهودات فنية بذلوها في هذه الأغاني بحيث تجعل هذه الأغاني ملكا خاصا بهم ٠ وأن يبينوا في كشف خاص الأدوار التى تستوفى هذه الشروط ٠ فضلا عن تقدير الخسارة التي لحقت بالشركة المدعية من جراء مبيعات المدعى عليهم للأدوار التي يثبت ملكيتهـا للشركة المدعية وصرحت للخبراء المذكورين بسماع الشهود والتحرى بكافة الطرق الممكنة حتى تستوثق من صحة ملكية الأدوار المتنازع عليهـا ٠

ولا شك انه من المؤسف انني لم أستطع متابعة هذه القضية حتى نهايتها نظرا لأهمية الأحـكام الصادرة بشأنها ٠ ولكن القضية نفسها ، على أية حال ، قمينة بأن تظهر لنا مدى الفوضى التى كانت تعيث في عالم الفن والأدب ٠ ولكنها تظهر في نفس الوقت رغبـة المصريين حينذاك في استنان القوانين الخاصة بحقوق التأليف ٠

***

ونشرت صحيفة « المنبر » مقالا عن حقوق التأليف بتـاريخ ٢٧ يناير ١٩١٦ (ص ٢) ردت فيه على بعض الصحف التى تطالب

الحكومة بالتدخل لوضع حد للفوضى الموجودة في طباعة الكتب ونشرها • وفي رأى « المنبر » ان تدخل الحكومة وحده في هذا الشأن لا يكفي • اذ يجب على الصحافه أن تلعب دورا في القضاء على الفوضى الضاربة أطنابها في صناعة الكتب • فهذه الفوضى لا يمكن أن تزول « الا بأن تتنبه الصحف الى الكتب المشحونة بالاغاليط وتنبه اليها الجمهور وأن تمتنع عن تقريظ المؤلفات السخيفة •• لتروج الكتب القيمة » وتضيف صحيفة « المنبر » الى ذلك ، ان كل ما تستطيعه الحكومة صيانة حق التأليف والنشر • وهو مصون في القانون • وقد حكمت المحاكم في قضايا أحكاما تدل على ان المؤلف آمن أن يدعى غيره ما ألف ، وأن الناشر آمن أن ينشر غيره ما ينشره هو منسوبا اليه • وكل ما في وسع الحكومة أن تفعل في هذا الشأن الحكم على الطابع اذا طبع كتابا لمؤلف لم يأذن له في الطبع بالتعويض وبأن يجمع النسخ الباقية ويعدمها • وكذلك حق الناشر على الناشر اذا كان سابقا بأسلوب يبتكره فيقلده فيه • أما التأليف فليس للحكومة أن تتعرض له ما لم يكن قد حرمه قانون المطبوعات أو قانون العقوبات وهذا يحرم ما يضر بالآداب والأخلاق •

وخلاصة القول في رأى « المنبر » ان الحكومة لايجوز لها اعدام كتاب ليس فيه اضرار بالأخلاق أو تحريض على ما يكدر صفو الأمن والسلام « بل » اللوم على الصحف التي تروج السخف وعلى العلماء والأدباء الذين لا ينبهون الجمهور الى الكتب المشحونة بالأغاليط أو الهذيان ليجتنبوها فيقلع طابعوها عن طبع أمثالها

***

ويتناول عبد الفتاح عبادة نفس هذا الموضوع بعنوان « طبع المؤلفات العربية وقانون حمايتها » • في مجلة « الهلال » الصادرة

فى اول مارس سـنة ١٩١٦ ، الجزء السـادس من السنة الرابعة والعشرين (ص ٤٩٨ ـ ٥٠٠) يبدأ هذا الكاتب مقاله بالاشارة الى اجماع الصحافة المصرية على ضرورة وضـع قانون لحماية المؤلفـات العربية قديمة كانت أو حديثـة من عبث الماسـخين وطمع الوراقين حرصا على نفاسة هذه الكتب وحفظا لحقوق الكتاب والمؤلفين ٠٠ والى البشرى التى أعلنها « عظمة مولانا السلطان ٠٠ وبأن حكومته السنية ستصدر قانونا لحماية الحقوق الكتابيه والفنية ٠٠ ويعنى عبد الفتاح عبادة فى مقاله « تبيان ما يلزم لطبع مؤلفاتنا القديمه وكيفية نشرها وما يعترى طبعاتها القديمة من النقص الذى يقلل الاستفادة من هذه الكنوز النفيسـة التى تركها لنـا السلف مما يشـوه نهضـتنا الحاضرة ٠

ويتلخص رأى عبـد الفتاح عبادة فى أفضل الوسائل الكفيلة بالحفاظ على كتب التراث الثمينة فيما يلى :

أولا ـ بذل الجهد فى تنقيح هذه الكتب الثمينة عنـد نشرها وتصحيح ما ورد فيها من أخطاء وسد ما يشوبها من نقص بسبب النسخ على مر الزمان وهذا لا يتيسر الا بجمع كل ما يمكن الحصول عليه من النسـخ الخطية الموجـودة فى المكاتب ومراجعـة بعضـها على بعض وهو ما يسمى عنـد الافرنج (بعائلات النسـخ) ٠٠٠ ولمقـابلة عائلات النسخ ومراجعتها أساليب كثـيرة متنوعة يتبعها المستشرقون فى طبع مؤلفاتنا ومؤلفاتهم القديمة ، من ذلك البحث عن نسخ الكتاب التى أمكن الحصول عليها وعن ترتيبهـا الزمنى ٠ وهل هذه النسخ العديدة متساوية الصحة وكلها متفقة على رواية واحدة أم هى مستقلة بعضها عن بعض ٠ واذا كان ذلك فبماذا يمكن ترجيح رواية بعضها على البعض الأخير ٠ ثم اثبات رواية كل نسخة على حدة الى غير ذلك مما يضاعف أهمية طبعة الكتاب وفائدتها ٠

ويضيف كاتب المقال ان الذين يحققون الكتب القـديمة على هذا النحو نفر قليل ٠ فى حين ان تجار الكتب الذين يتصـدون

سبيل التفكه حادثة وقعت لأحد المستشرقين فى بلدنا ان دلت على شيء ، فانها تدل على مدى الانحطاط الثقافى الذى يعانى منه المشتغلون بصـناعة الطباعة عندنا . يقول المستشرق الدكتـور كرلو نلليتو فى معرض حديثه عن كتاب (عيون الأبناء فى طبقات الاطباء) وطبعته المصرية التى وقف عليها أوغست مولر :

« بعد العمل التجهيزى الشاق أبرز مولر كتاب ابن أبى أصبعية بمطبعة مصطفى وهبى بمصر سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢) مع حفظ كل ما يوجد فى الروايتين الأوليتين لكيـلا يسقط مـن المتن الاصلى وزيادات المؤلف شيء مما يتنفع به القـارىء بيد انه لجهـل صاحب المطبعة وعناده أصبحت الطبعة بصفة لا يرضى بها عالم ولا عاقل لانه حذف كل العلامات التى وضعها مولر لتمييز متن رواية عن متن الرواية الأخرى . وحذف أيضا كل الشـكل اللازم لدفع الشبهة ورفع الحواشى خصوصا فى الاعلام والاشعار وعناوين الكتب وغير برأيه غير مرة ما قد وضعه مولر فى مبيضته . ولم يقتصر على ذلك لأنه فى الفهارس الهجائية الشاملة لجميع الاعلام لم يرد أفراد أكثر من سطر واحد لكل اسم مع أرقام جميع الصفائح التى ذكر فيها فألغى كل ما كان يجاوز سطرا! بل لم يطبع مرارا اعدادا ما ضاق بها المكان فى السطر . وبالجملة مسـخ وشوه وحذف وأعدم الكتاب شيئا جسـيما من منفعته فاضطر مولر الى تأليف ذيل طويل للطبعة المصرية نشره فى كونسبرغ سنة ١٨٨٤ وأورد فيه الروايات المختلفة وكل الفهارس وصحح الأغلاط فعلى الباحث ألا يأخذ شيئا من طبعة مصر الا بالمراجعة المستمرة لذلك الذيل ..

ثانيا ـ يرى الكاتب ان من أهم ما يلزم لنشر هـذه الكتب النفيسة هو وضع الفهارس المطولة للمواضيع وأسـماء الاعلام فضلا عن فهرس الفصول والأبواب . فان هذه الكتب لا تخلو فقرة منها

من فائدة الانتفاع بكل فقرات الكتاب لا يتم الا بوضع هذه الفهارس الابجديه الجامعة لجزئيات المواضيع على الترتيب الهجائي • ويضرب لنا على ذلك مثــلا لكتاب الخطط للمقريزى الذى طبع فى المطبعـة الأميريه وفى غيرها من المطابع ولم يذيل الا بفهرس لفصوله فقط• ولكن كم من الفوائد والمواضــيع الهامة والأخبــار التاريخية التى يذكرها عرضــا كعادته في هذا الكتاب لم تدون في الفهرس ويقنعنا هذا بالنقص العظيم الذى يشوب مؤلفاتنــا القديمة ويثبت افتقارنا الشــديد الى وضــع الفهارس المطولة لهذه المؤلفات النفيسة ولكل سطر فيها •

ويختم عبد الفتــاح عبادة مقــاله بمطالبة الدولة باستصدار القوانين الكفيلة بحماية التراث العــربى من عبث الوراقين وأصحاب المطابع وسد ما يشوب آثارنا من نقص •

وتذكر صحيفة « وادى النيل » عن « قضايا المؤلفين » بتاريخ ٧ مايو سنة ١٩١٧ (ص ٣) نبأ قضية رفعها أحد المؤلفين الفرنسيين على ادارة أحد المسارح الموجودة فى القاهرة متهما اياها بالسطو على مؤلفاته • فقد عرض عليها الاطلاع على مسرحية له من نوع الأوبريت حتى تستطيع أن تبدى رأيها فيما اذا كانت تقبل عرض روايته على مسرحها • ولكن مديرة المسرح سطت على بعض أجزاء منها وقدمتها على مسرحها دون اذن من صاحبها • فسارع المؤلف بانذار مديرة المسرح ورفع عليها قضية مدنية • ولم تكتف مديرة المسرح بما فعلت بل تمادت فى سطوها وطبعت الرواية التى تحتوى على فقرات من المؤلف المتنازع عليه فى كراســات وأخذت تبيعها • فما كان مــن المؤلف الا انه رفع على مديرة المسرح قضية أخرى جنائية

وحين عرضت القضية على محكمة القنصلية الفرنسية رافع محامي المدعى عليها بعدم قبول الدعوى اذ انه لا يمكن نقل الدعوى من مدنية الى جنائية محتجا بأن القانون يقضي بأن الشخص الذى يقصر دعواه على المطالبة بالحق المدني يجب أن يقصر دعواه على ذلك . ودفع محامي المدعى عليها دفعا آخر فقال ان القانون المصرى لا يحوى شيئا يحمى حقوق المؤلفين . فضلا عن ان الفرنسيين المقيمين فى مصر لا يقاضون الا طبقا للنصوص القانونية الفرنسية الموجودة فى القانون المصرى .

ورد محامي المدعى بفقرات من كتاب المسيو دوزوزاى عن الامتيازات الأجنبية فى مصر تثبت ان الفرنسيين المقيمين فى الخارج يقاضون طبقا للقوانين الفرنسية ثم تلا مادتين من القانون الجنائى الأهلى المختلط وكلتاهما تحمى حقوق المؤلفين .

ومن المؤسف أننى لا أعلم بالحكم الذى أصدرته المحكمة فى هذه القضية . ولكن النظر فيها أمام القضاء قمين بأن يصور لنا مدى ما تعرضت له حقوق المؤلفين من عبث واهدار فى العقدين الأول والثانى من القرن العشرين .

ونشرت صحيفة « وادى النيل » بتاريخ ٤ يونية ١٩١٧ (ص ٥) مقالا بعنوان « حقوق التأليف والتعريب » أكدت فيه ما تتعرض له هذه الحقوق من عبث وضياع ويعطينا كاتب المقال أمثلة للسطو على مجهودات الغير فى التعريب . ثم يختم ما كتبه بقوله « لقد سمعنا ان من أعمال لجنة تحضير القوانين الجديدة النظر فى حق التأليف والتعريب وصيانة لأهله . فاللهم يسر لها وضع حد لفوضى الأدب والقلم فى هذه الديار والقضاء على السرقة والانتحال . فشر ما كان فى اللصوصية الاغارة على بنات الأفكار » .

وتدل شواهد الامور أن مطالبة الصحافة المصرية بوضع حد للفوضى التى تهدر حقوق المؤلفين قد أثمرت . وليس هناك شك أن مطالبة الرأى العام المصرى تنظيم حقوق المؤلفين عن طريق القانون مظهر من مظاهر نشدان المصريين للحرية والعدل . وتشير الصحف الى خطوة هامة خطاها المشرعون للقوانين المصرية فى هذا السبيل . وهى خطوة تستحق من الدارس العناية والالتفات . فقد جاء فى جريدة « البصير » . بتاريخ ١٢ يوليه ١٩١٨ (٢) ما يلى :

«ألفت الحكومة السلطانية المصرية لجنة لتدرس القوانين الأهلية والمختلطة فتوحدها ثم تضيف اليها ما تراه واجبا سائرا مع روح العصر . وذلك استعدادا لالغاء المحاكم المختلطة وضمها الى المحاكم الأهلية فيصير المرجع واحدا بدل هذا التفريق وتعدد مجال الاختصاص»

وقد والت اللجنة اجتماعاتها وتعددت اتجاهاتها وهى مؤلفة من خيرة رجال القضاء وحملة القانون وحماة العدل فهى واصلة باذن الله الى الغرض الذى ترمى اليه .

وليس بخاف على اعضائها المحترمين أن هناك حقا أضاعته القوانين الأهلية ولم يهتم له قضاتنا العدول وهو حق التأليف وحفظه للمؤلف والاحتفاظ به لورثته من بعده كما تفعل أمم أوروبا المتمدنه العارفة قدر العلوم والتأليف فيها . فلقد كان العرب يقولون أنهم يغيرون على بنات الأفكار كغيرتهم على البنات الابكار . ولكننا أصبحنا ولا غيرة لنا على بنات أفكارنا . فأما أن نبقيها عوانس واما أن نرسلها فيسبيها سراق الأدب ولصوص الطبع فضلا عما ينالها منهم من التخديش والتشنيع . وفضلا عما فيه تثبيط الهمم من بالاشتغال بالأدب »

★★★

ونشرت صحيفة « البصير » بتاريخ ١٠ أغسطس ١٩١٧ (ص٢) مقالا آخر بعنوان « حق ضائع : قضية فنية جديدة » نطالع فيه ما يلى :

وكان فيما فكرت فيه اللجنة التى شكلت لتعديل القوانين المصرية وتوحيدها وهى التى اشتهرت باسم لجنة الغاء الامتيازات سد ما فى قانون العقوبات الأهلى والقانون المدنى من النقص الذى جعل الحقوق الذهنية فوضى لا رابط لها ولا نظام فأخذت تستعين بآراء الخبيرين من رجال القانون على وضع المواد اللازمة لحفظ حقوق التأليف والابتكار • أن اللجنة بعملها هذا تحقق رجاء أصحاب الأذهان الراقية الذين طالما تألموا لما فى القانون من نقص جعل مبتكراتهم هدفا لكل معتد وعرضة لكل لص سالب من لصوص الأدب وسالب نتائج الأذهان بل أنها بحلها هذا تخطو بنا خطوة كبيرة فى سبيل الرقى الصحيح • لأن ذوى القرائح الوقادة أخمد ذكاءها اعتقادهم أن القضاء ربما لا ينصفهم من الذين يسلبونهم بلا خجل ولا حياء وما ابتكروه من الاختراعات أو أخرجوه الى الناس من ثمين التأليف • ولكنهم عندما يعتقدون أن كل مجتهد يجنى نصيبه من جهاده لا يتسرب اليأس الى قلوبهم • واليأس متى تملك فردا أو جماعة أقعدهم عن السعى فى طلب العلاء وشل أيديهم عن العمل لما فيه خير بلادهم •

وبعد هذه الديباجة الطويلة يخبرنا «البصير» أن المحاكم الأهلية ستنظر عما قريب قضية فنية يصفها بأنها الأولى من نوعها لأن المدعى فى هذه القضية سيطالب بحماية ثمرات قريحته من عبث العابثين • فقد وضع الشيخ سلامة حجازى الحانا مبتكرة لبعض الروايات وقيدها بالنوتة ثم سجلها باسمه فى محكمة مصر المختلطة • ولما رأى أن الآخرين يسطون على ألحانه ويستغلونها طلب الى القضاء أن يحميه من هذا العبث • ويختم «البصير» مقاله بقوله أن النقص الموجود فى القوانين المصرية لا يمنع من انتفاعه بثمرات جهده : « أن القانون ناقص من هذه الناحية ولكن المحاكم ترى أن انتفاع الانسان من عمله ولو كان فنيا مثل الموسيقى يعد حقا ثابتا له تسرى عليه أحكام القانون فيما يتعلق بغيره من الحقوق العامة •

وأثارت جريدة « المحروسة » بتاريخ ١٨ يناير ١٩١٨ (ص٥) موضوع حقوق المؤلفين في مقال نشرته بعنوان « حق ضائع على الأدباء وهو حق التأليف والتعريب » يقول كاتب المقال الذى وقعه باسم مصرى أديب أنه قرأ أن أحد الأجواق المصرية سيمثل رواية (طارق بن زياد) التى الفها أديب تركى وعربها كاتب سورى فى سوريا ثم نسبها الى نفسه أديب سورى فى مصر • ويعلق كاتب المقال على شبه الانتحال بقوله أن هذه المسألة الجديدة بعد كثير من مثيلاتها القديمات حركت فيه « الرغبه الى توجيه نظر أعضاء الجمعيه التشريعية الى مطالبة الحكومة بسن قانون يحفظ للمؤلف والمعرب حقهما بعد طول الضياع لأنه لا يليق بكرامة مصر أن يلجأ الكاتب فيها الى بيع مؤلفه أو معربه للأجنبى ليصونه الأجنبى فى محاكمه لعجز حكومة المصرى عن صيانة ثمار قرائح ابنائها لعدم وجود قانون مصرى فى هذا الشأن » •

وكتب الهراوى يدافع عن حقوق المؤلفين فى مقال له نشرته جريدة « النظام » بعنوان « شركة فرقة التمثيل وواجبها نحو المؤلفين» بتاريخ ٣٠ أغسطس ١٩١٩ (ص ٣) يقول كاتب المقال أنه قرأ ما نشرته شركة فرقة التمثيل العربى تطلب فيه الى المؤلفين والأدباء وضع ثلاث مؤلفات لتفتتح بها فرقتها التمثيلية العمل فى دارها الجديدة نظير مكافآت مالية ترصدها الشركة لهذه المؤلفات • يقول كاتب المقال أن الفرحة ملأت قلبه عند قراءة هذا الخبر لأن الشركة تطلب روايات عربية من ناحية ولأنها تشجع التأليف المسرحى عن طريق المكافآت من ناحية أخرى • ولكن هذه الفرحة سرعان ما تبددت •

فقد لاحظ تعسف الشركة فيما وضعته من شروط • ويتجلى لنا تعسفها من احتفاظها لنفسها بحقها المطلق فى قبول أو رفض أية رواية بدون ابداء الأسباب •

ويرى الهراوى فى هذا الشرط جورا وتعسفا ؛ فانه اذا جاز فى بيع العقارات وعرض الأطيان للايجار أو فى مقاولات البناء والترميم • فانه لا « يصح مطلقا وضع هذا القيد لمؤلف واصل الليل بالنهار فى اجهاد قريحته ••• ومن ثم ، فان هذا الكاتب يقترح أن يكون رفض الشركة لأعمال الأدباء مبنيا على أسباب معقولة حتى يطمئن المؤلفون الى موضوعية الاختيار ولا يكون هذا وذاك الا بانشاء لجنة تحكيم مكونه من ثلاثة أشخاص من أهل الدراية فى الفن يختار المؤلف أحدهم وتختار الشركة الثانى وهما يختاران معا ثالثهما • ورأى اللجنة قطعى نافذ على طرفى المتعاقدين بحكم مسبب• بهذا تضمن الشركة حق المؤلف وتحفظ له كرامته ••

وينشر أحد المؤلفين الروائيين تعليقا على الهراوى فى صحيفة النظام بتاريخ ١ سبتمبر ١٩١٩ (ص٤) رحب فيه باقتراحه « فان الذى مارس فن المقطوعات المسرحية واحتك بالفرق التمثيلية وجرب عناء وبلاء تلك يهون عليه أن يسف التراب عن أن يستفيد الفن من وراء هذا الباب • وذلك هو الذى حدا بأرباب الأقلام العالمية أن يمسكوا عن تأليف الروايات الرائعة بقدر ما اندفع الأحداث ذوو الآراء الفجة فى عرض أعمالهم والاستشفاع فى قبولها بكافة الذبائح الممقوتة والبعض يعرضها مجانا (على حساب الشهرة فقط) • هذا هو سر انحطاط مسارحنا العربية عن مجاراة أمثالها فى الامم

الواقية في اختيار المقطوعات الحسنة ذات الأسلوب العالى والوقائع المحبوكة .

ويختم المؤلف تعليقه بأن يقترح على المشتغلين بفن التمثيل « فكرة تأليف نقابة تعمل على حفظ كرامتهم بل على انهاض هذا الفن أدبيا من كافة وجوهه .

ونشرت جريدة النظام كلمة تحت عنوان « الملكية الأدبية والفنية » بتاريخ ١٩ سبتمبر ١٩١٩ (ص٣) يطالب فيها الملحن الموسيقى كامل الخلعى بحماية مؤلفاته من عبث العابثين بما يترتب عليها من حقوق . كتب الملحن المسرحى كامل الخلعى يقول فى هذا الصدد :

وبعد أن ارسل حضرة فرح أنطون بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عنى انذار الى حضرة محمود بك جبر صاحب ومدير جوق حضرة لسيدة منيرة المهدية وانذار آخر الى شركة بيضافون الفونوغرافية . وذلك منذ نحو عشرة أيام لحفظ حقوقنا فى ملك روايات (كرمن وروزينا وكرمينا وتاييس وادنا) التى هى بمقتضى الاتفاقات التى بيننا وبين حضرة صاحب الجوق انى أحذر أية شركة فونوغراف من أخذ هذه الروايات والحانها لأنى مع حضرة فرح أفندى أنطون صاحبها . وهى ملك خاص بنا بحق تأليفنا ووضعنا لها . وليس لحضرة محمود بك جبر الا مجرد الاذن منا له بتمثيلها فى مسرحه — وأما سائر وجوه الانتفاع الأخرى فهى من حقنا وحدنا » .

توقيع

كامل الخلعى الموسيقى

بعد ان استعرضنا ما كتبته الصحافة المصرية في العقدين الأول والثاني بصدد حقوق التأليف يجدر بنا أن نذكر أنه من الخطل أن اثارة حقوق المؤلفين على هذا النحو كان مجرد مبحث نظري في فلسفة القانون تدفع اليه رغبة بعض الناس في خلق اطار اجتماعي سليم تحكمه اللوائح السديدة العادله بل كانت رد فعل لمظاهر الفوضى التى تعيث فى أرجاء عالم المسرح والأدب ·

ولعل الأزمة التى تفجرت بين فرح أنطون مؤلف مسرحية صلاح الدين الأيوبى وجوق أبيض وحجازى الذى قام بتمثيلها نموذج درامى للمشاكل الناجمة من عدم وجود قوانين دقيقة تحدد حقوق التأليف كما تحدد العلاقة بين المؤلف والممثل · وسوف نعرض فى هذا المقام لهذه الأزمة بالتفصيل · ولكن نكتفى الآن بأن نذكر حادثا مؤسفا وقع فى دار التمثيل العربى بسبب النزاع الذى احتدم بين المؤلف والممثلين فقد نشرت صحيفة « الأفكار » بتاريخ ١٨ مارس ١٩١٥ (ص ٣) تحت عنوان « حقوق المؤلفين واعتداء الممثلين عليها » ما يلى:

« كان فرح انطون منشىء مجلة الجامعة قد اتفق مع جورج أبيض أفندى على أن يمثل له جورج أفندى الرواية الجديدة التى ألفها عن (السلطان صلاح الدين وفتوحاته) وقد كتبا بهذا الاتفاق عقدا مؤرخا فى شهر ابريل الفائت (١٩١٤) وكان الاتفاق على أن يدفع جورج أفندى أبيض الى فرح أفندى انطون مائة جنيه أقساطا تدفع على أربعة أشهر كل شهر خمسة وعشرون جنيها ابتداء من تسليم الرواية · فضلا عن احياء ليلة لحساب المؤلف وان يكون التمثيل بظروف مخصوصة وبشروط مخصوصة · فمر اثنا عشر شهرا ولم يدفع أبيض أفندى من الثمن الا ستين جنيها وبقى للمؤلف نحو ٤٠ جنيها · ولم يمثل الليلة التى هى من حق المؤلف ولم يمثل الرواية نفسها · وبذلك بطل الاتفاق وفسخ العقد الذى

بينهما . ويظهر ان كونتراتو الاتفاق ينص على ان الرواية هى ملك المؤلف وانه ليس لجورج أبيض أفندى فيهـــا الا الاذن بتمثيلهـــا مشروطا . وكما اذن المؤلف له بتمثيلها يحق له الاذن لغيره .

وبناء عليه وعلى فســخ الكونتراتو اذن فرح أفنـــدى أنطون لجوق عبد الله افندى عكاشـــة وأخوته بتمثيل هذه الروايه وتعاقد معه فى اتفاق خاص . فما كان من جورج أفندى أبيض الا أنه أنذر فرح أفندى أنطون بواســـطة محضر من المحكمة المختلطه انه باع الليالى التى ستمثل فيها هذه الرواية الى شخص ايطالى وأنه على المؤلف أن يطالب هذا الشخص بالمتأخر له من الثمن ، وأن الشخص الايطالى أصبح مالكا للرواية مدة سنتين . أى أن حق ملكية المؤلف نقل الى الشخص الايطالى ومساء أول أمس كان ميعاد تمثيل هذه الرواية (صلاح الدين وفتوحاته) فى دار التمثيل العربى . فما جاءت الساعة التاسعة مساء حتى دخل الى المرسح محضر من المحكمة المختلطة ومعه مأمور قسم الأزبكية يطلب بناء على أمر قاضى الامور المستعجلة الحصول على جميع نسخ الرواية والأدوار التى مع الممثلين بدعوى أن تلك النسخ مزورة وأن (الايطـــالى) يحجز عليها . ولم يحصل تعرض للتمثيل لأن حق التمثيـــل لمؤلف الرواية والمؤلف متعاقد مع جوق عكاشة فخرج المؤلف الى الجمهور وبسط له القضية وأعلن أن الرواية ستمثل من غير نسخ منها ولا أدوار . وفى الواقع مثلث الرواية وأجاد الممثلون ايما اجادة وكان الجمهور يهتف لهم بعد ختام كل فصل ويستعيدهم مرارا تهنئة لهم بفوزهم واتقان تمثيل هذه الرواية فى نحو عشرة أيام فقط .

وعقب هذا الحادث الأسيف نشرت صحيفة « البصير » مقالا بعنوان « حقوق المؤلفين » بتاريـــخ ٢٣ مارس ١٩١٥ (٢) جاء فيه أن الخلف الذى وقـــع بين فرح أنطون وجـــوق أبيض وحجازى يلفت الأنظار بشكل حـــاد الى حقوق التأليف والمؤلفين يقول « البصـــير »

ان السواد الأعظم من الناس قد يظنون أن القانون الأهلي خلا من المواد التي تحفظ للمؤلفين حقوقهم · غير أن الحقيقة عكس هذا فقد ورد في قانون العقوبات المواد التاليه :

المادة ٣٠٤ – المؤلفات والأشياء التى عملت تقليدا يصير ضبطها لصاحب الامتياز · ويجازى المقلد بدفع غرامة لا تتجاوز مائة جنيه مصرى · وكذلك من أدخل فى القطر المصرى أشياء من هذا القبيل عملت تقليدا فى البلاد الأجنبية يجازى بدفع غرامة لا تتجاوز مائه جنيه مصرى وأما من باع أو عرض للبيع كتبا أو أشياء صار عملها تقليدا وهو بعالم بحالتها فيجازى بدفع غرامة لا تتجاوز خمسة وعشرين جنيها مصريا ·

المادة ٣٠٥ – ويحكم أيضا بدفع غرامة لا تتجاوز مائه جنيه مصرى على من قلد أشياء صناعية أو الحانا موسيقية مختصة بمؤلفها أو من تنازلوا له عنها أو قلد علامات فوريقة مختصة بصاحبها دون غيره تطبيقا للوائح ·

المادة ٣٠٦ – كل من باع أو عرض للبيع مصنوعات عملت تقليدا أو بضائع صار وضع تلك العلامات المزورة عليها · وكذلك من غنى علنا بنفسه بالحان موسيقية أو حمل غيره على التغنى بها أو لعب ألعابا تياترية أو حمل غيره على اللعب بها اضرارا بمخترعيها يدفع غرامة لا تتجاوز عشرين جنيها ·

ويقول « البصير » أنه بالرغم من وجود هذه المواد الثلاث التى تحمى حقوق المؤلفين فى نصوص القانـون المصرى : فقد ظلت غير معمول بها منذ وضع القانون الحديث بعد الغاء المجالس المخصوصة حتى وقت نشوب النزاع بين فرح أنطون وجوق أبيض وحجازى « غير أن فرح أفندى أنطون متحدا مع عبد الله أفندى عكاشة وجورج أفندى أبيض متحدا مع الشيخ سلامة حجازى حاول كل فريق منهما أن يحيى هذه المواد بعد مواتها أكثر من ثلاثين عاما ·

ثم نشرت صحيفة « وادى النيل » بتاريخ ٢٤ مارس ١٩١٥ (ص ٢) تعليقا أعربت فيه عن أســـفها لما جرى بين فـرخ أنطون وجوق أبيض وحجازى فى المهد « لا يحتمل المشادة والتجارب بين المؤلفين والممثلين ، فضلا على الانتقال به الى دائرة البوليس ممـا يفتح باب الأقاويل والأراجيف » ٠

وتحمل صحيفة « وادى النيل » جانبا من مسئولية ما حدث على عاتق الأدباء جميعا لأنهم « قصروا حتى الآن فى تأليف لجنة منهم تنظر فى ترقية التأليف فى جانب وفى جسم الاختلاف الذى يقع بين المؤلفين فى جانب آخر ٠ مادام حق التأليف والتمثيل ضائعين فى مصر وما دام الأمر فوضى لا ضابط له ٠ لو تألفت لجنة من الأدباء أمكنها الا تقف عند هذا الحد ٠ بل ربما توسعت فى مراقبتها الأدبية الى سرقة المقالات ٠ والى بعض الكتب المفسدة للأخلاق والى تجسيد المجيد فى تأليفه تشجيعا له حتى تقتدى به غيره ٠

والى غير ذلك مما له مساس بصــــناعة التأليف فى جميع وجوهها ٠ أن تأليف لجنة كهذه ليس بالأمر العسير متى توجهت الهمم الى تأليفها ٠ وفى مصر والحمد لله جمع عديد فى أفاضـــل الأدباء الذين يؤبه بهم ويحترم فريق الأدباء أحكامهم ٠٠٠ هذا ما ننتظره من أمثالهم حفظا لحقوق التأليف والتمثيل وتشجيعا لنهضة مصر الأدبية والعلمية ٠

(٢) رواية صلاح الدين وفتوحاته بين المحاكم والمسارح

تطالعنا صحيفة « الأخبار » في سلسلة من المقالات بتفاصيل النزاع الذى نشب بين فرح أنطون مؤلف رواية صلاح الدين وفتوحاته وبين جوق أبيض وحجازى الذى تعاقد مع المؤلف على تمثيلها . فقد جاء في هذه الصحيفة بتاريخ ٩ أبريل ١٩١٥(ص٣) ما يلى : —

« فى اليوم الثالث عشر من شهر مارس الماضى أعلن اخوان عكاشة أصحاب دار التمثيل العربى أنهم يمثلون رواية صلاح الدين وفتوحاته تأليف فرح أفندى أنطون فى مرسحهم مساء يوم الثلاثاء ١٦ مارس ولم يكد الاعلان يلصق فى الشوارع حتى رأى الجمهور اعلانا آخر لجوق أبيض وحجازى جاء فيه انهما يمثلان رواية فرح أفندى فى الأوبرا الخديوية مساء يوم الجمعة ١٨ مارس .

تساءل الأدباء وعشاق التمثيل : هل احتكر الجوقان تمثيل الرواية ؟ واذا كان الأمر كذلك فلم لم يشخصاها فى ليلة واحدة . فأجيب المتسائلون بأن الأمر على غير ما يتخيلون . فان الرواية وضعها فرح أفندى وباع حق تمثيلها لجوق أبيض وحجازى . ولكنه لم يقبض منهما ثمنها كاملا فاستند الى بعض شروط العقد المبرم بينه وبينهما وباعها لآل عكاشة . فتنازل جوق أبيض عن حقوقه فى تمثيل الرواية لايطالى رفع دعوى على فرح أفندى واخوان عكاشة أمام المحكمة المختلطة ونال من قاضى الأمور العاجلة حكما بمصادرة نسخ الرواية . وبينما كان رجال جوق عكاشة يستعدون للتمثيل باغتهم محضر المحكمة وبعض رجال المحافظة واستولوا عنوة على

نسخ الرواية من الملقن فمثل الجوق الفصل الأول بدون تلقين ثم سار المحضر ومن معه فأخذ المؤلف يلقن الممثلين وانقضت الليلة ثم أبى اخوان عكاشه الا مناقشة النص فأعلنوا أنهم يعيدون تمثيل الرواية عصر يوم الجمعة ١٨ مارس وجعلوا أجور الدخول مخفضة حتى يمنعوا الناس من حضور الرواية بعد ساعات فى الأوبرا » ٠

وتستطرد صحيفة « الأخبار » فى وصف تفاصيل النزاع الذى نشب بين فرح وبين جوق أبيض ، فتقول :

« وقبل أن يرفع آل عكاشة الستار حضر المحضر ولم يبرح المسرح دقيقة فلم يتمكن الملقن أو المؤلف أو غيرهما فى الهمس بكلمة واحدة للممثلين »٠

« وفى خلال ذلك استصدر فرح أفندى أنطون حكما من قاضى محكمة عابدين الجزئية بالحجز على ايراد الليلة التى تمثل فيها جوق أبيض رواية صلاح الدين فى الأوبرا وحجز فعلا ٦٠ جنيها

« ثم جاء الايطالى (الذى تنازل له جوق أبيض عن الرواية) فعارض فى حجز فرح أفندى فقبلت معارضته وتسلم المبلغ » ٠

« وكان اقبال الجمهور على جوق أبيض عظيما حتى أن الكثيرين لم يجدوا مقاعد فعادوا من حيث أتوا والجمهور ينتظر الان حكم محكمة مصر المختلطة فى هل الرواية لأبيض وحجازى أم لآل عكاشة ٠ هذه خلاصة المسألة » ٠

وتعطينا صحيفة « الأخبار » بتاريخ ١٠ و ١١ أبريل ١٩١٥ ملخصا لرواية « صلاح الدين وفتوحاته » فضلا عن أنها تطالعنا بتاريخ ١٤ ، ١٥ أبريل ١٩١٥ (نقد لهذه المسرحية كتبه ميخائيل بشارة داود) ٠

ونشرت « الأخبار » بتاريخ ١٦ أبريل ١٩١٥ (ص٣) شروط العقد الذى تم بين فرح أنطون وجوق أبيض نوردها فيما يلى :

« البند الأول - أن يمثل جوق أبيض هذه الرواية فى الأوبرا فى أواخر شهر مارس ١٩١٤ » ٠

البند الثانى - أن فرح أنطون يسلم الفصل الأول فى هذه الرواية بعد مرور عشرين يوما من تاريخ التوقيع على هذا العقد ٠ ثم بعد ذلك يسلم كل اسبوع فصلا وحين انتهاء الرواية ينتخب عشرة أشخاص من الممثلين فى الجوق بمعرفة الفريق الأول والفريق الثانى لاستماع قرائتها ٠ واذا رأت أكثرية هذه اللجنة أن الدور المهم الذى فى الرواية لا يليق به أن يكون دورا كبيرا لجورج أبيض مدير الجوق وحكمت أكثريتها بعدم موافقته لجورج أبيض يجوز للجنة المذكورة أن ترفض الرواية ولا تقبلها ٠

البند الثالث - يتعهد جورج أبيض بأن يدفع ثمن هذه الرواية مائة جنيه انجليزى ٠ والدفع يكون أربعة أقساط كل قسط خمسة وعشرين جنيها ٠ فالقسط الأول يدفعه جورج أبيض فى الليلة الأولى من تمثيل الرواية فى الأوبرا ٠ والقسط الثانى بعد مرور عشرين يوما على دفع القسط الأول والقسط الثالث حين انتهاء جورج أبيض من التمثيل بالأوبرا (وذلك ما لا يستغرق أكثر من شهر) والقسط الرابع بعد مرور الشهر من دفع القسط الثالث ٠

البند الرابع - ما عدا المائة جنيه يكون لمؤلف الرواية ٠ فرح انطون الحق فى أن يطلب تمثيل روايته هذه بواسطة الجوق لحسابه فى الاسكندرية على شرط أن يدفع للجوق المذكور ٥٠ جنيها ٠

البند الخامس - ان قيمة الخمسين جنيها التى على الفريق الثانى (أى فرح أنطون) أن يدفعها أجرة تمثيل روايته فى الاسكندرية لحسابه تخصم من قيمة القسطين الثانى والثالث اللذين ورد ذكرهما

فى البند الثالث وبحكم البند الأول تقدم الرواية فى أواخر شهر مارس ١٩١٤ . فقدمت فى ٥ يونية ١٩١٤ . فانتظروا فصل التمثيل الجديد أى شهر مارس ١٩١٥ .

وبعد أن قدمت لنا « الأخبار » شروط التعاقد بين فرح أنطون وجورج أبيض ترى هذه الصحيفة تعرض للمشكلة التى تفجرت بين هذا المؤلف وذلك الممثل بقولهما :

« فلما أنذر جورج أفندى أبيض جوق عكاشة بواسطة المسيو شيزانا كتب فرح أفندى رسالة الى الجرائد قال فيها :

« فاذا كان انذاره هذا هو لرغبته فى التخلص من دفع باقى الثمن المتأخر لى وتأخيرى عشرة أشهر أخرى بعد العشرة الأولى التى مرت على استحقاقى هذا الثمن فانى يحزننى أن أراه ملجأ الى هذه الوسيلة المحزنة على رجل كان ومازال يحب فائدته . ولذلك أتعهد أمام الجمهور بتسوية المسألة مع أبيض أفندى الذى انتخبه من أفاضل الكتاب والأدباء اذا كان يريد ذلك . وهذا البيع الذى لو ترك أبيض الى طبيعته وتربيته الحسنة لما أقدم عليه حياء من الناس وانما أغراه عليه شخصان من خارج الجوق يظهران له الصداقة والغيرة للانتفاع منه وفى الباطن يوقعان به أشد ايقاع بصنعة مخصوصة على غير علم منه كما يعلم العارفون بما هنالك .

وان كان الانذار هو لرغبة أبيض فى ادخال الحماية والامتيازات الأجنبية فى مسألة حقوقية ثابتة مقررة فى كونتراتو صرح كليا لمنع جوق عبد الله أفندى عكاشة واخوته تمثيل هذه الرواية مساء هذا اليوم (١٦ الجارى) فقد أضاع أبيض أفندى ومرشدوه وقتهم سدى لأن مؤلف الرواية الذى هو مالكها بحق التأليف وبحسب نص الكونتراتو حر فى تمثيل روايته حيث يشاء وخصوصا بعد نقض أبيض أفندى جميع شروط الاتفاق بمخالفته مواد التعهد الذى بيننا

وذكرت صحيفة « الأخبار » بتاريخ ١٧ ابريل ١٩١٥ (ص٣) بصدد مطالبة أنطون بالحجز على ايراد شباك الأوبرا وما تم بشأنها:

« نختتم الكلام اليوم ... بتصفيف ما جرى فى محكمة عابدين بين فرح أفندى أنطون والمسيو شيزانا وجورج أفندى أبيض فقد علم القراء ... أن فرح أفندى أنطون استصدر أمرا من قاضى الأمور المستعجلة بأن يحجز المتحصل من صندوق الأوبرا الخديوية ليلة تمثيل جورج أبيض لرواية صلاح الدين فتم له ما أراد .

« ثم قدم أبيض أفندى والشيخ سلامة حجازى معارضة طلبا فيها الغاء أمر الحجز وترافع الأستاذ أمين أفندى برسوم عن فرح أفندى فدفع دفعا فرعيا بعدم قبول الدعوى وقال أن لا حق للمدعين فى طلبهما ما داما يتمسكان الى الآن بالتنازل الصادر منهما الى المسيو ايزاك شيزانا الايطالى التبعية . فرد عليه الأستاذ أصادوريان المحامى عن المدعين بأنه حاضر فى جلسة المرافعة بصفته وكيلا أيضا عن الخواجة ايزاك شيزانا وصحح على طلباته من أنه ليس من اختصاص حضرة قاضى المحكمة اصدار أمر الحجز المتظلم منه لأن حق التمثيل متنازل عنه لشخص أجنبى . فحكمت المحكمة المذكورة بقبول المعارضة والغاء أمر الحجز وبنت حكمها على الحيثيات الآتية :

حيث أن المدعين دفعا هذه الدعوى من أمر الحجز الصادر فى هذه المحكمة بتاريخ ١٨ مارس ١٩١٥ . وقد دخل الخواجة ايزاك شيزانا خصما فى الدعوى بصفته متنازلا اليه عن حق التمثيل من المدعين بمقتضى عقد تنازل مؤرخ فى ١٢ مارس سنة ١٩١٥ . وبذلك أصبح هو صاحب الحق فى المبلغ المحجوز . وبما أنه أجنبى من رعايا الحكومة الايطالية فلا يجوز أن تصدر هذه المحكمة أمرا بالحجز على شىء من ممتلكاته . وقدم شهادة انتمائه للحكومة الايطالية وطلب الغاء الحجز الصادر من هذه المحكمة والحكم بعدم الاختصاص .

« وحيث أن هذه الطلبات في محلها ولم يعد وكيل المدعى عليه ما ينفيها ٠

« وحيث أنه متى كان صاحب الحق والمنازع للمدعى عليه أجنبيا فلا يجوز لهذه المحكمة الحجز على أموال ذلك الأجنبي اذ ليس ذلك من اختصاصها ٠

« وحيث أن وكيل المدعيين طلب اثبات تنازله عما يتعلق بالطلبات الموضوعة فيتعين اجابة طلبه هذا ٠

« فلهذه الأسباب حكمت المحكمة حضوريا بقبول التظلم شكلا وفي الموضوع بالغاء أمر الحجز الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ١٨ مارس ١٩١٥ وعدم اختصاص المحكمة باصداره ٠ وأمرت باثبات تنازل المدعيين عن الطلبات الموضوعية والزمت المتظلم بالمصاريف ومبلغ خمسين قرشا أتعاب محاماة ٠ وشملت الحكم بالنفاذ وبغير كفالة ٠

وعادت صحيفة » الأخبار « الى النزاع الناشب بين مؤلف رواية « صلاح الدين الأيوبي » وجوق أبيض ٠ فألقت لنا ضوءا على بعض الأبعاد الجديدة لهذا النزاع ٠ تقول « الأخبار » بتاريخ ٢٦ مايو ١٩١٥ (ص٣) :

« علم القراء أن جوق أبيض وحجازى وزع مساء يوم الخميس الماضي على باب الأوبرا السلطانية مذكرة ضمنها ما وقع بين الجوق ومؤلف رواية (صلاح الدين وفتوحاته) وأن احدهم وزع مذكرة أخرى ردا على مذكرة جوق أبيض ٠

وتوضح لنا « الأخبار » ما ورد في هاتين المذكرتين ، فتقول لنا بشأن مذكرة جورج أبيض :

« وقد وصلت إلينا المذكرتان فرأينا مذكرة أبيض تحتوى على تفصيل المشكلة من أولها ففيها صورة العقد الذى بين المؤلف وأبيض أفندى ثم نبذ فى أسباب امتناع الجوق عن تمثيل الرواية على مرسح الأوبرا فى العام الماضى وأسباب قبول الأستاذ أبيض الرواية بعد فوات ميعادها ثم بيان المبالغ التى استلمها المؤلف من ثمن روايته وقدرها ٧٥ جنيه و ٥٤ قرشا من ١٠٠ جنيه ثم ما جرى بين المؤلف وجورج أفنـدى أبيض بشـأن تقسيم أدوار الرواية على الممثلين جاء فيه :

« ولما استعد الأستاذ أبيض فى شهر يناير ١٩١٥ لتمثيـل هذه الرواية وشرع فى توزيع أدوارها على بعض الممثلين طبقا لموافقة كل دور للممثل المسند اليه من حيث الصفات والمميزات الفطـرية مراعيا فى ذلك اعفاء البعض الآخر من أدوار هـذه الرواية مقابل تكليفه بأدوار فى روايات أخرى • أراد المؤلف أن يتداخل فى هذا التوزيع وأن يكون له فيه ما للأستاذ أبيض من الشأن واقترح فعلا عكس ما رآه الممثل الذى عندما أبى عليه هذا الحق متلطفا فى رده عليه أرغى وأزبد وانصرف متهددا يصب صواعق غضبه وانتقامه على رأس الممثل متواعدا بقفل بيته •

ثم نبذة عنوانها : « هل للمؤلف أن يتداخل فى توزيع ادوار الرواية » قال فيها الكاتب :

« يؤلف المؤلف العربى روايته متمثلا فى ذاكرته شـخصية الممثل الذى سيقدم بفصل روايته متوخيا وضع الفصل بحيث يكون ملائما لأهلية الممثل وصفاته الممتازة ويتقاضى أجر التأليف بمقادير يتفق عليها من ايراد تمثيل روايته وهو يتداخل لذلك فى توزيع الأدوار وله أن يشترط على ادارة الجوق وجود أى ممثل أو ممثـلـه كيفما شاء ولكن هذا الحق يسقط عنه اذا باع روايته بيعا قطعيا كما

هو الحال في الشرق • وكما حصل في روايته مؤلفنا الذى سقط عنه حق التداخل فى التوزيع بعد أن باع روايته بمبلغ مائة جنيه لا سيما وانه لا يستطيع الادعاء بأنه أعلم من مدير الجوق بأهلية وجدارة الممثلين • هذا فضلا عما يجهله هو من الاعتبارات النظامية التى تقضى على مدير الجوق بتطبيق قاعدة التناوب بين الممثلين باعفاء بعضهم من روايته مقابل تشغيلهم فى رواية أخرى والمؤلف لا يهمه فى هذه الحالة نجحت الرواية أو سقطت بعد أن باعها بالصفة المتقدمة • وبعد أن ضمن لنفسه قيمة معينة وقد عرفناه فى مقدمة المجندين لمبدأ نتشة الفيلسوف الألمانى ومن أخاص تلاميذه فى الشرق •

وتعرض « الأخبار » للمذكرة المضادة التى تذهب الى أن فرح أنطون هو كاتبها تقول هذه الصحيفة فى هذا الشأن :

« ومذكرة الرد ليست موقعة بامضاء • ولكن أسلوبها يدل على أنها بقلم مؤلف رواية (صلاح الدين) •

« وقد بدأها كاتبها بذكر حوادث يؤخذ منها أن أبيض أفندى يماطل فى الغاء عهوده ثم أشار الى الاتفاق على تمثيل رواية (أورشليم) وقال ان جوق أبيض وحجازى عزم على تمثيلها فى برنتانيا أولا ثم عدل عن برنتانيا الى الأوبرا • وحين الشروع فى توزيع الأدوار أراد أبيض أفندى أن يوزع أهم هذه الأدوار على ممثلين غير أكفاء لها ويترك الممثلين الأكفاء فى الجوق لأسباب لاموجب لذكرها لأن الجمهور أصبح عليما بها • فرأى المؤلف أن توزيع الأدوار كما أراد أبيض أفندى يفقد الرواية نصف قيمتها لأن جمال الدور بممثله وللمؤلف الحق فى منع الاستبداد بتوزيع أدوار روايته توزيعا يذهب بجمالها • لا سيما وأن الأستاذ سلامة بنفسه كان غير راض عن هذا التوزيع • وقد انسحب من هذه الرواية ولم يشأ

الوجوه كما قال للمؤلف غير مرة وبواسطة على أفندى يوسف ورحمه أفندى وكيله في جوقه المذكور لكى يبلغه الى المؤلف فقال المؤلف لأبيض أفندى فى أحد اجتماعات الجوق ٠ ان الكونتراتو الذي بيننا أصبح باطلا وملغى لعدم قيامك بشروطه فى أوقاتها ٠ فأنا أرضى بأن أتفق معك اتفاقا جديداً اذا كنت تكتب لى عقدا جديدا تتعهد به بتمثيل الرواية فى ميعاد جديد ويدفع المبلغ الباقى وقدره نحو ٤٠ جنيها فى مدة شهر أو ٣ أشهر ٠ أو اثنى عشر شهرا ٠ فأبى أبيض أفندى كتابة ورقة ٠ واقترح عليه المؤلف أن يرد اليه الستين جنيها التى وصلته منه بعد شركته مع الشيخ سلامة فى مدة عشرة أشهر ورد اليه أبيض أفندى روايته لكى يوزع أدوارها فى مكان آخر توزيعا لا يذهب بجمالها فلم يقبل أبيض أفندى ٠ فاقترح عليه المؤلف أخيرا أن يترك له كل حقوقه على شرط أن تقبل تحكيم الشيخ سلامة حجازى وسائر أفراد الجوق أو غيرهم ممن يشاء فى مسألة توزيع الأدوار فأبى التحكيم ٠ وأدى ذلك الى حصول تعاد وخصام بينهما ٠ ولم يبق للمؤلف بعد هذا الصبر الطويل الا أن يتصرف بروايته كما يشاء أولا لبطلان الكونتراتو وثانيا لأن الرواية ملكه بوجوب الكونتراتو وبموجب حق ملكية التأليف الذى لم يتنازل عنه لأحد بوجه من الوجوه ٠ ولما أراد أبيض أفندى أن يمثلها بالرغم من المؤلف ومن غير أن يقبل تحكيما وبدون أن يدفع الأربعين جنيها الباقية من الثمن حفظ المؤلف حقه ضده بالحجز على ايراد أول ليلة فقال أبيض أمام المحكمة الأهلية أن المبلغ الذى حجزه المؤلف يخص رجلا ايطاليا لأنه (أى أبيض أفندى) باع ايراد جميع الليالى (مع أنه ممنوع بيع الليالى من الجوق فى الأوبرا بحسب شروط وزارة الأشغال) وأن المال مال ايطالى وليس للمحكمة الأهلية حق حجزه » ٠

فهرس

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٩/٤٢٧٠

ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ٧٥٧ ١

مطابع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

Bibliotheca Alexandrina
0422247 8
96
4

مطابع الهيئة المصرية